

دولة مـــاليزيا

وزارة التعليم العالي (KPT)

جـــامعة المدينة العـــالمية

كلية العلـــوم الإسلامية

قســــــم القرآن وعلومه

السر المصون في نكتة الإظهار والإضمار في أكثر الناس وأكثرهم لا يعلمون

للعلامة علي بن إبراهيم بن محمد الأمير الصنعاني

دراسة وتحقيق للمخطوطة

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

في قسم التفسير وعلوم القرآن

للعام الجامعي: (١٤٣٣هـــ /٢٠١١م)

إعداد الطالب

حبيب سفيان محمد رضوان

إشراف د / خالد نبوي سليمان حجاج

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

صفحة الإقرار

أقرت جامعة المدينة العالمية بحث الطالب (**حبيب سفيان محمد رضوان**) من الآتية أسماؤهم:

المشرف د/خالد نبوي سليمان حجاج

الممتحن الداخلي الدكتور/ أحمد إمام

الممتحن الخارجي الدكتور/عبد الرحمن محمد عبد المتعال

إقرار الطالب

أنا الطالب: حبيب سفيان محمد رضوان أقر بأن هذا البحث هو من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، و عزوت النقل والاقتباس إلى مصادره.

التوقيع:

التاريخ: ٣/ذو الحجة ذ١٤٣٣هـ الموافق٢٩/١٠/٢٠١٢م.

شـــــــكر وتقديـــــــــر

انطلاقا من قول الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) أتقدم بعد شكر الله ــ عز وجل ــ بالشكر والعرفان لوالدتي الكريمة والتي كانت عونا لي في جميع مراحلي الدراسية وبذلت من أجلي الغالي والنفيس أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجزاها عني خيرا.

كما أشكر زوجتي العزيزة على ما قدمته لي من عون من تقديم الكتب والمراجع وترتيب الأوراق ، و تحمل وصبر طوال مدة البحث ، أسأل الله أن يجزيها خيرا ، و أن يجعله في موازين حسناتها.

كما أشكر كلية العلوم الإسلامية قسم التفسير وعلوم القرآن ،على ما قدموه لي من تعاون ودعم ، وأخص بالشكر شيخي وأستاذي فضيلة الدكتور : خالد نبوي حجاج ــ المشرف على الرسالة ــ على ما قدم ووجه و بذل طوال فترة البحث ، و على ما لمسته من حرص ودعم ورحابة صدر و طول بال ، فجزاه الله خيرا ، و بارك في علمه ونفع به ، وزاده من فضله .

كما أشكر الشيخين الفاضلين : فضيلة الدكتور : أحمد إمام ــ وفضيلة الدكتور : عبد الرحمن عبد المتعال ، على تفضلهما بمناقشة هذه الرسالة ، وتجشمهما عناء قراءتها ، فجزاهما الله خيرا .

كما أقدم شكري وتقدير للأخ العزيز محمد خالد محسن والذي بذل جهدا وأعانني بمراسلتي الكتب والمراجع من اليمن...

ملخص البحث

عنوان الرسالة:(السر المصون في نكتة الإظهار والإضمار في أكثر الناس وأكثرهم لا يعلمون) للعلامة علي بن إبراهيم الأمير الصنعاني ،دراسة وتحقيق.

اسم الباحث:حبيب سفيان محمد رضوان.

محتوى البحث كما يلي:

١- **مقدمة** :وتشمل أهمية الموضوع ،وأسباب اختياره،والصعوبات التي واجهتني،وخطة البحث.

٢- **قسم الدراسة** :وفيه ما يلي :

- التعريف بعصر المؤلف واسمه ومولده ونشأته ووفاته وحياته العلمية والأدبية.
- التعريف بمنهج المؤلف وطريقته ومصادره ،والتحقق من تسمية الكتاب، ونسبته للمؤلف، ودراسة النسخ.
- بينت منهجي وعملي في التحقيق .

٣-قسم التحقيق:

ويشمل تحقيق المخطوطة كاملة من التوثيق والتخريج والتصويب والترجمة للأعلام والتعريف بالأماكن ونحوها.

٤-الفهارس:ختمت بفهارس فنية لجميع ما حوته الرسالة .

مقدمة :

إن الحمد لله، نحمده ، و نستعينه ، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له مرشدا، وأشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أ ما بعد:

فإن الله —عز وجل– أنزل إلينا القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، وتحدى به الثقلين على أن يأتوا ولو بسورة من مثله ، ثم تكفل بحفظه فقال تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩

ولهذه الحكمة البالغة سخر الله —عز وجل –لخدمة هذا القرآن علماء أجلاء قاموا بحفظه، ونشره ، والتصنيف في شتى علومه ، وكان من هؤلاء الأعلام علي بن إبراهيم الأمير الصنعاني الذي ألف كتابا سماه (السر المصون في نكتة الإظهار والإضمار في أكثر الناس وأكثرهم لا يعلمون).

فقد تضمن الكتاب ما يتعلق في القرآن الكريم بالإظهار في قوله عز وجل:﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، و الإضمار في قوله:﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

ولما كان هذا الكتاب قد جمع من الفوائد الكثيرة ؛ ولم يسبق أحد من الباحثين إلى إخراجه وخدمته ؛ اخترت أن يكون موضوع بحثي ؛ لنيل درجة الماجستير حول دراسته وتحقيقه ، و الله أسأل العون والتوفيق.

الموضوع:

دراسة وتحقيق مخطوطة كتاب السر المصون في نكتة الإظهار والإضمار في أكثر الناس وأكثرهم لا يعلمون.

أهمية الموضوع:

الكتاب:متعلق بتفسير كلام الله عز وجل ؛ لما فيه من تيسير فهم القرآن وتدبره وتثبيت حفظه ، ومعرفة قواعده وأسراره ، ومن أعظم العبادات أن يتقرب العبد لربه –عز وجل –بخدمة كتابه العزيز.

المؤلف:اشتهر المؤلف رحمه الله تعالى بأنه أديب وشاعر؛ وبإظهار هذا الكتاب تبرز شخصيته ؛ بالعالم المفسر أيضا.

أسباب اختياري للموضوع :

١–المساهمة في الجهود المبذولة في نشر وإحياء التراث الإسلامي عامة، واليمني على وجه الخصوص.

٢– الخشية على الكتاب من التلف والضياع.

٣–دراسة وتحقيق الكتاب يضيف المزيد من التعرف على محتوى المكتبة العربية.

الدراسات السابقة:

لم يسبق أحد من الباحثين إلى تحقيق وخدمة هذا الكتاب.

الصعوبات التي واجهتني:

١- تأخر وصول النسخة (أ) والمراجع من اليمن ؛ بسبب الأحداث التي وقعت في صنعاء بسبب الثورة ضد نظام الرئيس اليمني علي عبد الله صالح حيث انقطعت الاتصالات والمواصلات ، ولم تصلني النسخة والمراجع إلا في وقت متأخر.

٢- ضيق الوقت وعدم معرفتي الكافية بنظام الجامعة.

الإضافات العلمية:

أبرز الإضافات التي قمت بها من خلال بحثي في الآتي:

١-التعريف بعصر المؤلف.

٢-التعريف بالمؤلف ومنهجه .

٣-التعريف بالكتاب ، و تحقيق نص المخطوطة.

٤-تخريج الأحاديث والآثار الواردة وعزوها إلى مظانها .

٥-الترجمة للأعلام ، والتعريف بالأماكن الواردة في الكتاب.

٦-توضيح الألفاظ والمفردات الغريبة.

هيكل البحث :

ويتكون من مقدمة ، ودراسة وتحقيق للمخطوط، وفهارس.

- **مقدمة وتشمل الآتي:**

-أهمية الموضوع.

-أسباب اختياري للموضوع

- الدراسات السابقة.

-الصعوبات التي واجهتني.

- الإضافات العلمية.

القسم الأول :الدراسة وفيه فصلان.

الفصل الأول: ترجمة المؤلف وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول:عصر المؤلف.

- المطلب الأول:الحالة السياسية.
- المطلب الثاني:الحالة الدينية والاجتماعية.
- المطلب الثالث:الحالة العلمية.

المبحث الثاني :حياته

- المطلب الأول:اسمه ونسبه .
- المطلب الثاني:مولده ونشأته ووفاته.

المبحث الثالث:حياته العلمية

- المطلب الأول: طلبه للعلم ورحلاته.
- المطلب الثاني:شيوخه وطلابه
- المطلب الثالث:مصنفاته.
- المطلب الرابع:ثناء العلماء عليه.
- المطلب الخامس:جهوده في الدعوة والتدريس.

المبحث الرابع:حياته الأدبية .

- المطلب الأول:علي الأمير شاعرا.
- المطلب الثاني:من آثاره الأدبية.

الفصل الثاني:التعريف بمنهج المؤلف والمخطوطة ومنهج المحقق وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول:منهج المؤلف

- المطلب الأول:طريقته في التفسير.
- المطلب الثاني:مصادره.
- المطلب الثالث:منهجه في ذكر الأحاديث والآثار .
- المطلب الرابع:موقفه من أقوال المفسرين قبله.
- المطلب السادس:موقفه من المذهبية والتقليد.

المبحث الثاني:التعريف بالكتاب

- المطلب الأول:تسمية الكتاب ونسبته للمؤلف.
- المطلب الثاني: النسخ المتوفرة.
- المطلب الثالث:وصف النسخ المتوفرة.
- المطلب الرابع:أول المخطوطة وآخرها.
- المطلب الخامس:الرموز التي استخدمها النساخ.
- المطلب السادس: صور لغلاف المخطوطة وأولها وآخرها.

المبحث الثالث: منهجي وعملي في التحقيق

القسم الثاني

تحقيق مخطوطة السر المصون في نكتة الإظهار والإضمار في أكثر الناس وأكثرهم لا يعلمون. ويشمل مقدمة للمؤلف ، وتفسيره.

- **النتائج والتوصيات**
- **الفهارس.**

القسم الأول :الدراسة وفيه فصلان.

الفصل الأول :ترجمته.

وفيه مباحث:

المبحث الأول:أحوال عصره.

المبحث الثاني :حياته.

المبحث الثالث:حياته العلمية.

المبحث الرابع:حياته الأدبية.

المبحث الأول

أحوال عصره

إن الذي يقرأ في تاريخ الأمم ليعرف يقينا أن الإنسان صنيعة بيئته ،يتفاعل معها فيؤثر ويتأثر، وعلى قدر قوة الشخصية يكون التأثير سلبا أو إيجابا، وبم أني بصدد ترجمة شخصية علمية فقبل أن أدخل في دراسته أود أن أشير إلى أحوال العصر الذي عاش فيه من خلال التطرق للحالة السياسية ،والدينية والاجتماعية،والعلمية .

وفية مطلبان:

المطلب الأول:الحالة السياسية.

المطلب الثاني :الحالة الدينية والاجتماعية.

المطلب الثالث:الحالة العلمية.

المطلب الأول

الحالة السياسية

الأوضاع العامة :

عاش علي بن الأمير الصنعاني في النصف الأخير من القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر(١١٧١هـ _ ١٢١٩هـ) وفي هذه الفترة استقلت اليمن عن الدولة العثمانية سنة (١٠٤٥هـ) بقيادة الأئمة الزيدية من أسرة آل القاسم بن محمد [١]، والتي استمرت أكثر من قرنين من الزمن حتى إعلان النظام الجمهوري في ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م [٢] بعد قرن من المعارك الطاحنة بين الأتراك واليمنيين " والتي كبدت الدولة العثمانية خسائر لا حساب لها في الرجال والأموال حتى سميت اليمن مقبرة الأناضول"[٣] وخلال هذه المدة عاشت اليمن حالات اضطراب دائم إلا فترات قليلة ومتفرقة، والتي ترجع إلى شخصية وقوة الإمام، ويعود السبب إلى نظرة المذهب الزيدي[٤] إلى الإمـــامة

(١) هو الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الأصغر الملقب الأشل بن القاسم بن الإمام الداعي يوسف الأكبر بن الإمام المنصور يحيى بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسمعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ولد ليلة الاثنين ثاني عشر شهر صفر سنة ٩٦٧ هـ ،ثم اشتغل بطلب العلم على شيوخ ذلك العصر فبرع في الفنون الشرعية وألف وصنف وادعى الإمامة وجرت بينه وبين الأتراك حروب حتى استولى على بعض المناطق في اليمن وكان آخر الأمر أنه وقع الصلح بينه وبين الأتراك على أن تثبت يده على ما قد استولى عليه من البلاد وهو غالب الجبال وكان الأمر كذلك؛ حتى مات رحمه الله فأخرج الأتراك من جميع الأقطار اليمنية أولاده وصفت لهم الديار اليمنية، و لم يبق لهم فيها منازع وصارت الدولة القاسمية في الديار اليمنية، قبضه الله ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وألف من الهجرة. ، الشوكاني:محمد بن علي ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (ج/٢ص١٤٣) السعادة القاهرة ١٣٤٨هـ،ط١ .

(٢)جحاف ، لطف الله ، درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين (ص ٥٩)دراسة وتحقيق:عارف محمد الرعوي، إصدار وزارة الثقافة والسياحة اليمنية ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م.

(٣)العمري،حسين عبدا لله ، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر(ص٢١) دار الفكر دمشق ١٩٩٧م-١٤١٨ هـ ط ١.

(٤)سيأتي التعريف بالمذهب الزيدي والزيدية في المطلب الثاني من هذا المبحث بباب مستقل. انظر :(ص١٥،١٦).

وشروطها ،فهو يسمح بالخروج لمن يرى لنفسه الأحقية وتنطبق علية شروط[1] الإمامة مما جعل اليمن يعيش في فترات صراع بين المتنافسين على الإمامة حتى ينتصر أحدهم وينفرد بالحكم، وما إن يتوفى حتى تعود الكرة مرة أخرى [2].

كذالك تمرد بعض القبائل عند ضعف الأئمة مما أدى إلى ضعف الدولة وانفصال بعض المناطق وخروجها عن سيطرة الدولة المركزية [3].

وأما أوضاع العالم العربي فلا يختلف كثيرا عن أوضاع اليمن إذ كانت الدولة العثمانية هي المسيطرة على جزء كبير من العالم العربي في مصر والشام والعرق وبلاد المغرب ،وكان الحكم خليطا بين المركزية واللامركزية، وقد عانت هذه الولايات من التراعات والصراعات المستمرة بين الزعماء المحليين.

وأما الجزيرة العربية فكانت الحجاز تحت السيادة الاسمية للدولة العثمانية ،وحكم مباشر من الأشراف ،والذين لم يختلفوا كثيرا عن البقية في دوام الصراع على منصب الشرف والزعامة [4].

---

(١)وهي أربعة عشر شرطا :"مكلف، ذكر، حر، علوي، فاطمي ،سليم الحواس والأطراف ، مجتهد ، عدل ،سخي ، مدبر، أكثر رأيه صوابا ، مقدام ، لم يتقدمه داع آخر مجاب ، طريقة الدعوة (معلنة)". انظر: الشوكاني ،محمد بن علي :السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (ج/٤ ص٤٧٢) تحقيق :محمود زيد إصدار وزارة الأوقاف المصرية ١٩٨٨م ١٤٠٨هـ.

(٢) جحاف ، لطف الله : درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين(ص٥٩) دراسة وتحقيق:عارف الرعوي ، إصدار وزارة الثقافة والسياحة اليمنية١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م،

(٣) المصدر السابق(ص٧٩).

(٤)المصدر السابق(ص٦٠).

وأما نجد فالمناطق الداخلية والشرقية فقد ظلت منعزلة تحت سلطنات ومشيخات القبائل البدوية حتى ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1]، ولاقت دعوته استجابة وانتشارا واسعا خاصة مع التقائها بأهداف آل سعود السياسية التوسعية ؛ حتى أصبحت تسيطر على أجزاء كبيرة من الجزيرة العربية.

وفي هذه المرحلة كانت الدول الغربية تتقدم بنهضة سياسية واقتصادية بسرعة فائقة ، وبدأت تبحث عن مواقع جديدة تحاول من خلالها السيطرة على الطرق التجارية للعالم، وازداد التنافس بين فرنسا وبريطانيا في البحر العربي والخليج العربي والهند[2].

الولاة في عصره:

عاصر علي بن إبراهيم الأمير اثنين من الأئمة وهم :

١- المهدي عباس:

الإمام المهدي لدين الله العباس بن الإمام المنصور بالله بن الحسين بن الإمام المتوكل على الله القاسم(١١٣١-١١٨٩هـ)تولى الإمامة بعد وفاة أبيه سنة(١١٦١هـ)حتى وفاته(١١٨٩هـ) وتلقب بالمهدي، وأجمع الناس على بيعته حتى ممن كان من المعارضين لوالده [3].

إلا أن عمه أحمد[4] بن المتوكل على الله القاسم أمير تعز دعا لنفسه وتلقب بالهادي ،

(١)هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي ولدسنة١١١٥هـ زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب،نشا في بيت علم ودين وكان حاد الذهن متوقد الذكاء سريع الحفظ، رحل إلى الإحساء والشام والبصرة والحجاز ، تأثر بكتب ابن تيمية وابن القيم، دعا إلى التوحيد ومحاربة الشرك والبدع ولقيت دعوته قبولا وانتشرت في أنحاء الجزيرة توفي ١٢٠٦هـ.الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد: الأعلام (٢٧٥/٦) دار العلم للملايين، ط١٥ ، السعدي ،عبد الرحمن بن ناصر: القول السديد شرح كتاب التوحيد،(ص١٦) وما بعدها،تحقيق :صبري شاهين دار القبس الرياض ط٢.

(٢) جحاف :درر نحور الحور العين(ص٦٠).

(٣) العمري :تاريخ اليمن الحديث والمعاصر(ص١٣٥،١٣٤).

(٤)لم أ عثر له على ترجمه ولعلها في نشر العرف ج١ وقد بحث عنه فلم أجده أكثر من مكان .والله اعلم.

فأوفد الإمام المهدي إليه العلامة الكبير محمد بن إسماعيل الأمير [١]، ونجح في الإصلاح بينهما وبايعه[٢].

ومن معارضيه أمير كوكبان[٣] وعالمها أحمد بن الحسن شرف الدين [٤] دعا لنفسه وتلقب بالمؤيد بالله ، وكان منافسا قويا ؛ لما عرف عنه من العلم والفضل ، ولكن جرت بينهما مصالحة أقره المهدي بموجبها على ولاية كوكبان ،ثم تجدد الخلاف وعاد الصلح مرة أخرى [٥] .

مدحه الشوكاني وقال : "كان إماما، فطنا ،ذكيا، عادلا ،قوي التدبير ،عالي الهمة ،منقاد إلى الخير ،مائلا لأهل العلم ،محبا للعدل ،منصفا للمظلومين ،سيوسا حازما، مطلعا على أحوال رعيته" [٦].

كما امتدح دولته فقال :"أيامه كلها غرر ، ودولته صافية عن شوائب الكدر، ما قام عليه قائم إلا دمره، وخرج عليه خارج إلا قهره"[٧] .

---

(١)الإمام الكبير المجتهد المطلق صاحب التصانيف ولد بكحلان (١٠٩٩هـ) وانتقل إلى صنعاء وأخذ من علمائها ورحل إلى مكة وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة وبرع في جمع العلوم وفاق الأقران وتفرد برياسة العلم في صنعاء وتظهر بالاجتهاد وعمل بالأدلة ونفر عن التقليد وامتحن مع أهل عصره توفي سنة(١١٨٢هـ) . الشوكاني ،محمد بن علي ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع(ج/٢ص١٣٣)،مكتبة السعادة القاهرة ١٣٤٨هـ ،ط١.

(٢)الحداد،أحمد يحي ،تاريخ اليمن السياسي (ج/٢ص٢٣٠)دار التنوير للطباعة والنشر ط٤، ١٩٨٦م-١٤٠٧) ، والعمري: تاريخ اليمن المعاصر (ص١٣٥،١٣٤).

(٣) كوكبان: جبل قرب صنعاء ، وإليه يضاف شبام كوكبان، وقصر كوكبان. الحموي:شهاب الدين،معجم البلدان(٤/٤٩٤) دار صابر بيروت ط٢، ١٩٩٥م.

(٤)مصدر سابق.

(٥) هو السيد أحمد بن محمد بن الحسين شرف الدين ،أمير كوكبان،برع في العلوم واشتهرت فضائله ، دعا إلى نفسه ووقعت خطوب وحروب بينه وبين المهدي عباس وآخر الأمر بايع الإمام المهدي واستقر أميرا لكوكبان ؛حتى مات سنة ١١٨١.الشوكاني:البدر الطالع(١/٧٣).

(٦)الشوكاني :محمد بن علي ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (ج/١ ص٢١٨) دار الكتب العلمية بيروت ط ١ (١٤١٨-١٩٩٨).

(٧)المصدر السابق.

٢-المنصور علي: الإمام علي بن العباس (١١٥١-١٢٢٤هـ) "تولى الإمامة بعد وفاة والده سنة(١١٨٩هـ) من دون منازع وتلقب بالمنصور وكان من أنبل الأئمة [١]" وكان للاستقرار في عهد والده الأثر لنحو عقدين من حكمه الذي استمر طويلا ، واعتماده على رجالات دولة أبيه [٢]؛ولكن طول حكمه أدى إلى سوء الأحوال السياسية والاقتصادية، وضعفت الإدارة تمردت القبائل، وخرجت أطراف البلاد وتهامة وبنادرها عن طاعته ، وانتشر الفساد وكثر السلب والنهب وحوصرت صنعاء ، واستولى الإنجليز علي جزيرة ميون (بريم) في مضيق باب المندب [٣].

وفي أثناء حكمه خرج عليه معارضون ثلاثة الأول :علي بن أحمد بن إسحاق[٤] وقد كان بايع المنصور ومدحه ثم أرسل إليه جيشا ولم تحسم الأمور فاتبع أسلوبا آخر وهو الصلح والثاني : حسين بن عبد الله الكبسي[٥] والثالث: ابنه سيف الإسلام أحمد[٦] والذي انقلب على أبيه نتيجة للأوضاع التي وصلت إليها البلاد وكان هذا بعد وفاة المؤلف رحمه الله سنة (١٢٢٤هـ)[٧] ، وقد قسم بعض المؤرخين عصره إلى ثلاث مراحل :فترة ازدهار ومدتها عشرون عاما والثانية :ثلاثة عشر عاما فترة فوضى واضطرابات ، والثالثة: سيطر ابنه أحمد على أمور الدولة[٧] .

(١) الحداد:تاريخ اليمن السياسي ج٢ص٢٣١.

(٢)العمري :تاريخ اليمن الحديث والمعاصر(ص١٤٢).

(٣)الحداد: تاريخ اليمن السياسي(ص٢٣٤).

(٤)هو علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق الحسني الصنعاني نشأ بصنعاء وأخذ العلم عن والده وغيره ، وبرع في علوم عدة ، مال إلى الأدب ،ونظم القصائد ،ونشر فضائل علي بن أبي طالب ،توفي بصنعاء سنة ١٢٢٠هـ.انظر ترجمة :جحاف: درر نحور الحور (ص٩٥٣)،وزباره:نيل الوطر (١٢١/٢).

(٥) هوالسيد الحسين بن عبد الله الكبسي الروضي قرأ على علماء صنعاء والروضة، وكوكبان، وصار من كبار علماء عصره ، نشر العلم واستفاد عليه جماعة من الطلبة، وتولى الإمامة والقضاء ثم خرج على الدولة وسجن ، وتوفي سنة ١٢٢٢هـ.انظر ترجمته:الشوكاني :البدر الطالع (٢٢٠/١)،وزباره:نيل الوطر(٣٨٠/١).

(٦)هو الإمام المتوكل على الله أحمد بن الإمام المنصور بالله علي بن الإمام المهدي العباس ابن الإمام المنصور بن الحسين بن الإمام المتوكل القاسم الزيدي ساس الدولة في عهد والده ،ثم بويع للإمامة بعد والده وكان أول المبايعين له الشوكاني توفي سنة ١٢٣١.انظر ترجمته في :الشوكاني:البدر الطالع(٧٧/١).

(٧)جحاف :در نحور الحور العين(ص٦٣-٦٦).

(٨)العمري ، حسين عبد الله ،مائة عام من تاريخ اليمن الحديث، (ص٦١)، دار الفكر –دمشق- الطبعة الأولى .

المطلب الثاني

الحالة الدينية والاجتماعية

كانت اليمن قبلة للعلم والعلماء ومدرسة كبرى لتدريس السنة والفقه أمها كبار العلماء وأئمة المذاهب كأحمد بن حنبل والشافعي وغيرهما من العلماء ، ثم تحولت هذه القلعة الحصينة إلى ساحة مباحة لكثير من المذاهب الهدامة وغيرها من المذاهب المعتدلة[1] ، وفي عهد ابن الأمير كان ينتشر مذهبان من المذاهب الإسلامية:

١-المذهب الشافعي:

وهم أتباع محمد بن إدريس الشافعي، وكان يتركز انتشاره في المناطق السفلى والجنوبية ، ويعود انتشاره منذ القرن الرابع الهجري ، إلا أن الشافعية شأنهم شأن المذاهب الأخرى والتي تقيدت بالتقليد وبقيت متمسكة بالمذهب منغلقة عن باب الاجتهاد[2].

٢-المذهب الزيدي :

وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب، ويعدون أعظم الشيعة اعتدالا وأكثرهم قربا بأهل السنة [3] ،ويعود انتشاره إلى القرن الثالث الهجري[4]، وقد تميز عن غيره من المذاهب بالحرية الفكرية وفتح باب الاجتهاد والانفتاح على المذاهب الأخرى ،كما كانت هناك مناظرات ودروس مشتركة وتنافس بين علماء المذهبين [5] .

---

(١)الشوكاني :محمد بن علي فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية في التفسير (١ /٩) ،تحقيق عبد الرحمن عميرة دار الوفاء للطباعة والنشر مصر المنصورة ،ط٣ ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

(٢)العمري :مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ص١٧و١٨.والاجتهاد: في اللغة: بذل الجهد لإدراك أمر شاق. واصطلاحاً: بذل الجهد لإدراك حكم شرعي.والمجتهد: من بذل جهده لذلك.انظر: أبو حامد الغزالي:أحمد محمد ، المستصفى ص:(٣٤٢)تحقيق:محمد عبد السلام عبد الشافي،دار الكتب العلمية،ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م. والعثيمين :محمد بن صالح ،الأصول من علم الأصول ص(٨٥) دار ابن الجوزي طبعة عام ١٤٢٦هـ.

(٣)المصدر السابق (ص١٩).

(٤)علي محمد زيد:تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري،(ص١٥)،إصدار المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء .

(٥)العمري :مائة عام من تاريخ اليمن الحديث(ص١٧و١٨).

أما المذاهب العقائدية فتنتشر عقيدة المعتزلة[1] وبالخصوص عند الزيدية[2] حيث دخلت هذه العقيدة مصاحبة للمذهب الزيدي[3]، ومثلها عقيدة الأشعرية[4] التي كانت تنتشر عند الشافعية غالبا" فكان الجزء الساحلي يعتنق المذهب الشافعي في الفروع والمذهب الأشعري في الأصول غالبا وكان القسم الجبلي والنجدي من اليمن يعتنق المذهب الزيدي في الفروع والمعتزلي في الأصول غالبا" [5] .

وكان يعيش في أرض اليمن أيضا الصوفية[6]،فقد شاهدهم علي الأميرعند نزوله زبيد[7]

---

(١)المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية. انظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي(١/٦٤)إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ط ٤، ١٤٢٠ هـ .

(٢)الزيدية يرون صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً، ولم يقل أحد منهم بتكفير أحد من الصحابة ومن مذهبهم جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل. انظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/٧٩).

(٣) علي محد زيد :تيارت معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري (ص١٥).

(٤)الأشاعرة: فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة. وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية على طريقة ابن كلاب. انظر:الموسوعة الميسرة (٨٣/١).

(٥)الغماري :محمد حسين،الإمام الشوكاني مفسرا رسالة دكتوارة جامعة أم القرى ١٤٠٠هـ ـ١٩٨٠م ص٤٨.

(٦) هي حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقا مميزة معروفة باسم الصوفية، و تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية الهندية والفارسية واليونانية المختلفة.. انظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/٢٤٩).

(٧)زبيد هي مدينة قريبة من ساحل البحر الأحمر تقع بين الحديدة وتعز.

حيث رأى منهم الغرائب والعجائب !حيث قال:"رأيت جماعة قد حلّقوا يوم الجمعة ،وجعلوا يغنون بشعر العلوي والمزاح ، ويصفقون بأيديهم ويرفعون أصواهم بالصياح ....بل جعلوا يتمايلون تمايل الأغصان مرت بها النسائم ؛ حتى لقد كادت تسقط من رؤوسهم العمائم"(١).

ومن العقائد المنحرفة عقيدة الباطنية (٢)حيث دخلت اليمن سنة ٢٩١هـ وبقيت حتى عصر ابن الأمير ، وإن كانت محصورة في مناطق محدودة إلا أن لها صولة وجولة ،فقد عاثت في الأرض فسادا واستباحت ما حرم الله فكانت إذا استولت على قرية قتلت صغيرها، وكبيرها و سبت نساء ها ، وفعلت ما لم يكن في الحسبان (٣) .

(١)جحاف :درر نور الحور العين (ص: ٩١٠،٩١١).

(٢) فرقة متسترة بالتشيع وحب آل البيت مع إبطان الكفر المحض، وسميت بذلك لأنها ترى أن لكل شيء ظاهرا وباطناً، والظاهر هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، والباطن هو علم التأويل الذي لا يعرفه إلا هم، وهو لب الدعوة عندهم، ويرون أن الفرائض والسنن هي عبارة عن رموز وإشارات لا حقيقة لها.. ولهم مسميات وعقائد وفرق وهم من أخبث وأردأ المذاهب، وأهله من عتاة الشر وأفسد المخلوقات، وهم أعدى أعداء المسلمين قديماً وحديثاً. محاضرة لسفر الحوالي و انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للدكتور. غالب بن علي عواجي(٤٧٩/١) المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

(٣)الغماري :الإمام الشوكاني مفسرا ص٣٨

التعصب والتقليد:

اتصف عصر ابن الأمير بشدة جدل المتعصبين والمنشغلين بالخلافات المذهبية والتعصب المذهبي في زمن ورث الناس فيه التقليد وأعرضوا عن العمل بالدليل، فكان المتعصبون ينكرون على من يقول آمين في الصلاة ويضم ويرفع اليدين عند التكبير ويتورك .

وقد وصف الشوكاني أهل عصره بأنهم تشيعوا، وناصروا البدع ،وعادوا السنة ، ،وسبوا وشتموا السلف ،وجمعوا الصلوات ،وتركوا الجمع [1]، ويقول أيضا: "لم يبق إلا التقليد والتصوف" [2].

ولم يسلم ابن الأمير من متعصبة زمانه ، ففي سنة ١٢١٦هـ حدثت فتنة عظيمة سببها رجل رافضي قام بتدريس العامة كتاب تفريج الكر بات في فضائل علي بن أبي طالب، ولكنه لم يتوقف على ما في الكتاب وزاد من السب واللعن والطعن ،ثم منع من الوعظ فحضرت العامة كعادتهم ولم يحضر، فمنعوا إقامة الصلاة ورفعوا أصواتهم باللعن ، ثم انضم إليهم من هو متستر بالرفض واقتدى بهم سائر العامة فخرجوا في الشوارع يصرخون ويسبون الأحياء والأموات ، وقصدوا بيوت مخالفيهم وتزايد أعدادهم ومشجعوهم وذهبوا إلى بيت علي بن إبراهيم الأمير ورجموه لأنه كان هو المتصدر للوعظ في الجامع ولم يكن رافضيا لعانا ثم سجن ابن الأمير ومنع من الوعظ [3] .

---

(١)الصنعاني :محمد بن إسماعيل الأمير ،مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن(ج١ ص ١٤٠و١٤١) تحقيق هدى القباطي رسالة ماجستير جامعة صنعاء ، إصدار مركز الكلمة الطيبة صنعاء ط١، ١٤٢٥هـ.

(٢) االشوكاني :البدر الطالع(ج٢ ص ٢٢٨).

(٣المصدر السابق (ج٢ص ٣٤٥) وما بعدها .

تفشي الجهل والمعتقدات الباطلة :

عاش علي ابن الأمير في "عصر تفشى فيه الجهل والمعتقدات الباطلة عند العوام من الاعتقاد في القبور والتقرب بالأموات والأحياء والاعتقاد في الأشجار والأحجار، وبناء القباب والمشاهد على القبور ، وجعل النذور لها ، وتولية العمال لقبض النذور التي توضع لها" [١].

وقد عم البلاء بالبلاد الإسلامية كلها فلا تجد بلدا إلا وفيها مشاهد وقبور ومعتقدات باطلة من النذور والذبائح والطواف والدعاء ، و كل القرب و العبادات وما فيها من تعظيم ، حتى المساجد لا تخلوا من القبور والمشاهد يقصدها المصلون أوقات الصلوات [٢].

و لم يغب عن العصر ظاهرة المشعوذين والسحرة والمنجمين ،حتى بلغ الأمر إلى بعض الأمراء فكان يجلب المشعوذين من كل ملة[٣].

ومما كان في عصره المجاذيب فيقول عنهم محمد بن الأمير: "وأما المتسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم ، ويقولونها بألسنتهم ويخرجونها من لفظها العربي ؛ فهم من جنود إبليس اللعين ، ومن أعظم حمر الكون الذين ألبستهم الشياطين حلل التلبيس والتزيين"[٤].

---

(١)الصنعاني :مفاتح الرضوان (ج١ ص١٤٥).

(٢)الصنعاني :محمد بن إسماعيل الأمير، تطهير الاعتقاد عن أداران الإلحاد(ص٨٧و٨٩) تحقيق : محمد بن جبريل الشحري، مكتبة الوادعي دماج ط١ ١٤٣٠هــ٢٠٠٩م.

(٣)جحاف :درر نحور الحور العين(ص١٠٧).

(٤)الصنعاني : تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد(ص٩٧).

الأقليات في اليمن :

عاشت في اليمن بعض الأقليات من الأحباش وبقايا الأتراك الذين اختاروا البقاء في اليمن ، ولكنهم انخرطوا وذابوا في نسيج المجتمع اليمني وكانوا يدينون بالإسلام، ولم يبق في المجتمع سوى الجالية الهندية (البانيان) والذي كانوا يعيشيون في المدن الرئيسية ويعمـــلون بالتجارة [١].

و من الأقليات أيضا اليهود حيث كانوا يقومون بالإفساد في المجتمع من تحطيم الأخلاق وتقويض الترابط الأسري والاجتماعي، وكذالك تسلطهم السياسي والاقتصادي؛حتى كانت تتوالى عليهم الزيارات من كبار الحركة اليهودية بصدد الإعداد لميلاد الدولة اليهودية والتبشير بها، وجمع اليهود من أصقاع الأرض[٢] .

ولخطر اليهود ظهرت دعوات من علماء العصر بطرد هم وإخراجهم من جزيرة العرب،فلم يتم ذلك إلا إنهـــم ألزموا الصغار ، وخـــربت كنائسهم التي لم يؤذن لهم ببنائها [٣] .

وسعى ابن الأمير جاهدا بإرشاد الإمام بخطر البانيان ،ودعا لتحطيم أصنامهم التي كانت لهم في المخا [٤]،فبادر بإزالتها ،وهدم بيوتها، وقبض أموالها[٥] .

---

(١)العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر(ص: ١٣٠).

(٢) الصنعاني:مفاتح الرضوان بتصرف بسير (ج١ ص٢٠٨).

(٣) زباره :محمد بن محمد يحي ، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف (ج٣ ص ٣٦ و٣٧)إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ط٣ ١٤٠٥هـــ١٩٨٥ .

(٤) المخا : مدينة تطل على ساحل البحر الأحمر بالقرب من باب المندب تقع بين عدن وزبيد (تتبع إداريا محافظة تعز اليمنية).انظر :الحموي :معجم البلدان(٥/٦٧).

(٥)زباره: نشر العرف (٤١/٣).

الدعوة الإصلاحية :

على الرغم من البيئة الصنعانية التي غلب عليها التعصب والتقليد فقد ظهر في المجتمع اليمني من العلماء المصلحين الذين دعوا إلى الاجتهاد، ونبذ التقليد وعدم التعصب، والتمسك بالدليل ، ومحاربة البدع والدعوة إلى التوحيد.

فهاهو الشوكاني رائد عصره ورفيق درب علي بن الأمير قام بالدعوة إلى الاجتهاد ونبذ المذهبية والتعصب ، ودرس علوم الاجتهاد خاليا من التعصب سالما من الاعتساف محققا كل مسألة الراجح فيها متبعا الدليل.

ثم أيضا هو بنفسه يذكر الواقع في اليمن وتاريخه وسابقيه من العلماء المصلحين فيقول :"وانظر في أهل عصرنا،فإنه لا يخفى عليك حالهم إن كنت ممن له اطلاع على أخبار الناس والبحث عن أحوالهم "[1].

ثم ذكر العلامة محمد بن إبراهيم الوزير [2] صاحب العواصم والقواصم فقال :"فإنه قام داعيا إلى الدليل في ديارنا هذه في غربة زمان ميل من الناس إلى التقليد ، وإعراض عن العمل بالدليل والبرهان ، فناله من أهل عصره من المحن اشتملت عليه مصنفاته ،حتى ترسل عليه من ترسل من مشايخه برسالة حاصلها الإنكار عليه لما فيه من العمل بالدليل وطرح التقليد ،وقام عليه كثير من الناس وثلبوه بالنظم والنثر ،ولم يضره ذلك شيئا بل نشر الله علومه وأظهر معارفه ما طار كل مطار"[3].

---

(١) الشوكاني :محمد بن علي ،أدب الطلب ومنتهى الأرب (ص:٩٦). تحقيق عبد الله السريحي، إصدار مكتبة الإرشاد صنعاء ودار ابن حزم بيروت ط١ ١٤١٩هـ،١٩٩٨م .

(٢) هو محمد بن إبرهيم بن علي المرتضى الحسني الإمام الكبير المجتهد المطلق المعروف بابن الوزير قرأ على أكابر علماء سائر المدائن اليمنية ومكة ،تبحر في جميع العلوم وفاق الأقران، واشتهر صيته وبعد ذكره وطار علمه في الأقطار، ترجم له أهل الطوائف وأقر له المؤالف والمخالف.ت سنة ٨٤٠هـ. البد ر الطالع(ج/٢ ص٨٢،٨).

(٣) الشوكاني : أدب الطلب ومنتهى الأرب(ص:٩٦).

وبعد ابن الوزير ذكر مواقف العلامة الحسن الجلال [١] وآراء العلامة صالح بن مهدي المقبلي[٢] وما نالهما من محن وعداوات جعلت الأول يعتزل صنعاء وعلمائها ليستقر في ضاحيتها، وحملت الآخر الارتحال إلى مكة وعاش هناك حتى مات فيها[٣].

"ومن بعدهما العلامة محمد بن إسماعيل الأمير وله في القيام بحجة الله والإرشاد إليها وتنفير الناس عن العمل بالرأي وترغيبهم إلى علم الرواية ما هو مشهور معروف ، فعاداه أهل عصره ، وسعوا به إلى الملوك و لم يتركوا في السعي عليه بما يضره وطالت بينه و بينهم المصاولة والمقاولة و لم يظفروا فيه بطائل " [٤].

و على هذا لمنهج سار عبد القادر الكوكباني [٥]شيخ الشوكاني وعلي بن الأمير ، فكان لهذه الدعوة الأثر الكبير على حياة علي بن الأمير كما هو واضح وجلي من مواقفه وشدته على المتعصبين والمقلدين كما سيأتي في بابه.

---

(١)هوالسيد الحسن بن أحمد بن محمد الحسني المعروف بالجلال العلامة الكبير أخذ العلم عن علماء صعدة وشهارة وصنعاء وماحولها من الجهات تبحر في العلوم العقلية والنقلية وصنف التصانيف الجلية استوطن الجراف ومات فيها سنة١٠٨٤هـ الشوكاني :البدر الطالع (ج/١ص ١٣٣،١٣٤).

(٢)صالح بن مهدي المقبلي ثم الصنعاني ثم المكي ولد بمقبل بكوكبان وأخذ عن جماعة من أكابر علماء اليمن جرت بينه وبين علماء عصره مناظرات أوجبت المنافرة ؛ لما فيه من الحدة والتصميم على ماتقتضيه الأدلة ، وعدم الالتفات إلى التقليد ، برع في علوم الكتاب والسنة ، وكان كثير الحط على المعتزلة والأشاعرة والصوفية ارتحل إلى مكة وامتحن واستقربها حتى مات سنة١١٠٨هـ .البدر الطالع (ج/١ص٢٠٠).

(٣) الشوكاني: أدب الطلب(ص٩٧ ج١).

(٤)المصدر السابق ونفس الصفحة.

(٥)سيأتي ترجمته ضمن مشايخ المصنف بباب مفرد .

المطلب الثالث

الحالة العلمية

إن المتتبع للحركة العلمية في اليمن يجد أن حركة التأليف قد نشطت خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين نشاطا ملحوظاً ويذكر ظاهرة الاستمرارية في تلك الحركة منذ القرن الثالث الهجري وحتى القرن الثالث عشر، ويرجع ذلك إلى طبيعة المذهب الزيدي الذي اشترط توفر صفة (الاجتهاد) ضمن شروط اختيار الإمام، كما أن عناية الزيدية بالكتب أو التأليف كانت كبيرة ولا يكاد يرشح إمام للخلافة إلا إذا كان مجتهداً وله تآليف ؛ لأن ذلك من شروط الإمامة عندهم التي يجب توفرها في البيعة للإمام و بدونها لا تجب طاعته ولا تنعقد بيعته بل عليه أن يبين اجتهادا ته في مؤلف، ويناقش الإمام من قبل هيئة كبار العلماء في عصره وكان هذا حافزاً قويا لكثرة التأليف في اليمن إضافة إلى أن المذهب الزيدي يدعو للاجتهاد والتحرير(١).

وخير شاهد على ذالك ما وجدته في فهارس المخطوطات اليمنية في المكتبات العامة والخاصة من المخطوطات الهائلة ، وما كتبه الشوكاني في كتابه البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع من تراجم والذي ضم مئات من العلماء والأدباء والشعراء ، ومـــا كتبه أيضا محمد بن محمد زباره من ملحق للبدر الطالع ، ونشر العرف لعلماء اليمن بعد الألف، ونيل الوطر لتراجم علماء الثالث عشر ، ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن للحبشي وغيرها من كتب التراجم والتي حوت ذكر الكثير من العلماء ومؤلفاتهم .

وكان للدولة في عصر علي بن إبراهيم دور بارز في تشجيع الحركة العلمية وذلك من خلال الاهتمام بالعلماء في جميع الفنون فكانت النتيجة أن هذا العصر زخر بكبار العلماء المجتهدين أمثال محمد بن الأمير والشوكاني.

---

(١)ينظر:الغماري: الشوكاني مفسرا(ص: ٥٠)رسالة دكتوراه جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

المبحث الثاني

حياته

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:اسمه ونسبه.

المطلب الثاني:نشأته ومولده ووفاته.

المطلب الأول

اسمه ونسبه

اسمه :

هو علي بن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي بن حفظ الدين بن صلاح بن الحسن بن المهدي بن محمد بن إدريس بن محمد بن أحمد بن يحي بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحي بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الأمير الحسني الهاشمي اليماني الصنعاني(1).

نسبه:

نسبة بيت الأمير إلى الأمير الإمام يحي بن حمزة بن سليمان بن يحي بن حمزة بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحي بن عبد الله بن القاسم الرسي المتوفى بكحلان(2) سنة ٦٣٦هـ (3).

ونسبة صنعاني إلى صنعاء على غير القياس كالنسبة إلى بهراء بهراني ،وصنعاء صنعاني والمراد بها صنعاء العاصمة اليمنية (4) .

فهو صنعاني المسكن ،هاشمي النسب ،وبالخصوص من الأسرة الهاشمية التي حكمت اليمن لأكثر من عشرة قرون من آل القاسم الرسي .

---

(1) الشوكاني :البدر الطالع ترجمته ج/١ ص ٢٩٤ وترجمة جده ج/٢ص١٣٣،و زباره: محمد بن محمد زباره ،نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر المطبعة السلفية القاهرة ١٣٥٠هـ ،ترجمته ج٢/ ض١١٠ ووصلتها بترجمة والده ج١/ص٢٨ .

(٢)تتبع محافظة حجة اليمنية وتقع على الشمال الغربي من صنعاء .

(٣)زباره:نشر العرف ٢٩/٣، المقحفي :إبراهيم ،معجم البلدان والقبائل اليمنية دار الكلمة للنشر والتوزيع صنعاء والمؤسسة الجامعية بيروت ج١/ ص١٤١ .

(٤)الحموي:شهاب الدين،معجم البلدان دار صابر بيروت ج٣/٤٢٦ط٢ ١٩٩٥م

المطلب الثاني

مولده ونشأته ووفاته

مولده:

ولد في شهر ذي القعدة سنة ١١٧١هـ إحدى وسبعين ومائة وألف بمدينة صنعاء العاصمة اليمنية ،وكان ولادته في حياة جده الإمام المجتهد المطلق العلامة إمام عصره محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني صاحب سبل السلام والمؤلفات الكثيرة المتوفى سنة١١٨٢هـ[1] .

نشأته:

نشأ على الطاعة والعبادة والتقوى والعلم ،بمدينة صنعاء مدينة العلم والعلماء ، وفي بيت علم ودين في كنف والده إذ كان له الأثر الكبير في حياته ، فقد أخذ الكثير من صفاته إن لم يكن جلها سواء في العلم ،والزهد، والأدب، والوعظ، والخطابة، والفصاحة؛ فأبوه كان من العلماء الحفاظ والزهاد والعباد والوعاظ.

بينما أبوه أخذ العلم عن والده فهي ذرية طيبة بعضها من بعض والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه [2] .

وما زال أبوه إبراهيم رحمه الله على صلة كبيرة بينه وبين ولده علي من التوجيه والإرشاد ،حتى بعد سفر ه وإقامته بمكة فقد جرت بينهما مراسلات ومكاتبات؛ فمما كتب له أبياتا يزهده في الدنيا فقال رحمه الله:

بَرَزْتُ مِنَ المنازِلِ والقِبَابِ ... فلم يَعْسُرْ على أَحَدٍ حِجَابِي [الوافـر]
فمنزليَ الفضاءُ وسقفُ بيتي ... سماءُ اللهِ أوْ قطعُ السحابِ

(١)الشوكاني :البدر الطالع (ج١/ص٢٩٠) ، و زباره:نيل الوطر(ج٢/ص١١٠).وقد سبقت ترجمته(ص:١٣).

(٢)الشوكاني البدر الطالع(ج١/ص٢٩١).

فأنتَ إذا أردتَ دخلتَ بيتي ... عليَّ مُسَلِّمــاً مــن غَيْرِ بــابِ
لأني لم أجدْ مصراعَ بــابٍ ... يكونُ مِنَ السِّحَابِ إلى التُّرَابِ
ولا أنشقَّ الثرى عن عودِ تختٍ ... أؤمل أنْ أشدَّ بهِ ثيــــابي
ولا خِفْتُ الإبَاقَ على عبيدي ... ولا خِفْتُ الهلاكَ على دَوَابي
ولا حاسبتُ يوماً قهرماناً ... مُحاسبة فأغْلَــظُ في حِسَابِي[1].

وفاته:

وبعد حياة حافلة بالعلم والتعلم والدعوة إلى الله تعالى أتته المنية بصنعاء في يوم الاثنين يوم عيد النحر ١٠ذي الحجة الحرام سنة(١٢١٩هـ) عن ثمان وأربعين سنة و قبره بخزيمة مقبرة صنعاء المشهورة[2].

وكان سبب وفاته علة الناصور، ولما دنا أجله رأى في المنام المؤرخ لطف الله جحاف صاحب درر نحور الحور العين ، جاءه فقام مسرورا وكتب إليه وهو آخر شعر قاله:

رأيت لطف الله في نومة .... فقمت بعد النوم مستبشرا[البسيط]
ولو أتاني شخصه يقظة .... لكنت للراحة مستحضرا

ثم جاءه في تلك الحال وأملى عليه ما قال فرحمه الله وإيانا وجميع المسلمين[3].

---

(١) زباره:نيل الوطر (ج/١ ص ٣١) هذه الأبيات لأبي الشمقمق ؛ وليست له ،انظر: ابن عبد ربه الأندلسي:العقد الفريد(٣٥٣/٢) دار الكتب العلمية،بيروت،ط١٤٠٤،١هـ.

(٢)زباره:نيل الوطر (ج١/ص١١٤,١١٥).

(٣)جحاف:درر نحور الحور العين(ص:٩٢٣).

المبحث الثالث

حياته العلمية

وفي المبحث عدة مطالب:

المطلب الأول: طلبه للعلم ورحلاته.

المطلب الثاني:شيوخه وطلابه

المطلب الثالث:مصنفاته.

المطلب الرابع:ثناء العلماء عليه.

المطلب الخامس:جهوده في الدعوة والتدريس.

المطلب الأول

طلبه للعـــلم ورحلاته

أخذ العلم صغيرا من والده فهو المدرسة الأولى التي فيها نشأ ومنها تخرج فقد أخذ الكثير من العلوم منه [١] ،أما والده فأخذ عن أبيه أيضا فقد قيل : ورث محمد بن إسماعيل الأمير ثلاثة من أولاده :فإبراهيم براعة والده وفصاحته ، وعبد الله اشتغل بالحديث وفنونه ، وقاسم بتحقيق علوم الآلات والعبادة[٢].

كما أخذ عن غيره من علماء صنعاء، وكان كثير التنقل في الديار جاب الأنجاد منها والأغوار ،وقصد مدينة زبيد وبيت الفقيه[٣] والمخا،ونزل بزبيد وأخذ عن شيوخهم وحدث عنهم ، وكاتب أكثر أهل البنادر وطارحهم الحديث ،ورحل إلى كوكبان مرات فلاقى أعلامها وأخذ من علمائها [٤] "وحج مرات وتردد ما بين صنعاء ومكة "[٥].

"ألف وقرأ في العربية والحديث، واستفاد كثيرا في أسرع مدة ، مع أنه لم يشتغل كثيرا، ولكنه كان مفرط الذكاء ،سريع الفهم ،قوي الإدراك، جيد الفطنة، يتوقد ذكاءا فصيح العبارة، فائق النظم والنثر[٦].

مال إلى الأدب ، ثم تركه مبكرا وأقبل إلى الوعظ والتصنيف والتدريس[٧] بعد أن كره إليه والده مطالعة كتب الأدب بعد أن ألف وصنف فيها وأقر له أهل الاختصاص

---

(١)زباره:نيل الوطر (ج٢/ص١١٠).

(٢)زباره:نشر العرف (ج٣/ ص٦٨)،نيل الوطر(ج٢/ص٩٩).

(٣) هي مدينة يمنية صغيرة تقع بين الحديدة وزبيد.

(٤)جحاف:درر نحور الحور (ص:٩٠٦).

(٥)الشوكاني :البدر الطالع (ج٢/ص٢٩٠).

(٦)المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

بتمكنه في هذا المجال وحبب إليه كتب أهل العلم وأشار إليه بتدبر كلام الله عز وجل والتأليف في علومه ، فكانت نقطة تحول في حياته باتجاهه نحو المجالات الشرعية ، وكان هذا التحول من نتائجه تأليف كتاب (السر المصون في نكتة الإظهار و الإضمار) وغيره من الكتب والبحوثات في العلوم الشرعية[1].

وكان لا يرى الرأي ولا الاستحسان[2] ولا القياس[3] ولا التقليد[4] ،وكان مذهبه العمل بالحديث الضعيف إن لم يجد في الباب غيره صحيحا سيما ما ورد في الترغيب والترهيب و فضائل الأعمال فإنه كان يثابر عليها ويعمل بها، وكان يعجب الناس من حسن تصرفه ،فكان يرد بما يسلمه الخصم[5].

وله مناظرات مع أهل عصره فكان يغلبهم بحجته القوية وفصاحته البليغة، فقد جرت بينه وبين محمد بن أحمد مشحم[6] في حكم تحلية الجنبية(الخنجر اليمني) بالذهب فطال الجدال فأجاب عليه ابن الأمير برسالة سماها (برهان من ذهب إلى تحريم تحلية الجنبية بالذهب)فأقام عليه الحجة وغلبه [7] .

وجرت أيضا بينه وبين" إبراهيم بن عبد القادر[8] مناظرة جرها الحسد،فغلبه بفصاحة اللسان وتمام البيان ،ثم تقاطعا وكان هو البادئ بالمسير ولكنه لم يقبله[9]".

---

(١)الأمير:علي بن إبراهيم،السر المصون في نكتة الإظهار والإضمار مخطوط (ص١).

(٢)الاستحسان: وهو الذي يسبق إلى الفهم، أو ما يستحسنه المجتهد بعقله. الغزالي: المستصفى ص:(١٧١) .

(٣) القياس لغة: التقدير والمساواة.واصطلاحاً: تسوية فرع بأصل في حكم لعلّة جامعة بينهما.العثيمين:الأصول من علم الأصول (ص:٦٨).

(٤)التقليد لغة: وضع الشيء في العنق محيطاً به كالقلادة.واصطلاحاً: اتباع من ليس قوله حجة.المصدر السابق(ص: ٨٧).

(٥)زباره:نيل الوطر (ج٢/ص١١٣).

(٦) هو محمد بن أحمد بن جار الله مشحم الصعدي فقيه يماني، شاعر، اشتهر في صنعاء، وولي الخطابة والقضاء في بعض المدن اليمنية ، صنّف رسائل جمعت في مجلد،وتوفي بصنعاء سنة١٢٢٣هـ. انظر ترجمته:الشوكاني:البدر الطالع(١١٦/٢)،الزركلي:الأعلام(١٤/٦).

(٧)جحاف:درر نحور الحور(ص:٩١٩).

(٨)هو إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الكوكباني الحسني: فقيه زيدي، أصله من كوكبان (باليمن) ومولده في صنعاء له شعر فيه رقة، وصنف كتبا ورسائل فقهية، منها (كشف المحجوب عن صحة الحج بمال مغصوب) توفي بصنعاء اليمنسنة١٢٢٣هـ .انظر ترجمته: الشوكاني:البدر الطالع(١٧/١)،الزركلي:الأعلام(٤٨/١).

(٩) جحاف:درر نحور الحور (ص٩٢١) .

المطلب الثاني

شيوخه وطلابه

شيوخه:

ذكر المترجمون أنه أخذ عن علماء صنعاء وكوكبان وزبيد على وجه الإجمال وأما الذين ذكروهم بالتحديد هم:

١–والده إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني:

عالم الدنيا وحافظها وخطيب الأمة وواعظها ،أخذ عن أبيه في علوم الآلة والحديث والتفسير وأكثر مؤلفاته وأجازه واستنابه والده في الخطابة ونظارة الوقف بصنعاء ،كما أخذ عن غيره ، و أتقن القرآن وجوده على مشايخ الحرمين [١] .

وكان فصيحا مفوها، بليغا خطيبا،واعظا ناظرا، عارفا بفنون من العلم لاسيما الحديث والتفسير[٢]" له مصنفات في الوعظ والرقائق والتصوف وهي مشحونة بالفصاحة والبلاغة[٣] " أحذ عنه ولده علم اللغة وأسمع عليه شطرا صالحا في الحديث توفي سنة ١٢١٤ هـــ.

٢–السيد عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر شرف الدين الحسني الكوكباني:

الإمام المحدث الحافظ المسند المجتهد المطلق نشأ بكوكبان فقرأ على علمائها، ثم ارتحل إلى مدينة ذمار فأخذ عن شيوخها الفرائض ، ثم ارتحل إلى مكة والمدينة فأحذ من علماء الحرمين ،ثم عاد كوكبان وصنعاء واستقر هناك ينشر العلم ويفيد الطالبين توفي سنة١٢٠٧هـــ[٤] ، أخذ عنه المؤلف فن المعمى وغيره من العلوم والفنون[٥].

---

(١) زباره :نيل الوطر (ج١/ص٢٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) الشوكاني :البدر الطالع (ج٢/ص٢٩١).

(٤)المصدر السابق(١/ ٢٥١).

(٥)زباره :نيل الوطر(٢/١١٠).

طلابه:

١–الفقيه إبراهيم بن محمد حسن اليعمري اليمني

لازمه دهرا طويلا وانتفع بعلمه توفي سنة ١٢٢٣هـ[١].

٢ –يوسف بن إبراهيم الأمير الصنعاني

وهو شقيقه، فصيح وشاعر ، تردد بين صنعاء و مكة وأقام بها وتزوج وأولد توفي سنة١٢٤٤هـ[٢].

أسباب قـــلة طلابه:

١– تصدر والده وأعمامه التدريس وكبار العلماء المعاصرين له مثل الإمام الشوكاني وغيره .

٢ – بعض الآراء الشاذة التي انفرد بها ، وإنكاره لبعض مظاهر من يتصفون بالعلم في عصره فنفر منه أهل العلم و رموه بالبدعة .

ومن أقرانه رحمه الله :

الإمام محمد بن علي الشوكاني رحمه الله المتوفى سنة ١٢٥٥هـ

كانت بينهما علاقة وطيدة حيث كان كثيرا ما يتردد عيله إذا حدثت له أشياء ويساعده بقضاء حوائجه وجرت بينهما مكاتبات شعرية فمما كتب إليه [٣]

طبل شيطانى ومزمار الهوى **** ضربـــا والنفس باتت ترقص [الرمـــل]

ورياض القـــلب قد أهملها **** عدم التقوى فباتت تنقـــــص

أعرب اللفظ بقرآني وكم **** ألحن المعنى فهل لى مخـــــلص

يالقومى لم أجد محتسبـــا **** فاضلا عن منكراتى يفـــحص

(١)انظر ترجمته: زباره :نيل الوطر (ج١/ص٥)، وجحاف :دررنحور (ص:١١٥٥).

(٢)انظر ترجمته: نيل الوطر:(ج٢/ص٤١٥).

(٣)الشوكاني:البدر الطالع (ج١/ص ٢٩٠).

فأجابه الشوكاني:

قد شققت الطبل والمزمار مـــا * * * مثلك اليوم لزمر يرقـــــص [الرمـــل]

وكذاك النفس قد ألجمتهـــــا * * بـــلجام الزهد وهو المخلـــص

أنت لا تفحص عن عيب امرء * * تـــب من ظل لعيب يفحـــص

فرض النفس إذا زاد الهـــوى * * * فهو إن مـــا رضتها ينتقـــص

يالحا الله أناســـا كلمــــــا * * * لاح للأطـــماع برق بصبصوا

وإذا نـــال الفتى مكـــرمـــــة * * * كان من ذاك لديهم غـــصص[1].

---

(١) الشوكاني :البدر الطالع (ج١/ ص٢٩٠).

المطلب الثالث

مصنفاته

١- برهان من ذهب إلى تحريم رأس (الجنبية) بالذهب.

بحثٌ ذكر في كتاب البدر الطالع ، ونيل الوطر[1].

٢- البشائر والصلات بأسرار الصلاة.

ذكر في كتاب النفس اليماني [2].

٣- تأنيس أرباب الصفا في مولد المصطفى.

ذكر في كتاب: نيل الوطر،والبدر الطالع،ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن [3].

٤- تشنيف الآذان بمعاني أسرار الأذان.

خ/مكتبة سيئون وأخرى جامع الغربية ٣٨١،ثالثة بهولندا،ورابعة المكتبة الغربية٢٦ مجاميع طبع بتحقيق عبد الله محمد الحبشي [4] ،وأيضا طبع من غير تحقيق بدار الحرمين بالقاهرة سنة ١٤١٩هـــ.

٥- تفسير القرآن بالقرآن.

خ/ في المكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء، برقم (١٨)[5].

---

(١)البدر الطالع (ج/١ص٢٩٠)،ونيل الوطر (ج/٢ص١١١)، و الحبشي، عبد الله محمد: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص:٢٧٣)إصدار المجمع الثقافي أبو ظبي٢٠٠٤،والجنبية هي الخنجر التي يلبسها بعض أهل اليمن.ووقعت في بعض المصادر من غير ذكر رأس.كما سبق.

(٢) الحبشي :مصادر الفكر(ص٣٥٨).و لم أعثر عن كتاب النفس اليماني.

(٣)البدر الطالع (ج/١ص٢٩٠)،ونيل الوطر (ج/٢ص١١١)ومصادر الفكر للحبشي (ص:١٠٣).

(٤) الحبشي :مصادر الفكر (ص:٢٧٣) ، البدر الطالع (ج/١ص٢٩٠)،ونيل الوطر (ج/٢ص١١١)

(٥) الحبشي :مصادر الفكر(ص:٤٠) وبعضهم نسبها لوالده،وعندي نسخة مصورة منه صدرت باسم المؤلف، مبتورة من أولها ، وغير مكتملة ،عددها (٢٤٢) ورقة، أصلها بالمكتبة الغربية بصنعاء برقم(٤٥) .

٦ – الحجة البالغة بصحة الأسئلة الشائعة.

خ/ في مكتبة الأمبروزيانا، في إيطاليا، برقم (G٢١٣)[١].

٧– ديوان شعر[٢].

٧– ذيل القول السديد

ذيل القول السديد:–خ، في المكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء. (٢٥–٢٧) [٣].

٩ – الروض المطلول في أعراض قصيدة البهلول وشرحها شراب السكر المحلول في ظل الروض المطلول.

خ/ في المكتبة الغربية بجامع صنعاء(٣٤)وأخرى(٦٨)،والفاتيكان(١١٩٢,١٠٦٥٩)[٤].

١٠– السر المصون في نكتة الإظهار والإضمار في أكثر الناس، وأكثرهم لا يعلمون

خ/في المكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء[٥].

١١– سوانح الفكر وموانح الذكر:

جعله على منوال صيد الخاطر لابن الجوزي وجعله على فقرات خ/بمكتبة المؤرخ زباره وأخرى بمكتبة محمد عبد الخالق الأمير وأخرى في المكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء.(٤٧–٤٨)[٦] وقد طبع وحقق منه سانحة البدعة للدكتور المرتضى بن زيد المحطوري إصدار مركز بدر العلمي صنعاء.

---

(١) الحبشي :مصادر الفكر(ص: ٢٧٣).

(٢)المصدر السابق (ص:٤٥٣) .

(٣) صحيفة الجمهورية اليمنية الخميس ٢٣ ديسمبر ٢٠١٠ تحت مقال (علم الأمير) العدد(١٥٠٢١)،كاتب المقال عبد الولي الشميري .

(٤) الحبشي :مصادر الفكر(ص :٣٥٩).

(٥) سيأتي ذكره في وصف المخطوطة إن شاء الله(وهو موضوع بحثي).

(٦) الحبشي :مصادر الفكر(ص:٣٥٨) ، و زباره:نيل الوطر (ج/٢ ص ١١٠).

١٢- سؤال وجواب حول أهل البيت [١].

١٣- سوق الشوق لأهل الذوق من تحت إلى فوق.

خ/ في المكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء، برقم(٥٠). وأخرى بمكتبة تريم [٢].

١٤- الفتح الإلهي في تنبيه اللاهي.

خ/ في المكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء.

(٦٤/٦٦) وأخرى خ/مصور بدار الكتب المصرية برقم(٢٩٧) [٣].

١٥- القول السديد في التوسل بكلمة التوحيد.

قصيدة قالها لما نزل الفرنسيون بمصر خ/ في المكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء ٣٤، وأخرى في مكتبة الأوقاف للجامع الكبير ٩ مجاميع [٤].

١٦-النفحات الربانية واللمحات الرحمانية.

خ/ في المكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء، برقم (٨١) مجاميع. وأخرى(٢٦) [٥] .

---

(١) ونسبها الحبشي للمطهر بن علي الأمير ولكني لم أعثر ترجمة بهذا الاسم ؛ فلعلها للمؤلف كما نسبها الشميري في مقاله السابق الذكر في صحيفة الجمهورية . انظر مصادر الفكر (ص:٥٣١).

(٢)الحبشي: مصادر الفكر(ص: ٣٥٨) ، ونيل الوطر (ج/٢ ص١١١).

(٣) المصدر السابق.

(٤) الحبشي:مصادر الفكر(ص:٣٥٨).

(٥)المصدر السابق.

المطلب الرابع

ثناء العلماء عليه

قال : الإمام الشوكاني رحمه الله:

"له فصاحة وبراعة، وقوة نفس وعفة، وإنكار للمنكر بما يستطيعه، وتبلغ إليه قدرته، وله في الذب عن الغيبة والنميمة غاية كاملة لا يدع أحدا يذكر أحدا في مجلسه بسوء، وله أذكار وصبر على تعليم العامة ما يهمهم أمر دينهم"[(١)].

قال :عبد الرزاق البيطار صاحب حلية البشر:

"نشأ من أول أمره على الطاعة والعبادة والتقوى، وله في التصوف اليد العالية والمعارف السامية ،إلى أن حصل على مطلوبة وحاز على مرغوبه ،كان له في الوعظ أسلوب حسن ،وله في القلوب تأثير يسري على الصغير والكبير" [(٢)].

قال : لطف الله جحاف :

"ثالث القمرين ،وأبو الحسنين الواصف الراصف ،المادح الصادح ،كان ذا سنة وله كمال الحض على السنن" [(٣)].

قال : محمد بن محمد زباره:

"هو السيد العلامة الفهامة الشهير علي بن إبراهيم الأمير.... كان مفرط الذكاء ،سريع الفهم، قوي الإدراك ،فائق النظم والنثر ، فصيح العبارة" [(٤)] .

---

(١) الشوكاني :البدر الطالع (ج١/ ص٢٩٠).

(٢) البيطار: عبد الرزاق ،حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر(ج٢/ص ١٠٩١) تحقيق :محمد بهجة البيطار،تحقيق مجموعة اللغة العربية إصدار دار صابر، دمشق ط٢،١٤١٣هـ.

(٣) جحاف :درر نحور الحور(ص:٩٠٢)، زباره :نيل الوطر(ج٢/ ص١١١).

(٤)زباره :نيل الوطر (ج٢/ ص١١٠).

المطلب الخامس

جهوده في الدعوة والتدريس

تصدر للوعظ وتعليم العامة أمور الدين فعقد المجالس بجامع صنعاء وبغيره من مساجدها وبجامع الروضة[1] ،وكان يجتمع عليه جمع جم كثير مقبلين على وعظه، فكان ينحدر عندما يتكلم من أول المجلس إلى آخره لا يتلعثم في عبارة ، ولا يتردد في لفظه كأنما يملي من كتاب ،ويستطرد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ويسرد من ذالك شيئا كثير بعبارة حسنة ، ومسالك مستحسنة [2].

وكان يدرس تفسير القرآن الكريم فيقعد وينصب بين يديه كتابا في التفسير فيقرأ الآية القرآنية من كتاب الله ،ثم يغمض عينيه فيفسر الآيات فتسمع منه بحرا متلاطما من غزارة علمه وقوة حفظه وذلاقة لسانه [3] .

وقد استجاب له الناس فقد دعاهم في موعظة إلى حضور صلاة الجماعة عند سماع الأذان فكانوا يغلقون حوانيتهم ويذهبون إلى الصلاة ، وألزم رجلا يخرج إلى السوق يخرج فينادي في الناس لحضور صلاة الجماعة.

وكان يألف المساكين ويحب مجالستهم فانحرفت عنه كثير من الصدور والمنتسبين للعلم ورموه بالبدعة حين أنكر عليهم أمورا منها: مشيهم الخيلاء، وكبر عمائمهم، وطول أكمام قمصانهم ،وتجنبهم للضعفاء والمساكين وكان كثير السخرية منهم.[4]

(١) هي منطقة شمال صنعاء وقد كانت قديما من أجمل مناطق العاصمة صنعاء وكانت تشتهر ببساتينها الرائعة ؛(إلا أن معظم بساتين الروضة الآن اختفت بفعل التوسع العمراني للعاصمة وأيضا شح المياه ونضوب الآبار،وفيها عدد من الأماكن الحيوية والمهمة في العاصمة أهمها مطار صنعاء الدولي) .انظر:الموسوعة اليمنية(١/ ١٤١٣)،مؤسسة العفيف صنعاء ،ط٢،١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

(٢)الشوكاني :البدر الطالع (ج١/ص٢٩٠).

(٣)جحاف:درر نحور الحور (ص: ٢٢١).

(٤)زباره :نيل الوطر(ج٢/ص١١٢).

ولما ثار العامة على وزراء الدولة في مدينة صنعاء سنة١٢١٦هـ حبس مع آخرين ومنع من الوعظ فلم يستكن ويقعد ، بل واصل دعوته فعمل القصائد الملحونة ، وألقاها على المنشدين بالأبواب والأسواق والطرقات ينعي فيها العمال والوزراء والقضاة وكل مفرط في دينه ومن يتساهل في الأمور الشرعية ،فوضعوا لها الألحان الرائقة فحفظها الصغير والكبير والرجل والمرأة والعالم والعامي وكان يقول: "منعنا من الوعظ في المساجد فأدخلناه البيوت والمجامع".

وقد لقيت دعوته قبولا عند العامة والخاصة ، فقل ما يرى منكرا بين الناس يخالف الشرع إلا وتجد كل واحد يقول: قال: السيد علي في قصيدته الفلانية كذا، فتأثر الناس بذالك كثير فتركوا الغيبة والنميمة والكذب والربا والزنا والحلف وأكل أموال الناس بالباطل وصلح به خلق كثير لا يحصون ، وكان كثير الحض على السنن وسباقا لها فكان يخرج يوم العيد مكبرا رافعا صوته حتى يجئ الإمام، وإذ اشتد القحط خرج بالناس وصلى بهم صلاة الاستسقاء ويدعوا بمن حضر(١).

وكان صاحب سنة، إلا أنه يحب المداراة والقول بالجملة والألفة، وله كمال حض على السنن، ويبقى أن الكمال لله سبحانه وتعالى فإنه رحمه الله قد وقع في مسائل خالف فيها الصواب منها احتفاله بالمولد النبوي ، وحضه على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد كل صلاة حتى أثبتها سنه (٢)، ولعل هذا التأثر يرجع إلى اختلاطه بالصوفية بزبيد عند نزوله إليهم وربما اطلاعه على بعض الكتب المشحونة بالتصوف .

---

(١) جحاف: درر نحور الحور (ص:٩٢١) وما بعدها بتصرف ،زباره :نيل الوطر (١١٢/٢).

(٢) جحاف: درر نحور الحور (ص:٩١٧) ، زباره :نيل الوطر (١١١/٢).

المبحث الرابع

حياته الأدبية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: علي الأمير شاعرا.

المطلب الثاني : من آثاره الأدبية.

المطلب الأول

علي الأمير شاعرا

لقد دأب في الأدب من بداية الطلب فجاء بالعجب ،فحبب إليه الملاقاة للأدباء والشعراء في عصره ،وكاتبهم بسحره المبين ،وطارحهم أحاديث المتقدمين ، ونظم القصائد الطنانة والمقطعات الحسنة ،وانتقد أمورا خفية على المتأدبين ،فأحبوه وزاد شغفهم به وكاتبوه وقصدوا مترله .

فطارت شهرته أرجاء اليمن ، وتحدث الناس عنه وعن مجرياته،واشتغل أهل الفن بما جمعه من سحر أدبياته فكتبوا شعره وحفظوه ووضعوا له الألحان الرائقة،ولكثرته على جودته لا تجد فيه محلا للانتقاد ،وما عاب شعره بصير بالأدب[1].

وأما إذا تصرف في الشعر فإنه يحير العقول ،فقد سمع قول الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله: [2]

أذان المـــــــــرء حين الطفــل يأتي *** وتأخير الصـــــــلاة إلى الممـــات[الوافر]

دليــــــل أن محيـــاه قــــــــــليل *** كمـــا بين الأذان إلى الصـــلاة

(١)جحاف: درر نحور الحور العين(ص :٩٠٢) بتصرف يسير ،والشوكاني: البدر الطالع (٢٩٠/١).

(٢)جحاف:درر نحور الحور العين (ص :٩٢٣).

فقال رحمه الله:

فذاك الجنازة تـــــــــــأذينها *** بأذنك طفلا فكـــن ذا استقامة[المتقارب]
فذاك الأذان وتلك الصــــــلاة *** ووقت الإقـــامة وقت الإقامة[1].

وقد تنوع شعره بين الملحون (الحميني)، والعربي الفصيح، ومن الغزل والمديح اتخذ إطارا رمزيا يبث خلاله نصائحه ومواعظه وتوجيهاته، سرت في قصائده تراكيب باللهجات المحلية، وخاصة في مزدوجاته ورباعياته. مال أحيانًا إلى التلاعب بالألفاظ. تميــزت قصائده بلغة رصينة وبناء محكم وأسلوب من سماته القوة، وصور تجمع بين التقليدية والابتكار.

فمن شعره:[2]

في لحـــــظِهِ وقوامـــــــــــــهِ *** بيـــــض البواتـــــر والصفــاحْ[الكامل]
فإذا شـــــكيت إليه منـــــــــ *** ـــــه فكلنا شـــــاكي الســـلاح

وله:[3]

سلّ السُّيوف من الجفـــون لفتْنتي *** عمدا وأغمد في الفؤاد صفـــاحها[الكامل]
أتراه يمكنني الخـــلاص من الهوى *** والعين قد طرحت علي سلاحـــها

---

(١)وقت الإقامة الثاني كناية عن المكث في الحياة الدنيا.

(٢)العمري :محمد بن عبد الله ،سفينة الأدب والتاريخ، (٢ / ٨٩٨)،تحقيق عبد الله حسين العمري ،دار الفكر المعاصر- بيروت ودار الفكر دمشق ط١.وللمزيد ينظر موسوعة البابطين للشعراء العرب.

(٣)المصدر السابق. وللمزيد ينظر موسوعة البابطين للشعراء العرب.

وله في البديع غير المتصنع:[1]

يا الله يا من للمتـــــاب تقبل *** أسألك تقبل يا كريم متابي[الحميني]

يا من له في خلقه المعـــــــول *** مالي سواك ألقي إليه طـــلابي

فغير بابك كل باب مقفـــــل *** فادفع بفضلك ياكريم حجابي

واغفر فظهري بالذنوب مثقـــل *** واجعل الأفعال جميل مـــآبي

وله في الوعظ والتوسل:[2]

الدنيا مشقه ما فيها ولا مستريح *** فاعط الصبر حقه واترك كل فعل قبيح[الحميني]

ياجاهل تفقه لاتهمل كلام النصيح *** خليهـــا على الله سلم له جميع الأمور

وقال أيضا:[3]

يا ذا الجود ماله منجا منك إلا إليك ** قد ضاع احتياله راكن واتكاله عليك[الحميني]

ارحم ضعف حاله ولا تفضح وقوفه لديك ** خليهـــا على الله سلم له جميع الأمور

---

(١)العمري:سفينة الأدب والتاريخ (٣/ ١٣٤٤).

(٢)المصدر السابق (١٣٤٦/٣).

(٣) المصدر السابق (١٣٤٧/٣).

وكان رحمه الله له مكاتبات ، ومطارحات أدبية ،شعرا ونثرا ؛ مع معاصريه فقد كتب له لطف الله جحاف :

تترهنا بحدة[1] في ريـــــاض *** لجين الماء فيها ســـال جـودا[الوافـر]
ومذكنا بأجمعنا صـــــدورا *** بها فرش الغصون لنـــا ورودا

فأجاب عليه:

ألـطف الله كيف تقـــول إنا *** تترهنا بحــدة في ريـــــاض[الوافـر]
عكست فلم يكن متنــزها غيرنا *** عنها وعـن تلك الحيـــاض

فقال معلقا:"لا يختلف أهل اللغة في أن التتره التباعد عن المياه والأرياف ،ولكنها غلبتهم العامة بعكسهم الأوصاف فجعلوا التتره الخروج إلى البساتين ذات الأنهار والإقالة بظل الأشجار[2]".

ومع تمكن علي بن إبراهيم الأمير في الشعر لكنه منذ سنة ١٢٠٨هـ ترك الشعر والتفت إلى العبادة والوعظ، وبعد فتنة صنعاء سنة ١٢١٦هـ وخروجه من السجن ومنعه من الوعظ ، رجع لنظم القصائد الملحونة (الحميني)ويلقيها على المنشدين فكان لها تأثير كبير بين الناس [3]، وما زلنا نسمع قصائده إلى اليوم تلحن من المنشدين في صنعاء .

(١) حدة: مترل بين جدّة ومكة من أرض تهامة في وسط الطريق، وهو واد فيه حصن ونخل وماء جار من عين، وهو موضع نزه طيب.الحموي: معجم البلدان (٢/ ٢٢٩).وحدة هي منطقة في صنعاء وكانت خارج صنعاء قديما ،ولكن اليوم ومع التوسع العمراني بصنعاء أصبحت حيا من أحيائها. ولعله قصد الأولى ، والله أعلم.

(٢)جحاف :درر نحور الحور العين (ص: ٩٠٢و ٩٠٣).

(٣)العمري :سفينة الأدب والتاريخ (٣ / ١٣٤٢) .

المطلب الثاني

من آثاره الأدبية

من قصيدة: مقاتل الشجعان*

[الكامل]

نَصْبُ القوام وكسرة الأجفان ... جزَمًا برفعِ النوم من أعياني

ماكنت كنت أدري أنها ضمنت هلا ... كَ العاشقين محاجرُ الغزلان

سودٌ فواترُ ما لقوّة بيضها ... ضعفٌ ومنه مقاتل الشجعاني

يوحي الغرام إلى القلوب بمرسلٍ ... من نبلها في فترة الأجفان

أبدت لنا من معجزات السحر ما ... ترك القلوب تفيض بالأشجان

ولآية السيف التي في جفنها ... قسرًا وجدتُ حلاوة الإيمان

عجبًا لشرع الحب تَتَّبع الهوى ... حكّامُه والحبُّ دار هوان

أ خلى القلوب عن السلوِّ فأصبحت ... مثل الربوع خلت عن السكان

يا للرجال أما لمن عبث الهوى ... بفؤاده عونٌ على الأحزان

حتى اصطباري خانني عجزًا وآ ... فات الغرام خيانة الأعوان

وبمهجتي مَن نَبَّهَتْني للتصا ... بي، فيه فترةُ طرفه النعسان

بدرٌ كأن الحسن يعشق ذاته ... لكنه خالٍ عن الإحسان

إن قلت صِلْني زاد عني نفرةً ... فكأنني أُغريه بالهجران

جُبِلتْ على حب النفار طباعه ... إن النفار سجية الغزلان

ما لي وتذكار الغزال وحبِّ من ... لم يدرِ ما قلبي عليه يعاني؟

ومن الضلالة شغْلُ قلبك بالذي ... شغَلَتْهُ عنك مطالب السلوان

هل ترتضي العليا تَشاغُل خاطري ... عنها وألغاها بذكر الغاني

خَلِّ التغزُّل بالحسان لفارغٍ ... يلهو بوصف كواعبٍ وحسان

واستغنِ عن مدح الكريم بمدح أكـ ... ـرمِ مرسلٍ طه شفيع الجاني

---

*انظر:زباره :نيل الوطر(٢/١١٤).

من قصيدة:ذل الخشوع*

قِفْ بذلِّ الخشــوع فــي الأعتـــابِ ... قارعًا باب ربك الــوهــابِ[الخفيف]

فهْو بــابٌ مــجــرّب للغنى، مَنْ أَمّه ... نــال بــغــــــــية الطلاّب

قــد بنــاه للســائلـيــن على الفتْــ ... ـــحِ، إذا شــين غــيره بــاحتجاب

لم يــخب من أتــاه كلا ولم يــقـــ ... ـــنع له مــن غنــيــمةٍ بإيــاب

مــرِّغِ الخدَّ فــيـــــه إن رمْتَ عزًا ... واجْرِ دمع العــيون بــالــتسكــاب

فَذَوُو العز مـــن أُولــــي العزم عزُّوا ... واستذلــوا هــنــاك ذل الرقـــاب

وأقــامــوا فــي بــابــه كل حينٍ ... ما لهم عن أعتــابــه مــن ذهــاب

فــاجعلِ الله نُصْبَ عــيــنك واتركْ ... مــا ســواه تفز بحسن الـــمآب

وتــوكَّلْ عــلــيــه فــي كل حالٍ ... فهْو يكفــيك أمـــــر كل اكتئاب

وتــوسَّلْ بــمبــدأ الكــون خَتْم الرْ ... رُسْل أعلى الورى رفــيع الجنــاب(١)

مــن رقَى في العلا إلى قاب قوســيـ ... ـــنِ، وأدنــاه ربّه للخطــــــاب

رتبة مــا رقى الـمقــرّب جــبريـ ... ـــلُ لها وهـــو أقــرب الأحــبــاب

ثــم ألقَى مــنه إلــيــه عــلـــومًا ... لــم يكن عــلـمُ حصْرهــا فــي كتاب

فلهـــذا أضحى مديــنة عــلـــمٍ ... ما لها غـــير «حــيدرٍ» مــن بـــاب

فهـــو أتقى الأنام فــي الـمحراب ... وهـــو أقوى الشجعــان عــند الضراب

خــصه الله بــالزواج ببنـــت الـــ ... ــمصطفى دون ســائرالأحــبـــاب

كل من كان ذا انــتساب إلــيــهـا ... لم يضع يــوم ضــيعة الأنســـاب

أُمّ سبطَيْ طــه وريحــانــتــيـــه ... فهــما طــيب ســائر الأطــيــاب

وهما ســيّدا شبـــاب جنــان الــ ... خُلْدِ أصل الأئمة الأنجـــاب

*العمري :سفينة الأدب والتاريخ(١/٨٩٩).

(١) سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:هل يجوز التوسل بالنبي أم لا؟ فقال: أما التوسل بالإيمان به، ومحبته وطاعته، والصلاة والسلام عليه، وبدعائه وشفاعته ونحو ذلك، مما هو من أفعاله، وأفعال العباد المأمور بها في حقه، فهو مشروع باتفاق المسلمين، وكان الصحابة –رضي الله عنهم– يتوسلون به في حياته، وتوسلوا بعد موته بالعباس عمه، كما كانوا يتوسلون به.وأما قول القائل: اللهم إني أتوسل إليك به. فللعلماء فيه قولان منعه الجمهور وجوزه أحمد. مجموع الفتاوى(١/١٤٠).

من قصيدة غدة حسناء*

أرسلــــتْ سهـــمَ مقـــلةٍ نعســــــاءِ ... وثَنَتْ جِيــدهـــا على استحياءِ[الخفيــف]

غادةٌ غادرتْ صريعَ هـــواهـــــــا ... فـــي حـــمـــاهـــا مضرَّجًا بالـــدماء

فتـــنـــتْ نفسهـــا فأنْحَلَت الجفــ ... ـــــنيــنِ، والخصر سقم أهل الهواء

أشـــرقتْ لـــيلةً فأشرقهـــا بَخْــ ... ــــتــي، بريح الصباح قبل العـــشاء

فكأنّ الفراق لا كــــــــان وافى ... لــيله ســـارقًا للـــيل اللقـــــــــاء

رامت الشهبُ أنْ ترانا فما أمْــ ... ـــهلهـــا أن تعـــــد فـــي الرُّقبـــاء

فشككـــنا هل ذاك نـــور محـــيّا ... هــــا أم الشمس أشرقت بـــالضــياء؟

فـــنشـــرنا ذوائبًا تفضح اللـــيـ ... ـــلَ وعـــدنا قســـرًا إلى الظلـــمـــاء

وغدونا بالوجه والفرع طـــورًا ... في صـــــــباحٍ وتـــارةً فـــي مســـاء

وجلونا شمس الـــمدامة في الكأ ... س عقــــــيـــقًا فـــي دُرّة بـــيضاء

---

*زباره:نيل الوطر (١١٣/٢).

الفصل الثاني

التعريف بمنهج المؤلف والمخطوطة ومنهج المحقق

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:التعريف بمنهج المؤلف

المبحث الثاني:التعريف بالمخطوطة

المبحث الثالث:منهجي وعملي بالتحقيق

المبحث الأول

منهج المؤلف وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول:طريقته في التفسير.

المطلب الثاني:مصادره.

المطلب الثالث:منهجه في ذكر الأحاديث والآثار .

المطلب الرابع: موقفه من أقوال المفسرين قبله.

المطلب الخامس: موقفه من المذهبية والتقليد.

المطلب الأول

طريقته في التفسير

١- جمع في أسلوبه في التفسير بين التفسير بالرواية[1] والتفسير بالدراية[2] فقد فسر القرآن بالقرآن ، وفسر القرآن بالسنة ، وفي بعض المواضع يفسر بالرأي ،وقد يجمع أحيانا بينهما ، وقد يفسر بالإشارة[3] حيث يؤول المعنى على غير ظاهره مثل تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[4] و لم يقل وهداه ليكون المعنى على وهداه ، وهدا به كقوله تعالى:﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[5] فالمعنى فيه فآوى بك، فهدى بك، فأغنى بك أبلغ أحسن !.

٢- نهج التفسير الموضوعي بتفسيره موضوعا واحدا (أكثر الناس وأكثرهم لا يعلمون) ولكنه لم يلتزم في تفسير هذه الكلمة، فقد خرج عن شرطه في مقدمته، فأورد تفسير قوله تعالى في سورة يوسف:﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ

(١)التفسير بالرواية: ويسمى التفسير بالمأثور،وهو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى في كتابه . الزرقاني:محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن(١٢/٢) مطبعة عيسى البابي الحلبي ط٢.

(٢)التفسير بالدراية: هو التفسير بالرأي والاجتهاد. ويكون جائزا ومقبولا إذا استند إلى أربعة أمور: النقل الصحيح، والأخذ بقول الصحابي،والأخذ بمطلق اللغة،والأخذ بما يقتضيه الكلام، ويدل عليه قانون الشرع.المصدر السابق (٤٩/٢) .

ويكون التفسير بالدراية ممنوعا في حالة عدم حصول العلوم التي يجوز معها التفسير، وتفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، والتفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلا والتفسير تابعا ، والتفسير بأن مراد الله كذا على القطع من غير دليل، والتفسير بالهوى.السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين :الإتقان في علوم القرآن(٢١٩/٤) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الهيئة المصرية العامة ،الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

(٣)التفسير الإشاري: هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف،ومنعه كثير من العلماء ؛بل لم يعتبروه تفيسرا ، وذهب بعضهم إلى كفر فاعله .انظر:الزرقاني:مناهل العرفان(٧٨/٢).

(٤)سورة طه، آية :١٢٢.

(٥) سورة الضحى.

مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [1]

وقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[2].

٣- لم يرتب المؤلف الآيات حسب ترتيب سور القرآن بالمصحف فبدأ في سورة الأنعـــام ،ثم انتقل إلى النحل ، ثم رجع مرة أخرى إلى سورة يوسف و يونس، و من الملاحظ أيضا أنه في سورة الأعراف فسر آيتين متتاليتين و بدأ بتفسير الآية الأخيرة ، وهكذا سلك في طريقته إلا إنه في نهاية الكتاب سلك حسب ترتيب المصحف ؛ ولعل المؤلف صنف الكتاب على منهج صيد الخاطر، وعلى طريقة كتابه الآخر المسمى (سوا نح الفكر)، وكان الأولى للمؤلف أن يتبع في ترتيبه للآيات حسب ترتيب سور القرآن بالمصحف العثماني .

٤- الإطالة في موضع حيث يطيل كثيرا ويجمع الأدلة في ضرب الأمثلة فهو نفسه بعد أن أطال الكلام بضرب الأدلة في تفسير قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

(١) آية: ٣٨.

(٢) آية:٢٤٣.

رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1] قال :وقد طال الكلام بنا في ضرب الأمثال على أنه موجز غاية الإيجاز، فلو أردنا تفصيل الكلام وتحصيل المرام لكلت أسنة ألسنة الأقلام، ولكن اللبيب يعرف التفصيل في الجملة ، ويقيس على المثل مثله ،ثم قال ولنرجع إلى ..آخر كلامه

بينما نجده يوجز و يختصر اختصارا شديدا في بعض المواضع كما في قوله تعالى في سورة النحل:﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[2] وقد يـــكتفي بالإشـــارة إلى الآية فقـــط من غير أن يفردها بتفسير منفصل كما في ، وفي قوله تعالى في سورة الطور: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[3] .

٥- قد يذكر النكتة ثم يسوق الأدلة وأحيانا يكتفي بذكر النكتة فقط وأحيانا يذكر تفسير الآية ويسرد الأدلة كاملة ثم يستنبط النكتة.

٦- يتكلف أحيانا بربط الآية بما قبلها وبعدها ؛ حتى يظن القارئ أنه يسرد المعنى الإجمالي للسورة كما في تفسير الآيات في سورة يوسف وغافر.

---

(١) آية: ٢٩.

(٢) آية:٢٨.

(٣) آية: ٤٩.

المطلب الثاني

مصادره في التفسير

في هذا المطلب أذكر كتب التفسير التي نقل واعتمد عليها المؤلف، حيث أذكرها حسب تاريخ الوفاة:

١- تفسير الطبري المسمى (جامع البيان في تأويل القرآن)

لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري ت (٣١٠هـ) كان ثقة، صادقا، حافظا، رأسا في التفسير، إماما في الفقه، والإجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفا بالقراءات وباللغة، وغير ذلك.وأما كتابه فهو أجل التفاسير وأعظمها وعمدة المفسرين الذين عنوا بالتفسير بالمأثور قال النووي :" أجمعت الأمة أنه لم يصنف مثله"[(١)] نقل منه المصنف بعض الآثار [(٢)].

٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري

ت (٥٣٨ هـ)محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب ،كان معتزليا مجاهرا ،وتفسيره من أفضل التفاسير وأكثرها فائدة وأغزرها مادة وأبلغها عبارة لولا ماشابه من الاعتزاليات الظاهرة والخفية[(٣)] ، اعتمد عليه علي بن الأمير مرة وانتقده مرة أخرى[(٤)].

---

(١) الأدنه وي:محمد أحمد ،طبقات المفسرين (ص:٤٨،٤٩)تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة- ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ط١ ،و الـذهبي ،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤)تحقيق: شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة :التاسعة ، ١٤١٣هـ ، والقطان: مناع خليل ، مباحث في علوم القرآن (ص:٣٧٤) مكتبة المعارف الرياض، ، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م

(٢)انظر: على سبيل المثال القسم المحقق: (ص٩٨،١٠١،١٠٤،١٠٥).

(٣) الأدنه وي : طبقات المفسرين(ص: ١٧٩)،والذهبي :سير أعلام النبلاء (١٥١/٢٠)، و الزركلي الأعلام (١٧٨/٧) ،و الغماري :الشوكاني مفسرا(ص:١١٦).

(٤)انظر على سبيل المثال:قسم التحقيق (ص ١١٤، ١١٥،١٢٠،١٤٠،١٤٢).

٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،لابن عطية ت (٥٤٢ هـ)

عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، وكتابه أجمع وأخص من كتاب الزمخشري فضله ابن تيمية على الزمخشري ،يؤل الصفات ويرجح فيه أقوال المعتزلة ، ولكنه أقل بدعا من الزمخشري[١][٢].

٤- زاد المسير في التفسير لأبي الفرج ابن الجوزي ت (٥٩٧)

الشيخ، الإمام، العلامة، الحافظ، المفسر، شيخ الإسلام، مفخر العراق، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي ،و يصل نسبه إلى أبي بكر الصديق، القرشي[٣]، نقل عنه قليلا وصرح بالنقل واحدة[٤] .

٥- تفسير الحرالي

لأبي الحسن علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرالي المراكشي الأندلسي ت(٦٣٧هـ) ملأ تفسيره باحتمالات لا يحمله الخطاب العربي أصلا، وتكلم في علم الحروف والأعداد، وزعم أنه استخرج منه وقت خروج الدجال ووقت طلوع الشمس من مغربها[٥]، نقل عنه المؤلف بعض مقولاته ،وتفسيره لبعض الكلمات[٦].

---

(١) الأدنه وي : طبقات المفسرين(ص:١٧٥)،والأعلام : الزركلي (٣/٢٨٢)، الغماري :الشوكاني مفسرا (ص:١١٦).

(٢) انظر: (ص: ١٠٣ ،١٣٤، ١٤٠،١٥٩).

(٣) الأدنه وي : طبقات المفسرين(ص: ٢٠٨)،والذهبي :سير أعلام البلاء (٢٠/٣٥٦).

(٤)انظر: (ص:١٤٠،١٩٨).

(٥)الأدنه وي : طبقات المفسرين (ص:٢٧٣)،والذهبي: سير أعلام البلاء (٢٣/٤٧).

(٦)انظر:(ص:١٨٨، ١٨٩،١٩٠).

٦- محي الدين بن عربي(٦٣٨هـ)

أبو بكر محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي المرسي نزيل دمشق ، وهو زعيم التصوف الفلسفي النظري وفسر القرآن مع ما يتفق من نظرياته وحمل النصوص على غير ظاهرها وغرق في التأويلات الباطنية البعيدة سواء كان في تفسيره أو ما ينسب إليه كالفصوص،[1]استشهد المؤلف ببعض كلامه [2].

---

(١)الذهبي :سير أعلام النبلاء (٤٨/٢٣)، والقطان:مباحث في علوم القرآن (ص:٣٦٧). وقد اختلف العلماء فيه، قال العز بن عبد السلام: "شيخ سوء كذاب" ، وقال الذهبي: "من أردأ كتبه فصوص الحكم إن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر"وقال أيضا: " إن كان رجع عن مقالاته قبل موته فقد فاز". سير أعلام النبلاء (٤٧/٢٣).

ومن الغريب أ ن ممن كفره جد المؤلف، محمد بن إسماعيل الأمير ،صاحب سبل السلام حيث قال -رحمه الله-:

وأكفر من في الأرض من قال أنـه ... فـإن الله جـل عن النـدي [الطويل]

فسماه كل الكائنات جميعهـا ... مـن الكلب والخنزير والفهد والـقرد

وإن عذاب النار عذب لأهلهـا ... سواء عذاب النار أو جنة الخـلد

وعباد عجل السامري على هـدى ... ولائمهم في اللوم ليس عـلى رشـد

وينشدننا عنه نصوص فصوصـه ... ينادي خذوا في النظم مضمون ما عندي

وكنت امرأ من جند إبليس فارتمـى ... بي الدهر حتى صار إبليس من جنـدي

وهذه الأبيات جزء من القصيدة التي أرسلها ابن الأمير يمدح فيها محمد بن عبد الوهاب النجدي والتي قال في مطلعها:سلام على نجد ومن حل في نجد وإن كان تسليمي على البعد لايجدي. جحاف: درر نحور الحور(ص:١٤٥).وقد ألف البعض كتبا بكفره كالبقاعي بكتاب سماه (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي)،ومنهم من دافع عنه كالسيوطي بكتاب سماه (تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي) ، ولعل المؤلف تأثر بالسيوطي لأنه نقل عنه ، ومنهم من توقف فيه كالشوكاني بعد أن كفره ثم تراجع عن تكفيره. البدر الطالع (٢ / ٣٧). وقد وقفت على كتاب اسمه (ابن عربي وموقف علماء المسلمين منه) فقد نقل كلام العلماء المنتقدين له والمدافعين وناقش أقوالهم ورجح بأن ما نسب لابن عربي في الفصوص والحكم والفتوحات الربانية غير مدسوس وإنما هو له حقيقة ولخص الآتي أولا:توجد نسخة مخطوطة بخط ابن عربي نفسه .ثانيا:المطبوع من الفصوص والفتوحات معتمد على نسخ خطية .ثالثا:شراح الفصوص أثبتوا كلام ابن عربي المنتقد بحروفه.رابعا:انتقاد علماء عصره له . ويراجع الكتاب لمؤلفه دغش بن شبيب العجمي(ص:٩٢٤)إصدار مكتبة أهل الأثر- الكويت -١٤٣٢هـ ط١.

(٢)انظر:قسم التحقيق(ص:١٤٤،١٤٥).

٧- البحر المحيط في التفسير ،لأبي حيان النحوي (ت ٧٤٥ هـــ)

محمد بن يوسف بن على بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجيانى، النفزي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات توسع بالإعراب حتى أصبح أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى التفسير [١] .

٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ت (٩١١هـــ)

عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو من ست مائة مؤلف[٢]، وغالب مرويات المؤلف نقلها منه[٣].

كما أنه نقل عن غير المفسرين، فقد نقل من فتاوى ابن السبكي[٤] ، ونقل من كتب الحديث من الصحاح ، والسنن ، والمسانيد ، والمصنفات والآثار، والسير والتاريخ ، وكتب اللغة ، منها مطبوع والبعض غير مطبوع .

---

(١) الأدنه وي :طبقات المفسرين(ص٢٧٩)،و الزركلي :الأعلام (١٥٢/١)، والقطان : مباحث في علوم القرآن (ص :٣٧٩)، وانظر:(ص:١٣٣،١٤٠،١٦٧).

(٢)الأدنه وي :طبقات المفسرين(ص: ٣٦٥)،و الزركلي :الأعلام :(٣٠٠/٣) .

(٣)انظر:(ص:٩٨،١٠١،١٠٥،١٠٩) .

(٤)هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقيّ الدين: شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين. وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات ولد في سبك (من أعمال المنوفية بمصر) وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام. وولي قضاء الشام سنة ٧٣٩ هـــ واعتل فعاد إلى القاهرة، فتوفي فيها سنة ٧٥٦هــ،من كتبه " الدر النظيم " في التفسير، لم يكمله وله الفتاوى الكبرى التي نقل منها المؤلف وغيرها من الكتب .الأدنه وي : طبقات المفسرين (ص :٢٨٥)،و الزركلي: الأعلام (٣٠٢/٤).وانظر :(ص : ١٣٩،١٤٧).

المطلب الثالث

منهجه في ذكر الأحاديث والآثار

أكثر علي بن إبراهيم الأمير في بعض المواضع من النقل والاعتماد على الرواية من الأحاديث والآثار إلا إنه لم يلتزم بالصحة في كل ما يورده من الروايات، فقد ذكر أحاديث صحيحة وضعيفة ، بل وموضوعة ، ولم يشر إلى درجة صحتها أو ضعفها؛ إلا مرة واحدة[١]، و يكتفي بعزوها إلى مصادرها.

و قد يذكر أحيانا متن الحديث ويقول :"كما في الحديث"من غير أن يسنده، أو يذكر الرواي[٢] ، وقد يقتبس لفظة من متن الحديث من غير أي إشارة إليه سواء من ذكر الراوي أو المخرج له[٣] .

ويبرز هنا جليا مذهب ابن الأمير والذي سبق ذكره في الأخذ بالحديث الضعيف إن لم يجد غيره ، وكان الأولى له الأخذ بالأحاديث الصحيحة ويكتفي بها عن غيرها ؛ لما فيها غنية من ذكر غيرها من الروايات، وإذا لا اعتبار بالتفسير بما لا يصح ، وكان له أن ينبه على الأحاديث الضعيفة التي ذكرها .

وهنا نشير إلى بعض ما ذكره من الأحاديث الضعيفة:

((لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه قال: أسالك بمحمد -صلى الله عليه واله وسلم- إلا غفرت لي! فأوحى الله تعالى إليه، ومن محمد؟ قال :تبارك اسمك! لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحد أعظم

---

(١)انظر: (ص: ١٦٤).

(٢)انظر:(ص: ١٨٣).

(٣)انظر:(ص:١١١، ١٨٩).

عندك قدرا ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه يا آدم! إنه آخر النبيين من ذريتك؛ ولولا هو ما خلقتك))[١] ،والحديث في وصف القراء ((إنهم اعز من الكبريت الأحمر)[٢] .

أما الروايات والأخبار الإسرائيليات التي وردت فمنهجه فيها وذكره لها كسابقيه من المفسرين الذين نقل عنهم ، فلا تكاد تخلوا منها كتب التفسير خصوصا التي تهتم بنقل الروايات والآثار ؛ ولا بأس بذكر الروايات التاريخية منها والمسكوت عليها في شريعتنا.

---

(١)أخرجه الحاكــم في المستدرك (٤٢٧٨)(٢/ ٧٢٢) تحقيق: مقبل الوادعي، دار الحرمين ١٤١٧م ، وصحح إسناده وقال: وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب. وتعقب شيخ الإسلام ابن تيمية عليه :فقال:ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه فإنه نفسه قد قال: في كتاب (المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم) : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا تخفى على من تأملها من أهل الصنعة. وهو ضعيف باتفاق يغلط كثيرا ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم .التوسل والوسيلة(٨٥/١) تحقيق: زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٠. ورواه البيهقي في دلائل النبوة(٤٨٨/٥) وقال: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف.والطبراني في الصغير والأوسط ،وقال :الهيثمي وفي إسناده من لم أعرفهم. مجمع الزوائد(٨٣٥/٢)مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي – القاهرة ، بيروت. وابن عساكر وضعفه، وأبو نعيم في الدلائل. انظر: حسام الدين الهندي :كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال(٢٠٦/١١). ،تحقيق: محمود الدمياطي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١هـــ–١٩٩٨م،ط١.وقال الألباني: الحديث (موضوع)انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢٥)٨٨/١١ دار المعارف الرياض١٤١٢هـــ.

(٢)رواه أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي،في شعب الأيمان عن الحسن(٢٦٢١)(٢/ ٥٣١) تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٠، الطبعة: الأولى،. وابن أبي الدنيا في الهم والحزن عن الحسن(١٥٢)١١٧/١ تحقيق: مجدي فتحي السيد ،دار السلام القاهرة ١٤١٢ – ١٩٩١، ط١ ،وفيه ضرار بن عمرو متروك. العلل المتناهية (٧٦/١) وبكر بن خنيس ضعيف. مجمع الزوائد(١٣٠/٣). وأخرجه ابن حبان في الضعفاء، أبو نصر السجزي في الإبانة والديلمي عن بريدة وقال: السجزي: غريب لم يروه غير أحمد بن ميثم وفيه مقال،كنز العمال(٣٠٩/١).وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية عن بريدة وقال :يروى نحوه عن الحسن البصري وفي إسناده علي بن قادم ضعفه يحيى ،وأحمد بن ميثم ضعفه الدار قطني.انظر:ابن الجوزي:عبد الرحمن ،العلل المتناهية في الأحاديث الواهية(١/ ١١٨)تحقيق: خليل الميس دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـــ، ط١.

المطلب الرابع

موقفه من أقوال المفسرين قبله.

بدأ المؤلف بمقدمة مصنفه بالنقد غير المباشر للمفسرين بأنهم لم يتعرضوا لمثل بحثه و لم يأتوا بجديد ووصفهم بالنساخ الذين ينقلون من كتاب إلى كتاب[١] ،وبدأ من غير أن ينقل من غيره، ولكنه اضطر إلا أن ينقل كما نقلوا.

و إذ تتبعنا ما نقله علي بن إبراهيم الأمير عن من سبقه من المفسرين سواء في الدراية أو الرواية ،فأما في الرواية فإنه لا ينسبه غالبا ، فقد أكثر من نقل الروايات عن السيوطي في الدر المنثور، ولكنه لم يشر إلى ذلك[٢]، و لم يذكر السيوطي، ولو مرة واحده .

وأما من ناحية الدراية فإنه ينقل عن غيره سواء بالاقتباس الحرفي أو غيره ففي الاقتباس الحرفي يقول قال:فلان وإذا انتهى من نقل النص يقول: انتهى[٣]. أما في غير الحرفي فلا يشير إليه غالبا[٤] .

وقد وقف من المفسرين مواقف متباينة ، فمنهم من نقل عنه وسكت ، ومنهم من يعقب علية وينتقده ؛ ولكن من غير تجريح .

فقي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[٥]وبعد أن نقل قول الزمخشري قال :وهذا جار الله

---

(١) انظر :(ص ٨٢).

(٢) انظر:(ص٩٨ ،١٠١).

(٣) انظر:(ص: ١٣٩،١٤٥،١١٤).

(٤)انظر:(ص: ١٤٢،١٤٠،١٠٣).

(٥) سورة سبأ،آية:٢٨.

الزمخشري-رحمه الله- مثواه إمام أذعنت لعلمه الأعلام، ونشرت لتحقيقه في الخافقين الأعلام، وتراه إذا قرر البصريون قاعدة نحوية دار معها حيث دارت، وسير الآية بعد أرائهم حيث سارت، وهذا كـــلامه على هذه الآية وتغليطه لمن جعل كافة حالا ، من قـــوله: للناس وما كلفه إلى مخالفة ذلك لقاعـــدة قد قعدهـــا له جماعـــة من النحاة فقصد مذهبهم ونحاه[1] .

وقد وجه النقد إلى ما وقع إلى بعض ما وقع من بعض المفسرين باهتمامهم في بعض التسميات كتفسير الشجرة في قصة آدم فقال:" ولما اشتغل غالب المفسرين بما لا ينفع قصروا عن إبانة ما ينفع ؛لكن طالب علم كتاب الله ليس له أن يقتصر على ما زبروه[2]، ولا أن يقبل كلما قرروه، مثاله: في قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة، فإنه نهاه أن يقرب الشجرة فاشتغل جل المفسرين بالشجرة ما هي؟ فقائل هي الحنطة؛ وقائل هي العنب؛ وقائل هي كذا، وما كان لهم أن يتكلموا عليها بشيء ؛لأن حذف اسمها فائدة حرموها ،واشتغلوا بالذي لا صلة لهم فيه ولا عائدة، لو كان لنا فائدة في معرفة اسمها لقصه الله سبحانه علينا[3] .

---

(١)انظر: من القسم الثاني (ص:١٣٢) .

(٢) زبروه :كتبوه ومنه زَبَرْتُ الكتاب إِذا أَتْقَنْتَ كتابته.والزَّبْرُ الكتابُ، والجمع زُبُورٌ مثل قِدْرٍ وقُدُورٍ؛ ومنه قرأَ بعضهم: وآتينا داود زُبُور. ابن منظور: لسان العرب(٣٠٢/٤)مادة (زبر).

(٣) انظر: من القسم الثاني(ص:١٧٤).

المطلب الخامس

موقفه من المذهبية والتقليد

أظهر علي بن إبراهيم الأمير مذهبه التحرري ومنهجه الناقد للتقليد والمقلدين ؛ فلم يتعصب لمذهب معين من مذاهب المفسرين، و سار مع الدليل وما يراه صوابا ؛أيا كان قائله، بل إنه يتحامل على المتعصبين والمقلدين ويذمهم.

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ﴾ [1] يقول: إنه لا يصح اتباع الآباء إلا فيما وافق الدليل، وإن قبول الغير من غير المطالبة بالدليل ليس من الدين القيم ، ويزيد تحامله على المقلدين بوصفهم أنهم قد أصبحوا مع أقبح جيل، وفارقوا ملة الخليل[2].

ويقول أيضا: إن المقلد ليس من أهل العلم ، ومن اتبع هواه تقليدا من غير مطالبة بحجة وسلطان ودليل ؛ فهو جاهل[3] ، بل بالغ في ذلك ووصفهم بأنهم ليسوا من أهل الدين القيم بشيء[4].

---

(١) سورة يوسف ،آية: ٣٨.

(٢)انظر:(ص:٨٧).

(٣)انظر:(ص: ٩٢).

(٤)نفس الصفحة السابقة والتي بعدها.

ثم يربط الجهل بالتقليد ويقول: بأن سببه يعود لسكون الإنسان إلى جهله، وقبوله قول غيره من دون المطالبة بأي دليل ، وإلا فإن آيات الله مبصرة وبيناته غير قاصرة أو مقصرة[1].

وقال:إن المقلد إما أن يعلم أن المقلد مصيب في كل ما يقلده فيه؛ فتقليده ضايع لمعرفته للحق ، وإن كان يقبل قوله مع احتمال الخطأ فهذا لا يجوزه عقل ولا دين[2].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3] قال: إن طالب تفسير كلام الله إذا كان ممن يطلب الحق ويريد الحقيقة فإنه لا ينبغي أن يغتر بعظمة المفسر، وإن كان من كان؛ فإن غالب المفسرين إنما يفسر القرآن وهو مقلد فروعه وعقيدته؛ وإن خالف مذهبه القرآن تجرد لرد القرآن إلى مذهبه، لا لرد مذهبه إلى مذهب القرآن، فالقرآن لديهم مأموم لا إمام وتابع لا متبوع [4].

وأضاف متعجبا! إن تعصب العلماء قد يكون حتى في غير باب الدين ،كعلماء العربية فقال: ""وإذا عرفت تعصب غالب العلماء لمذهبه في العربية فكيف في العقيدة والفقه!؟[5].

---

(١) انظر: (ص ١٠٨).

(٢) انظر:(ص٩٤).

(٣)سورة سبأ ، آية:٢٨.

(٤) انظر:(ص:١٣١).

(٥) انظر:(ص١٣٥).

ويضيف قائلا: "وليس يوصل إلى معرفة أسراره، والاهتداء بأنواره إلا تدبره! بفهم خال عن التعصب للأسلاف ،وفكر! مجمع على التحلي تحلية الإنصاف"[1].

وليس هذا بالغريب على مثل ابن الأمير ؛ خصوصا وأنه قد عرف عن المذهب الزيدي[2] الدعوة إلى الاجتهاد والتحرر من المذهبية ونبذ التقليد .

---

(١)انظر:من النص المحقق: (ص:١٣٢).

(٢) سبق تعريفه انظر:(ص: ١٥).

المبحث الثاني

التعريف بالمخطوطة

وفيه مطالب:

- المطلب الأول:تسمية المخطوطة ونسبتها للمؤلف.
- المطلب الثاني :النسخ المتوفرة.
- المطلب الثالث:وصف النسخ المتوفره.
- المطلب الرابع: أول المخطوطة وآخرها
- المطلب الخامس: الرموز التي استخدمها النساخ.
- المطلب السادس: صور لغلاف المخطوطة وأولها وآخرها.

المطلب الأول

تسمية المخطوطة ونسبتها للمؤلف

اسمها:السر المصون في نكتة الإظهار والإضمار في (في أكثر الناس وأكثرهم لا يعلمون).
السر: هو لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن [١].

والنكتة: " هي مسألة لطيفة أخرجت بدقة نظر ، وإمعان فكر ، من نكت رمحه بأرض إذا أثر فيها ، وسميت المسألة الدقيقة نكتةً ؛ لتأثير الخواطر في استنباطها " [٢].

الضمير لغة: من الضمور وهو الهزال لقلة حروفه أو من الإضمار وهو الإخفاء لكثرة استتاره.وفي الاصطلاح: ما كني به عن الظاهر اختصارا وقيل: ما دل على حضور[٣].

والإظهار:هو الاسم الظاهر. والأصل أن يؤتى في مكان الضمير بالضمير ؛ لأنه أبين للمعنى وأخصر للفظ وربما يؤتى مكان الضمير بالاسم الظاهر وهو ما يسمى (الإظهار في موضع الإضمار) . وله فوائد كثيرة، تظهر بحسب السياق[٤] .

نسبتها للمؤلف:

١_ ما يؤكد جزما بنسبتها لعلي بن إبراهيم الأمير بأن كل من ترجم له من المؤرخين ، والمعاصرين له يذكرون من ضمن مصنفاته اسم هذه المخطوطة التي بين أيدينا[٥].

٢_ وجود نسخ متعددة مفهرسه كلها تؤكد نسبتها له كما سيأتي في الصفحة التالية.

٣_ غلاف المخطوطة يذكر اسم المؤلف عليها.

---

(١)الجرجاني:علي بن محمد الشريف،كتاب التعريفات،مكتبة لبنان،بيروت ،طبعة جديدة ١٩٨٥م (ص:١٢٣).

(٢)المصدر السابق (ص :٣١٦).

(٣) العثيمين:محمد بن صالح، أصول التفسير (ص:٥٦)، المكتبة الإسلامية، ط١ ١٤٢٢ هـــ – ٢٠٠١ م.

(٤)المصدر السابق(ص:٥٧).

(٥) الشوكاني :البدر الطالع (١/٢٩٠)،زباره :نيل الوطر(٢/١١١).

المطلب الثاني

النسخ المتوفرة

النسخ التي توفرت لي وبفضل الله عز وجل نسختان:

النسخة الأولى: في مكتبة الأوقاف للجامع الكبير بصنعاء برقم(٦٠) مجاميع حسب فهرست مكتبة الجامع الكبير لسنة ١٤٠٤هـ ـ١٩٨٤م التابع لوزارة الأوقاف اليمنية إعداد أحمد عبد الرزاق الرقيحي وعبد الله محمد الحبشي وعلي وهاب الأنسي[١].

النسخة الثانية: في مكتبة المخطوطات التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية برقم(٢٢٠٧٨)(نسخة مصورة) .

أما النسخ التي لم تتوفر فهي :

الأولى: في مكتبة الغربية، للجامع الكبير بصنعاء تاريخها١٢١٠هـ ضمن مجموعة من ٢١-٥٦ مجاميع رقم (١٠١١) والظاهر والله أعلم أنها هي النسخة الأم[٢].

الثانية:بمكتبة السيد محمد بن إسماعيل المنصور بصنعاء[٣]، ولعلها الأصل للنسخة المصورة بمكتبة المخطوطات الكويتية هي نفسها،لأن اسمه مدون عليها.

---

(١) فهرست مخطوطات الجامع الكبير (١ /١٦٣).

(٢)الحبشي :مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص:٤٠).

(٣)المصدر السابق.

المطلب الثالث

وصف النسخ المتوفرة

أولا النسخة : سميتها(أ)

حجمها:٣٧ ورقة وكل ورقة فيها صفحتان.

عدد الأسطر :٣٤ تقريبا في كل ورقة ، وفي كل سطر ١٤ كلمة تقريبا.

مقاس الورقة :١٨X٢٤.

الخط:نسخي.

تاريخها: في أول ليلة من شهر رجب لسنة ١٣٤٧هـ .

اسم الكاتب غير واضح.

ملاحظات عليها:

١_يليها إجازتان من الإمام يحي[1] لولده أحمد يحي حميد الدين٣٨_٤٤

٢_عليها ختم المكتبة المتوكلية في أولها وآخرها مكتوب فيها (من وقف خزانة المكتبة المتوكلية بالجامع المقدس بصنعاء.

٣-في آخرها كتابة بلغ مقابلة الأم ويليها وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وكان بنا وبالمؤمنين رءوف رحيم.

---

(١)هو الإمام المتوكل على الله يحي بن الإمام المنصور محمد بن يحي بن حميد الدين ت ١٣٦٧هـ انظر ترجمته في الإعلام: للزركلي (١٧٠/٨). وأحمد ابنه أحمد بن يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين: ملك اليمن، الإمام الزيدي. ولد في قَفْلة عَذر، من بلاد حاشد. ونشأ في حجر جده المنصور باللَّه محمد بن يحيى. وتفقه وقرأ الحديث والمصطلح والأدب. وعمل (نظما في الأحاديث المسلسلة وشرحه – ط) وولي إمامة اليمن سنة ١٣٦٧ =

ثانيا النسخة الثانية:

سميتها:(ب)

حجمها: ٣٤ ورقة وفي كل ورقة صفحتان

عدد الأسطر:٢٤ سطرا تقريبا في كل صفحة ،وفي كل سطر ١٢ كلمة تقريبا.

تاريخها:في شهر شعبان لسنة ١٣٣٥هـــ

كاتبها: يحي بن علي بن عبد الله الإرياني

ملاحظات عليها:

١_كتبت الآيات المراد تفسيرها، وبداية الأحاديث النبوية الشريفة، بالخط الأحمر، وبقية محتوى كتب المخطوطة بالحبر الأسود.

٢_ يكثر فيا الفواصل، والتنقيط بالمداد الأحمر.

٣-كتب عليها بلغ مقابلة على الأم المنسوخ منها بحسب الطاقة والإمكان، ولله الحمد والمنة .

٤-مكتوب عليها محمد بن محمد بن إسماعيل المنصور، ثم خط غير مفهوم، ثم لغير الشراء ثم ١٣٩٥هـــ ولعلها هي مصورة من مكتبة محمد بن أحمد المنصور.

= (١٩٤٨ م) عقد اتفاقيات اقتصادية محدودة مع أمريكا وروسيا والصين الشعبية، تم على أثرها تعبيد الطرق بين تعز والحديدة وصنعاء، وبنا ميناء الحديدة. ودخل في اتحاد مصر وسورية سنة ١٩٥٨ ولما انفصلت سورية نظم (أرجوزة) هاجم فيها الاشتراكية والتأميم، وانفصل كسورية. وله أراجيز شعرية أخرى ،اتخذ مدينة (تعز) عاصمة له،. وقامت الثورة في أيامه،. توفي في تعز، ودفن في صنعاء ت ١٣٨٢هـــ. الزركلي :الأعلام(٢٧١/١).

لمطلب الرابع

أول المخطوطة وآخرها

أول المخطوطة:

بعد البسملة قال: وبه استعين أحمدك يا من جعل كتابه العزيز لمن تدبره ربيعا، وأعجز به الجن والإنس فكان بيان معانيه لمن فهمه بديعا ، ....أما بعد: فلما من الله سبحانه علي بان رزقني رضا أبي الذي ببركة رضاه ....

آخر المخطوطة:

فوضح أن مراده الآية هنا نفي العلم عن أكثر الناس بيوم القيامة الذي لا ريب فيه والله أعلم بكلامه .....أشهد أن لا اله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليه.

المطلب الخامس

الرموز التي استخدمها النساخ

أيضا (ايض).

رضي الله عنه (رض).

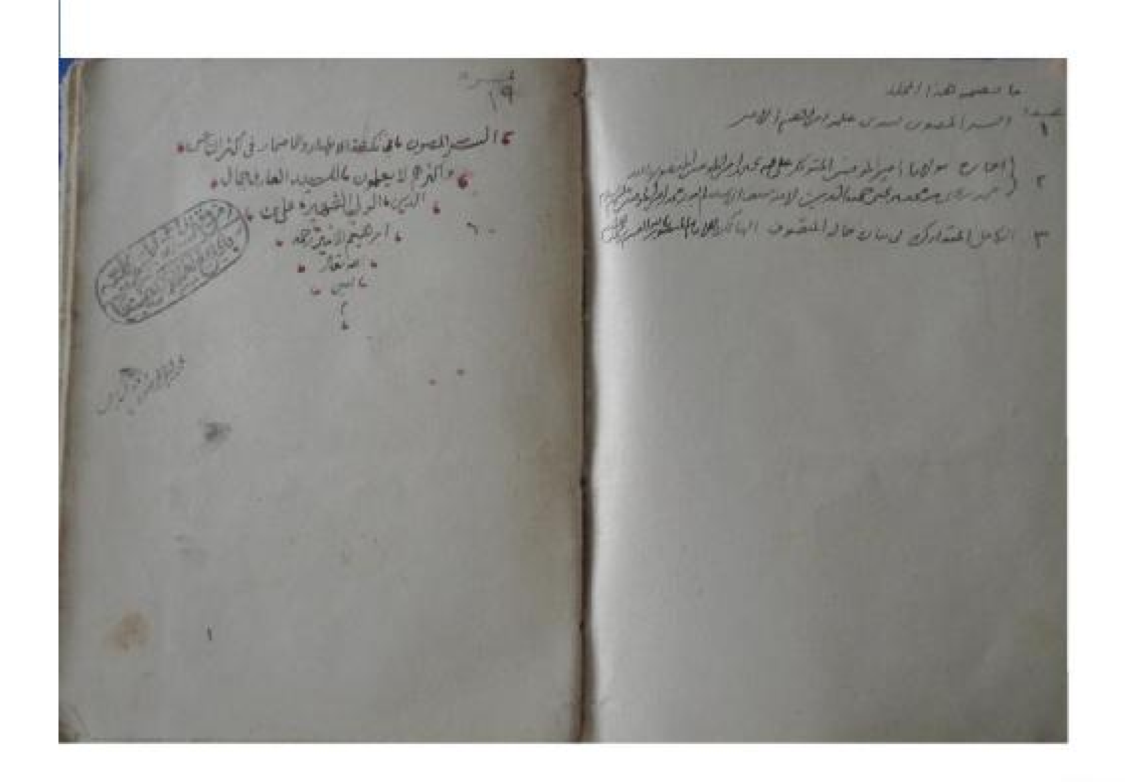
صلى الله عليه وسلم (صلعم).

تعالى (تعا).

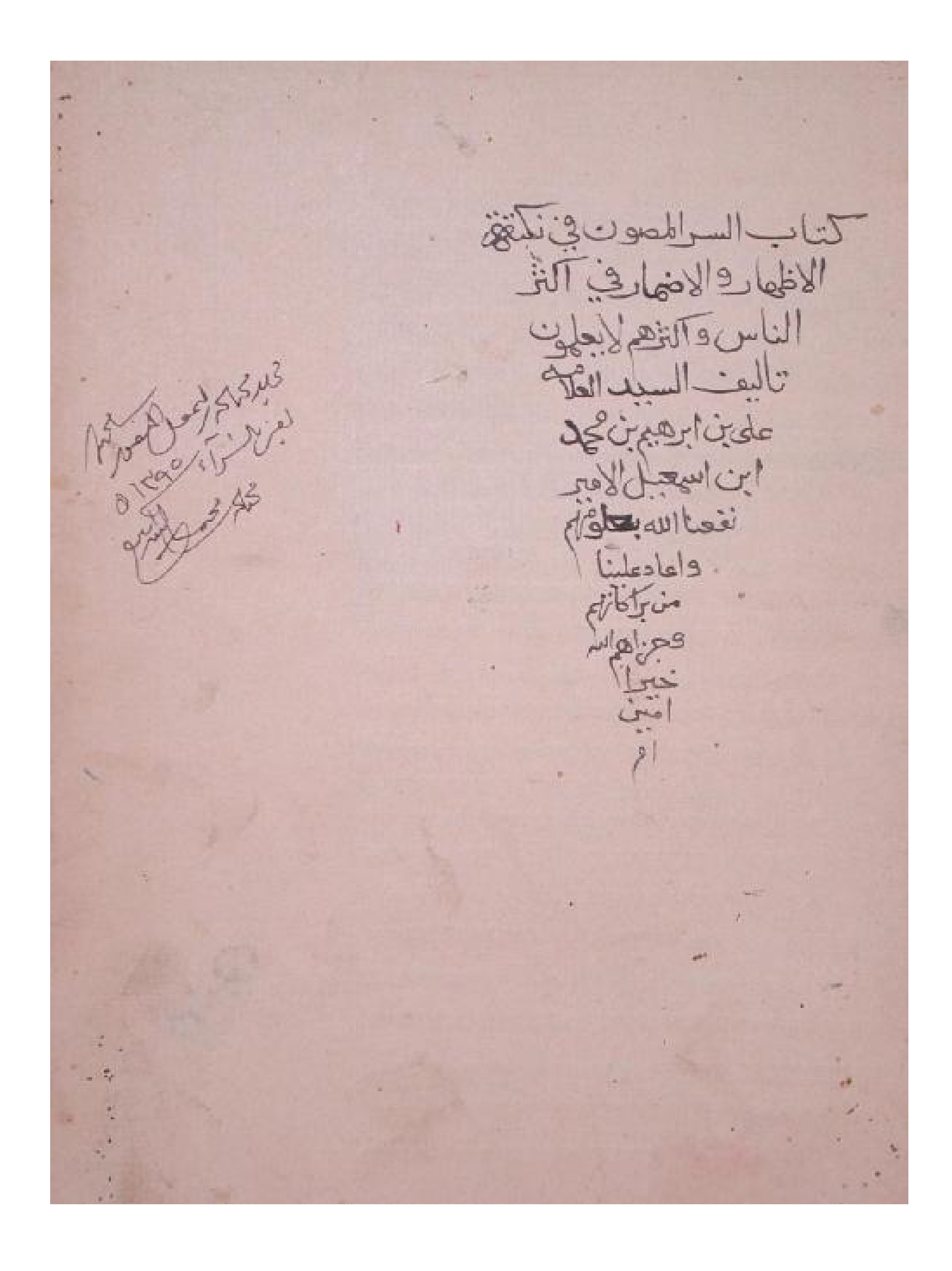
المطلب السادس

صور لغلاف المخطوطة وأولها وآخرها

أولا: غلاف (أ):

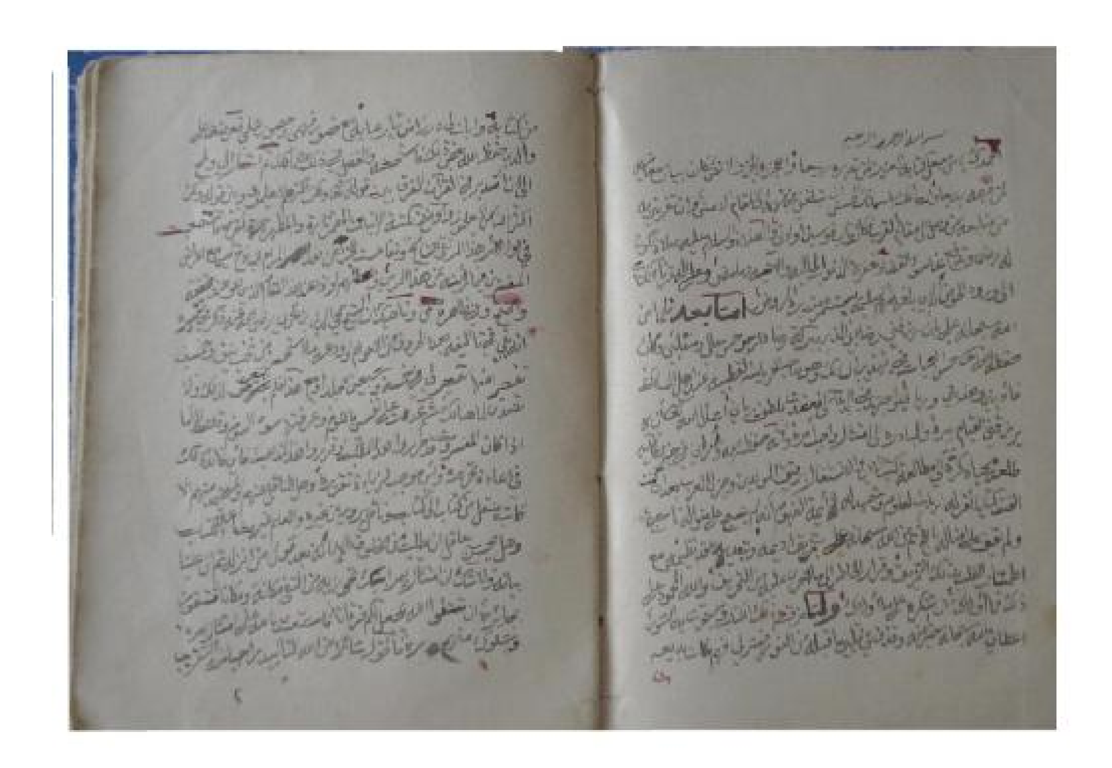


ثانيا غلاف (ب):



كتاب السر المصون في نكتة
الاظهار والاضمار في اكثر
الناس واكثرهم لا يعلمون
تاليف السيد العلامه
على بن ابرهيم بن محمد
ابن اسمعيل الامير
نفعنا الله بعلومهم
واعاد علينا
من بركاتهم
وجزاهم الله
خيرا
امين
ام

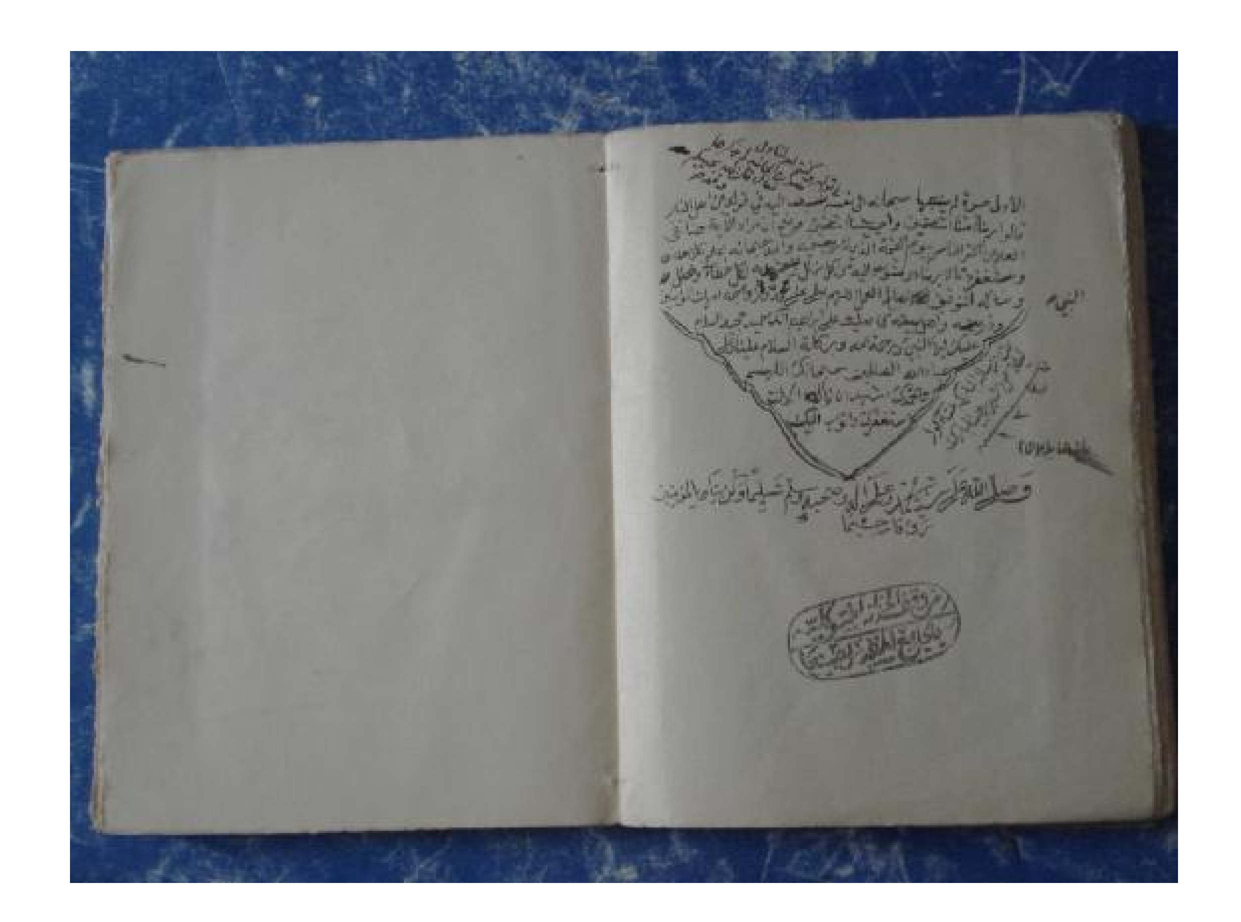
ثالثا أول (أ)



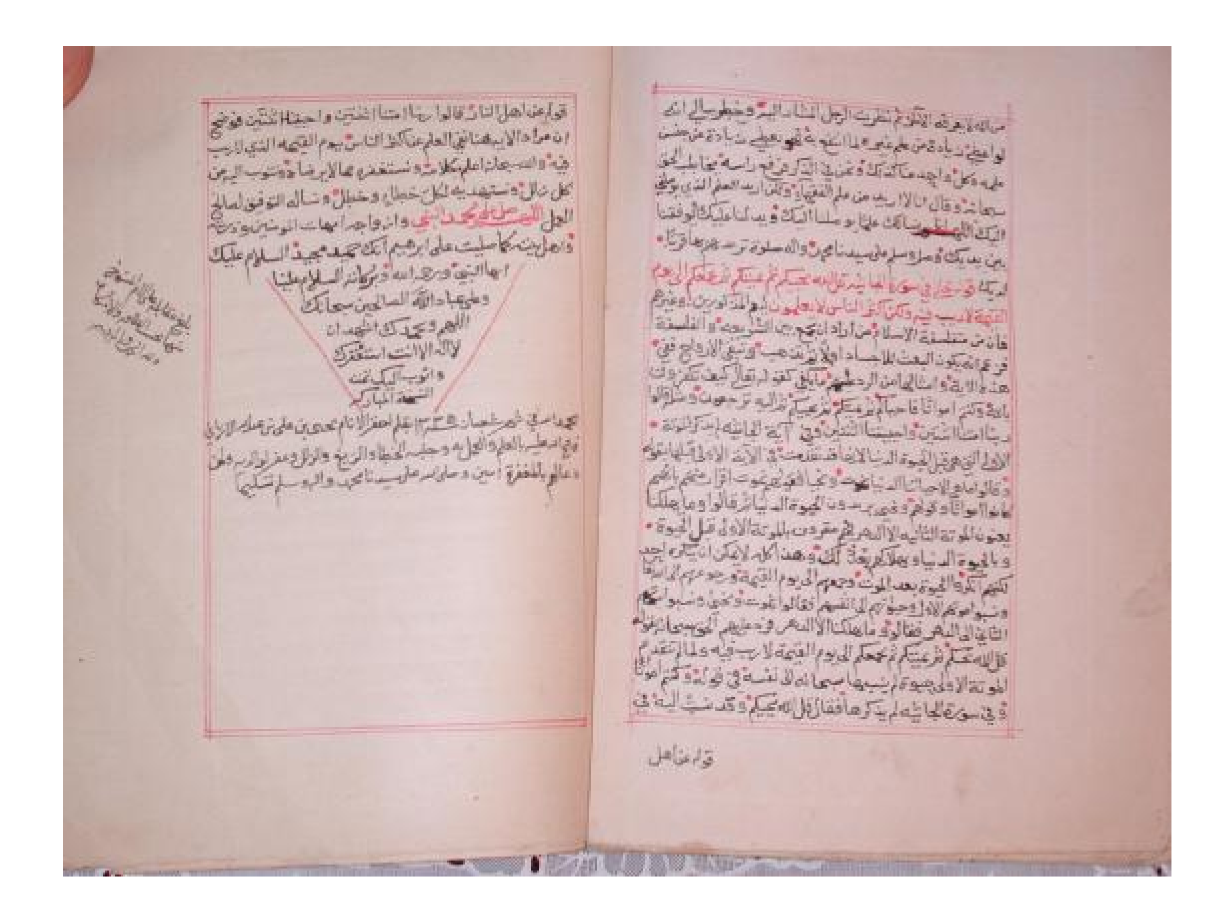
:

رابعا أول (ب):

خامسا آخر(أ):



سادسا آخر (ب):



المبحث الثالث

منهجي وعملي بالتحقيق

١- قابلت بين النسختين، وذكرت الفرق بينهما، وضبط الكلمات غير الواضحة بالرجوع إلى المصادر الأصلية التي نقل منها المؤلف .

٢- كتبت نص المخطوطة في أعلى الصفحة، وخصصت الهامش لتعليقاتي ،ونبهت على ما أورده النساخ في الحواشي، وهو ما لم يكن إلا مرة واحدة .

٣- التزمت في الكتابة بقواعد الإملاء الحديث، وأرجح بين الألفاظ التي وقع الاختلاف فيها بين النسختين مستعينا بكتب اللغة مع الإشارة إليها.

٤- أثبت الألفاظ والعبارات التي استخدمها النساخ رموزا ،حسب ما تعارف عليها النساخ القدماء بالاستقراء والتتبع ودلالة السياق عليها.

٥- كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني، ثم عزوت الآيات في الحاشية بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وإذا ذكر المؤلف اسم السورة مثل أن يقول: وقوله في سورة كذا أكتفي بذكر رقم الآية ؛ للتقليل من كثرة الحواشي وإذا لم يكمل المؤلف الآية ودعت الحاجة لإكمالها كتبتها في الحاشية .

٦- عزوت الأحاديث والآثار إلى مصادرها الأصلية، أو الكتب لجامعة لها، وما كان في الصحيحين أكتفي بذكره ولا أذكر الحكم عليه ،وإن كان في غيرها ذكرت حكم المحدثين من المتقدمين أو المتأخرين، من حيث درجة صحتها أو ضعفها ما استطعت ذلك ، وإن لم أجد من أخرج الأثر مسندا ،عزوته إلى من ذكره من المفسرين وغيرهم.

٧- بحثت كل نسبة ينسبها المؤلف في مصادرها الأصلية وحددتها بالجزء والصفحة ، وأقارن أحيانا ما أورده المؤلف من تفسير مع غيره من المفسرين .

٨- شرحت الألفاظ والكلمات الغريبة مع ما يناسبها من السياق.

٩- عرفت بالأعلام الواردة ذكرهم في أول موطن يذكر فيه العلم، ولا أشير إليه إذا سبقت ترجمته، إلا إذا ذكر بكنية أو لقب، وأهملت أسماء الرواة ، والمشهورين، والكفار إلا إذا دعت الحاجة إليه.

١٠- بينت الصواب في أسماء بعض الأعلام الذين كتبت أسماؤهم مصحفة.

١١- تعقبت كلام المؤلف فيما رأيت الحاجة إليه ، وبينت الصواب أو أشير إلى ذلك.

١٢- نسبت الأبيات الشعرية لقائليها وذيلتها ببحورها

١٣- أطلقت مصطلح المخطوطة على اسم النسختين معا ، وإن انفردت واحدة سميتها باسمها (أ) ، أو (ب) .

١٤- ميزت بالأقواس ما يلي:

- الآيات القرآنية﴿ ﴾.
- الأحاديث والآثار(( )).
- رقم الحديث، والحواشي ( ).
- الاختلاف بين النسخ أو السقط[ ].
- الاقتباس الحرفي " " .



القسم الثـــاني

تحقيق المخـــــــــطوطة

مقدمة المؤلف:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ [وبه نستعين]*

أحمدك يا من جعل كتابه العزيز لمن تدبره ربيعا ،وأعجز به الجن والأنس فكان بيان معانيه لمن فهمه بديعا ، وأسألك بأسمائك الحسنى أن تبلغني في فهمه إلى المقام الأسنى !، وأن تقربني به من متابعة من وصل إلى مقام القرب فكان قاب قوسين أو أدنى! ، [والصلاة](١) والسلام عليه [صلاة](٢) تكون له [رضا](٣) ، وتدفع عنا [بها](٤)سوء القضاء ، وتغفر بها الذنوب الحالية والآتية وما [مضى]! (٥)، وعلى آله قرناء الكتاب إلى ورود الحوض ، الذين بأفهامهم السليمة يستثمر متدبره الروض !.

---

*زيادة في: ب.

(١)في ب:[والصلواة].

(٢)في ب: [صلواة].

(٣)في ب :رضى ، قال الليث الرضا مقصور ، وقال الأزهري إذا جعلت الرضا مصدر أرضيته رضاء ومرضاة فهو ممدود ، وإذا جعلته مصدر رضي يرضي فهو مقصور .الأزهري:محمد أحمد، تهذيب اللغة (٤٦/١٢) مادة رضي دار إحياء التراث بيروت . ط١ ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

(٤)زيادة في ب.

(٥)في ب :[مضا] الصواب (مضى) انظر: الزبيدي :محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس (٣٩ /٥٣٨)مادة (مضى). ، تحقيق: مجموعة من المحققين دار النشر: دار الهداية.

أما بعد :

فلما منّ الله سبحانه عليّ بأن رزقني رضا أبي،الذي ببركة رضاه أرجو حسن حالي ومنقلبي ،وكان حفظه الله حسن السياسة في تهذيب السالك،وهو صاحب الرياسة القطبية[1]عند أهل المسالك ،فأدبني وهذبني ورباني ،واجتهد بالدعاء لي، فعضدت بلطف رباني ،أسأل الله تعالى أن يرزقني القيام ببره ، والمبادرة إلى امتثال أمره ، وأنه حفظه الله وأراني في خير وعافية طلعت محياه ،كره إلي مطالعة كتب الأدب ، والاشتغال برقيق المولدين وجزل العرب [2]، بعد أن كنت ألفت كتابا أقر له أرباب العلوم ، وشهد له أئمة الفهوم أنه لم ينسخ على منواله ناسخ ، و لم يقف على مثاله ناهج .

ثم منّ الله علي بتمزيق أديمه ، وتبديد عقد نظيمه ، مع اطمئنان بذلك التمزيق، وقرار الخاطر إلى ما جرى عليه من التحريق ،والله المحمود على ذلك، فما أولاك أن تشكره على ما أولاك .

ولما مزقت ذلك الكتاب ،وسجرت به التنور أعطاني الله سبحانه خيرا منه، وقذف في قلبي ما قبله مني النور، فيسر لي فهم نكات بديعة من كتابه ،وأبان لي درراً من تيار عبابه، مع قصور فهمي،وحصور علمي، فعرضت على والدي حفظه الله بعض ذلك فاستحسنه ،والفضل في ذلك للمالك .

---

(١)القطبية :هي مرتبة عليا عند أهل التصوف . انظرا كتاب التعريفات للجرجاني(ص: ١٨٩) ،وسبق ترجمة والده من ضمن مشايخه.

(٢)المولدون هم الأجيال التي تلت جيل الفصاحة من "المتكلمين العرب".،والجزل من الكلام هو القوي الشديد، واللفظ الجزل خلاف الركيك. انظر: ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، (١٠٩/١١) مادة (جزل)، دار النشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى.

ثم أشار علي ولمح إلي أن أتدبر في القرآن الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وبين قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وأوضح نكتة الإتيان بالمضمر تارة ،وبالمظهر أخرى، فاستصعبت في أول الأمر هذا المرتقى الشامخ ، وتقاعست عن هذا المرام الباذخ ،سيما مع إعراض المفسرين فيما رأيته عن هذا المرمى ،وتسللهم لواذا عند هذا المقام الذي هو عند تحققه واضح ،وفي ظاهره معمى.

وناهيك أن الشيخ محي الدين ابن عربي[١]- رضي الله عنه- ذكر في تفسيره :أنه بقى في تأليفه بعدد الحروف من الأعـــوام ،وأودعه ما استحسن من نخب نيف وخمسين تفسيرا، منها تفسير في خمسة وسبعين مجلدا ،ومع هذا فلم يتعرض لذلك ،ولا تصدى لما هنالك .

ثم عدت على نفسي باللوم ، وعرفتها سوء السوم ، وقلت لها أما إذا كان المفسرون قد حرروا هذا المطلب ، وقرروا هذا المذهب ، فأي فائدة لك في إعادة تحريره؟ وأي موجب لزيادة تقريره ؟ وهل الناقل عنهم والمستمد منهم إلا كاتب ينقل من كتاب إلى كتاب؟ وناقل يروي عن غيره؟ ،والعلم غير صناعة الكتاب ، وهل يحسن بعاقل أن يطلب من مخلوق الإبانة[٢] ،بعد قوله من إنزاله: ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ [٣]؟ .

---

(١)سبق ترجمته ،وليت المؤلف ما ذكر ه، ونقل منه، ولعل المؤلف تأثر بالإمام السيوطي لكون المؤلف نقل كثيرا عنه، وهو ممن دافع عنه ، وكذلك تردد المؤلف على مدينة زبيد ومشايخها ،والتي كانت معقل من معاقل الصوفية ،ويذكر أيضا عن والد المؤلف أنه كان من المتصوفين بخلاف جده صاحب سبل السلام .والله أعلم .

(٢)ولوكان الناس كما قال المؤلف لما احتجنا لكتب التفسير وما ألف العلماء كتبا في التفسير وما سلك المؤلف هذا الطريق.

(٢)سورة القيامة، آية : ١٩.

ولا شك أن امتثال أمر أبيك تحوز به من [التقى][1] مكانة ومكانا ، فتفوز بجائزة ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا﴾ [2]فاستعنت بالله تعالى على امتثال أمره ، وسلوك منهج بره ، فأقول سائلا من الله التأييد ، راجيا منه التقريب والتسديد .

اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك؛ ناصيتي بيدك ،ماض فيّ حكمك، عدل في قضاءك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحد من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك؛ أن تجعل القران العظيم ربيع قلبي ، ونور بصري وجلا حزني ، وذهاب همي وغمي! .

---

(١)في ب :[التقا] والصواب كما أثبته وفي النسخة (أ).

(٢)سورة الأنفال،آية: ٢٩.

قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [1] يعني أكثر القائلين لولا أنزل عليه آية من ربه فدلت الآية أن من هؤلاء القائلين من يعلم أن الله قادر على أن يترل آية ،ثم نفى عن أكثرهم هذا العلم فبان من الآية أن من هؤلاء المشركين من يعلم قدرة الحق سبحانه على إنزال آية [فهو][2] منكر لما عدا ذلك﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ﴾ [3]،﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾[4] فهؤلاء قسم .

والقسم الثاني: من لا يعلم أن الحق قادر على أن يترل آية فهو منكر لقدرة الحق والنبوة وسيد الخلق– صلى الله عليه وعلى آله وسلم– وهذا أعرق في الضلال ،وأغرق في بحار الوبال، فلو قال: ولكن أكثر الناس لما ظهر المعنى والمطلوب إظهاره.

واعلم أن حذف المتعلق هنا ليدل على العموم فهو [لنفي][5] مطلق العلم عنهم مع تخصيص ما دل عليه السياق، فالسياق هنا يدل على أهم لا يعلمون أن الله قادر على أن يترل آية، وحذف هذا المتعلق، وتتريل المتعدي مترلة اللازم يدل على نفي العلم مطلقا، وأهم لا يعلمون شيئا فتدبر في كل آية ما يناسبها !،والله أعلم بكلامه ونستغفره فيما[6] لا يرضاه !.

---

(١) آية: ٣٧.

(٢)في ب :[وهو].

(٣)سورة الفرقان، آية: ١٠ .

(٤)سورة فاطر، آية: ٤.

(٥)في أ :[نفي] والصواب ما أثبته وفي ب.

(٦)في ب: [مما]

قوله تعالى سورة النحل:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [(١)]

فقال هنا أكثر الناس لأنه لو قال أكثرهم لعاد الضمير إلى الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ولا يصح إعادة الضمير إليهم ؛ لأنهم كلهم لا يعلمون ذلك ، ولولا عدم علمهم لم يقسموا على ذلك وغيرهم ممن لم يقسموا لا يعلمون أيضا، فلو قال أكثرهم لصح أن يكون منهم من يعلم أن وعد الله حق وليس الأمر كذلك فتعين الظاهر [(٢)].

---

(١) آية: ٣٨.

(٢) قال الطبري :حلف هؤلاء المشركون من قريش بالله جَهْد أيمانِهِمْ حلفهم، لا يبعث الله من يموت بعد مماته، وكذبوا وأبطلوا في أيمانهم التي حلفوا بها كذلك، بل سيبعثه الله بعد مماته، وعدا عليه أن يبعثهم وعد عباده، والله لا يخلف الميعاد (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) يقول: ولكن أكثر قريش لا يعلمون وعد الله عباده، أنه باعثهم يوم القيامة بعد مماتهم أحياء.

وقـــال ابن عباس: إنها للناس عامة.

ونقل الطبري أيضا عن قتادة: أنها لمن كذب بالبعث عامة :انظر:الطبري:محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(٢٠٣/١٧) تحيق :أحمد شاكر ،مؤسسة الرسالة ، القاهرة ط١ ،١٤٢٠هـــ_٢٠٠٠م.

وقـــال ابن عطية :وأَكْثَرَ النَّاسِ في هذه الآية الكفـــار المكذبون بالبعث. والبعث من القبور مما يجوزه العقل، وأثبته خبر الشريعة على لسان جميع النبيين، وقـــال بعض الشيعة: إن الإشارة بهذه الآية إنما هي لعلي بن أبي طالب، وإن الله سيبعثه في الدنيا، وهذا هو القول بالرجعة، وقولهم هذا باطل وافتراء على الله وبهتان من القول رده ابن عباس وغيره.انظر :ابن عطية الأندلسي: أبو محمد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب الـــعزيز (٣٩٣/٣) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دارالكتب العلمية لبنان ١٤١٣هـــ- ١٩٩٣م، ط١.

في سورة يوسف عليه السلام قوله تعالى :

﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

اعلم أن الناس يطلق تارة ويراد به بعض الناس ،كأنه يخص أهم الناس وما سواهم فليس بناس ،ويطلق تارة ويراد به جميع ما يصدق عليه.

فمن الأول: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾[1]،وقوله تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ ﴾[2]مع قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[3] ،وقوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾[4]مع قوله تعالى: ﴿ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴾[5].

(١)سورة البقرة، آية: ١٣.

(٢)سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٣)سورة البقرة، آية: ٢.

(٤)سورة آل عمران، آية: ٣.

(٥)سورة الأعراف، آية: ١٥٤.

ومن الثاني:قولــــه تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ،ومنه﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ .

إذا عرفت هذا فاعلم أن قوله:﴿ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[2]الإشارة في قوله ذلك إلى ترك ملة قوم لا يؤمنون بالله واتباع ملة إبراهيم الدال عليهما قوله: إني تركت ، واتبعت بقوله : ذلك فضل الله علينا ، أي أشير إلى ترك ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، وإلى اتباع ملة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فإن ترك [ذلك][3]واتباع هذا من فضل الله علينا وعلى الناس، أي التاركين لملة قوم لا يؤمنون بالله والمتبعين لملة خليل الله .

ثم قــال:﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾أي مطلق الناس ، والمراد من ذلك يوسف- عليه السلام- لما كان يدعو صاحبي السجن إلى عبادة الله وحدة ،عرفهما أن الناس حقيقة إنما هم المتبعون لملة الخليل ،والتاركون لملة أقبح جيل ، وأن من سوى هؤلاء ليسوا بناس، وعرفهم أيضا أن أولئك الناس الذي نفى عنهم الناسية الحقيقية ،وهــم ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ فأثبت الشكر لأتباع ملة إبراهيم -عليه السلام-، ونفاه عــن غيرهم ، فلو قـــال: ولكن أكثرهم لكان من أتباع إبراهيم- عليه السلام- من ليس بشاكر، وليس

(١)سورة البقرة، آية: ٨.

(٢)سورة يوسف، آية: ٣٨.

(٣) في أ:[ذاك].

كذلك فتعين الظاهر.

فسبحان! من أودع كتابه من الأسرار ، ما لا [تحيط][(١)] به الأفكار، والحمد الله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا قيما، ونسأله كما من علينا بمعرفة إعجاز كتابه اجتهادا لا عن تقليد حتى علمنا علم اليقين أنه تنـزيل من حكيم حميد ، أن يسهل لنا إتباعه ، في الأقوال والأفعال ،والاهتداء بنوره الثاقب في جميع الأحوال! ؛

ثم قـال يوسف –عليه السلام– :﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[(٢)] .

ومن تأمل ! أسرار الآيتين هاتين ، وجد أن من آداب الدعاء[(٢)] إلى الله تعالى ،ما لا تحتاج معه إلى سواه﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ وإلى مثل هذه الآيات يشير قـوله تعـالى في هـذه السورة في آخرهـا : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ

(١)في أ:ي[حيط]

(٢)سورة يوسف آية: ٣٩، ٤٠.

(٢)بل هو أهم الآداب وأوكدها ، وهو الشرط الأساسي في قبول العمل الصالح قال تعالى:﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف. وإن عدم إخلاص الدعاء لله تارة يكون شركا صريحا مخرجا عن الملة ،وقد يكون شركا أصغر فيكون الدعاء محبطا لا يمكن قبوله واستجابته .

﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾[1]فتدبر سيـــاق الآيات تنظر العجب !وقف! عند قوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ﴾[2]،وتأمل! قوله: معه تعلم أنه أراد تعريفنا أن يوسف –عليه السلام– لم يكن همه غير الدعاء[3] إلى الله[وأنه][4] لم يشغله هم دخول السجن ، وما رمي به من كيد امرأة العزيز ، وفراق أبويه، وكيد إخوته، وكونه في دار غربة، وكيد النسوة المشار إليه بقوله:﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[5]. ثم مع هذا لم يشغله مـــا هـــو فيه عن الدعاء إلى الله سبحانه وتعـــلى، وإقـــامة الأدلة القاطعة عـــلى وحدانيته .

والحال أن كـــلامه عند أول دخوله إلى السجـــن ،ومن شأن الإنســـان الاهتمـــام بمـــا هـــو فيه من الأحزان ؛ لا سيما عند أول وقـــوع النكبـــة ؛سيما ويوسف– عليه السلام –في هذا الســـن في سن الصغر .

ومن هـــذه الآية وأمثـــالها يعـــرف مقـــام الصـــــديقين ، وأن الصـــديق ليس همه إلا الدعـــاء إلى الله تعالى ومكـــافأة المـــسيء بغـــاية الإحسان، فهـــــذا الصـــديق –عـــليه الســـــلام – سجنـــوه من بعد ما رأوا الآيـــــات ،ثم كافأهم بالإحسان إليهـــم في أمر دينهم بدعـــائهم إلى الله تعـــــالى ،وإقـــــامة الحجـــج النـــيرة ، وفي أمـــر دنيـــــــاهم بمثـــل قـــــــوله: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي

---

(١)سورة يوسف، آية:١٠٨.

(٢)سورة يوسف، آية : ٣٦.

(٣)يقصد بها دعوة الدلالة والإرشاد.

(٤)في ب:[أن] .

(٥) سورة يوسف، آية: ٥٠.

سُنۢبُلِهِۦٓ ﴾[1]وقوله: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ ﴾[2]ونحو ذلك، ومن أراد استخراج الكنوز، واستفتاح الرموز، فليتدبر!،ثم بينها الله سبحانه بعد ذلك على المقدار الذي ينبغي أن [نستعمله][3] من الأسباب ،وأن الأسباب لا تنكر، وأنها من طريقة النبيين والصديقين، ومن ملة إبراهيم بقوله في آخرالأمر:﴿ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾[4]فسبحان! من جعل كتابه العزيز تبيانا لكل شي.

فقوله أولا:﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ﴾[5] فإنه ترك ما سألاه عنه من الرؤيا، وخاطبهما بما هو أهم من ذلك ،وهو دعاؤهما إلى عبادة الله وحده ، لكن قدم لهما مقدمة ،وهو الوعد لهما برزق يأتيهما ، وذلك الرزق طعام ، وهذا الرزق لا يكون إلا من الله تعالى بإجماع المشركين والموحدين﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾[6] ففي ضمن هذه الآية كأنه يقول:﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُ ﴾[7] ،وجعل هذه الأخبار عن الغيب

---

(١)سورة يوسف ، آية: ٤٧.

(٢)سورة يوسف، آية :٥٥.

(٣)في أ:[يستعمله] والصواب ما أثبته وفي ب.

(٤) سورة يوسف، آية: ٤٢.

(٥) سورة يوسف، آية :٣٧.

(٦) سورة يونس، آية: ٣١.

(٧) سورة الأنعام، آية ١٤.

معجزا أيد لهما على صدقة ، ثم قال بعد ذلك: ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ ﴾[1] فدلهما أنه من حاز هذا العلم الجليل،الذي بعدما أضحى يخبرهم عما يكون ،بسبب [تركه][2] لملة الشرك، ولزومه لملة آبائه ،فكأنه يقول لهم: إن أردتم أن يعلمكم ربكم فاعبدوه،كقوله:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[3]وفي هذا من الترغيب إلى عبادة الله مالا مزيد عليه،ثم ناداهما وأتى لهما بألطف خطاب وألين عبارة، فقال:﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾[4]فأبان لهم أن أربابهم التي اتخذوها مقهورة،وكيف يكون المقهور ربا؟!، ثم عاد من خطاب صاحبي السجن إلى مخاطبة كل من كان في طريقتهما فقال: ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ ﴾[5].

---

(١) سورة يوسف، آية : ٣٨.

(٢)في ب[ترك].

(٣) سورة البقرة، آية :٢٨٢، وقد اختلف العلماء في تفسير هذه الآية فا الذين قالوا بهذا القول :بينوا أنها من باب الشرط والجزاء ، وممن سبق المؤلف بهذا القول ابن كثير فقال :"وقوله ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ ﴾ أي خافوه وراقبوه واتبعوا أمره واتركوا زجره﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ كقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ . "انظر ابن كثير:تفسير القرآن العظيم(١/٢٩٦) المكتبة العصرية،بيروت. ط١ ١٤١٨هـ /١٩٩٧ .

و قال الإمام ابن القيِّم رحمه الله: "فليس هي من هذا البابِ بل هما جملتان مستقلتان طلبية وهي الأمر بالتقوى وخبرية وهي قوله تعالى :﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ والله يعلمكم ما تتقون وليست جوابا للأمر بالتقوى". مفتاح دار مفتاح دار السعادة ، (١/ ١٧٢) دار الكتب العلمية -بيروت- ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٤) سورة يوسف ، آية: ٣٩ .

(٥) سورة يوسف، آية :٤٠.

ولما كان من آداب أكثر الناس الاغترار بما عليه الآباء وتقليدهم من غير نظر ،من كونهم على حق أو على باطل، وكان قوله: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ﴾[1]مشعرا شيء من ذلك، أبان لهم أنه لا يصح اتباع الآباء إلا فيما وافق حكم الله فقط، لا فيما يخالف ذلك ، وأن قبول قول الغير من دون مطالبة بدليل ، ليس هو من الدين القيم ،وأن الدين القيم إنما هو في تحكيم الله سبحانه وحده، وقبول ما أنزل من سلطان ، وأن من اتبع [آباءه][2] الذين هم أقرب الناس إليه ، وأعظم الخلق حقا عليه ، وأكملهم عقلا لديه ، من دون مطالبة لهم بدليل ، فقد صار مع أقبح جيل، وفارق ملة الخليل ؛ لذلك قال:﴿ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾[3]وفي سورة الأعراف: ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾)[4]وفي سورة النجم: ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾[5]وبمجموعها تعني التنزيل والإنزال[6] والله أعلم! .

ثم قال: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[7] ولهذا أوضح لهم الأدلة

---

(١) سورة يوسف، آية: ٣٨.

(٢)في ب:[أباؤه]وهو خطأ لغوي.

(٣) سورة يوسف ، آيةمَا ٤٠.

(٤)سورة الأعراف، آية: ٧٠.

(٥) سورة النجم، آية: ٢٣.

(٦) (تنزيل)تعني نزول الشيء على عدّة دفعات، في حين أن كلمة (إنزال) لها معنى عام يشمل النّزول التدريجي ،والنّزول دفعة واحدة .الراغب الأصفهاني:الحسين بن محمد مفردات غريب القرآن، (ص:٧٩٩)دار القاسم ،١٤١٢،ط١ .

(٧) سورة يوسف، آية: ٤٠ .

بقـــولة:﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[1]فألزمهم النظر،ولم يطلب منهم تقليده ، وأخبرهم بالمعجزة الدالة عـــلى صدقه من قولـــه: ﴿ لايَأْتِيكُمَا طَعَامٌ ﴾...الآية[2] فوضح من هذا أنه يجب اتباع الآباء بعد النظر، وطـــلب الأدلة فيما وافق حـــكم الله تعالى، ومخالفتهم فيما خـــالف حكم الله تعالى ، ومثل هذا قـــوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[3] يعني اتبعوهم ولو كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون .

فأما اتباع الآباء في طرق الهداية فإنه مطلوب﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[4] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[5]ثم قال: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[6]فنفى العلم عن أكثر الناس لأنهم مقلدون ،والمقلد غير عالم ، فمن اتبع آباءه تقليدا من غير مطالبة بحجة وسلطان فهو جاهل ، وليس من أهل الدين القيم بشيء ،ومن اتبع آباءه في الهدى بعد أن صح له الدليل ،وثبت له السلطان، وقامت له الحجة ، فهو متبع لما أمره الله تعالى به ، محكم له فيما حكم به.

---

(١) سورة يوسف، آية : ٣٩.

(٢) سورة يوسف ، آية:٣٧.

(٣) سورة البقرة آية :١٧٠.

(٤)سورة الحج،آية: ٨٧.

(٥) سورة الأنعام ،آية: ٩٠.

(٦) سورة يوسف، آية :٤٠.

واعلم أن المقلد- اسم فاعل- إما أن يعلم أن المقلد -اسم مفعول- مصيب في كل ما قلده فيه أو لا، فإن كان الثاني: فكيف يصح له أن يقبل قوله مع احتمال كونه لديه [مخطئا][1]؟، هذا مما لا يجوزه عقل ولا نقل ، وإن كان الأول: فلا يخلوا إما أن يكون علمه عن اجتهاده فتقليده ضايع لمعرفته للحق ، وإن كان عـــن تقليد لزم التسلسل، وإلى هذا أشار سبحانه بقوله:﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[2]﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[3]فأشار إلى البحث عن عقل الآباء وهدايتهم، وسلوكهم غير سبيل الشيطان، فإذا عرف الحق اتبع !سواء كان مع من قلدوه أو مخالفا له ، فتدبر والله أعلم ! [4] .

وأما قوله في أول السورة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5]ففيه نفي العلم عن أكثر الناس ،ولو قال: أكثرهم لكان المعنى أكثر السيارة ، والمراد نفي العلم عن أكثر الناس لا عن أكثر السيارة .

---

(١) في ب :[مخطيا].

(٢) سورة البقرة ،آية : ١٧٠.

(٣) سورة لقمان ،آية : ٢١.

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "والذي عليه جماهير الأمة أن الاجتهاد جائز في الجملة والتقليد جائز في الجملة ولا يوجبون الاجتهاد على كل أحد ويحرمون التقليد، ولا يوجبون التقليد على كل أحد ويحرمون الاجتهاد، وأن الاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد، والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد، فأما القادر على الاجتهاد فهل يجوز له التقليد؟ هذا فيه خلاف، والصحيح أنه يجوز حيث عجز عن الاجتهاد: إما لتكافؤ الأدلة، وإما لضيق الوقت عن الاجتهاد، وإما لعدم ظهور دليل له".مجموع الفتاوى(٢٠ /٢٠٣،٢٠٤) ط١ مطابع الرياض ١٣٨٢هـــ.

(٥)سورة يوسف آية :٢١ .

و قوله:﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾[1]فالواو عاطفة على محذوف دل عليه ما تقدم من قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾[2]فكأنه قال: كذلك مكنا ليوسف في الأرض، ولنجتبيه ، ولنتم نعمتنا عليه وعلى آل يعقوب، كما أتممناها على أبويه من قبل، ولينبئ إخوته بأمرهم ،ولنعلمه من تأويل الأحاديث [فذكره واحدة] [3] مما تقدم – وهو تعليمهم من تأويل الأحاديث– دلالة على شرف العلم ،وأنه به يحصل جميع الموعـــود به، والله أعلم! .

وأما قوله في آخر السورة: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[4] ففي الآية تعليم لنا أن نحترز ، ونتقي العـــين ، ونعمل ما ينبغي أن يعمل امتثالا لفعل الأسباب مع علمنا أنه لا راد لما قضاه الله ،وأن الله غالب على أمره، وأن فعل الأسباب لا يغني عنا من الله شيئا﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [5]

(١) سورة يوسف ،آية: ٦.

(٢ سورة)يوسف، آية: ٢١.

(٣)في أ[فذكره واعده]قد يكون تصحيف من الناسخ.

(٤) سورة يوسف ،آية : ٦٧و٦٨.

(٥) نفس الآية السابقة.

ومنه قوله –صلى الله عليه وسلم-:((اعقلها وتوكل))[1]،كما أن قوله:((استعينوا على أموركم بالكتمان))[2] من قوله: ﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾[3]فتدبر! قولـــه:

---

(١) رواه الترمذي عن أنس ، قال : (قال رجل "يا رسول الله ، أعقلها وأتوكل ؟ أو أطلقها وأتوكل ؟" قال : " اعقلها وتوكل ") يعني الناقة . وقال : غريب ، ونقل عن يحيى بن سعيد القطان أنه : "منكر " الترمذي : سنن الترمذي ،كتاب صفة القيامة والرقائق، باب(٦٠) رقم (٢٥١٧) ص ٥٦٧ تحقيق الألباني، مكتبة المعارف الرياض ط١؛و صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ،باب ذكر الإخبار بأن المرء يجب عليه مع توكل القلب الاحتراز بالأعضاء ضد قول من كرهه (٧٣١) ج/٢ص٥١٠ تحقيق: شعيب الأرنؤوط ،مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤ – ١٩٩٣، ط٢، ،ومسند علي ابن الجعد(٢٣٨٦)ج١/ص٣٤٦ :تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر – بيروت – ١٤١٠ – ١٩٩٠، ط١ ،وابن أبي الدنيا في التوكل(ص :٢٢) عن أنس انظر: الألباني :تخريج مشكلة الفقر ط١ ١٤٠٥-١٩٨٤م المكتب الإسلامي بيروت.

وأخرجه القضاعي ، في مسند الشهاب (٦٣٣) ، عن عمرو بن أمية الضمري ، ((أنه قال: قلت يا رسول الله : "أقيد راحلتي وأتوكل؟ أو أرسلها وأتوكل ؟ " قال : " قيدها وتوكل ".)) انظر: الدومي :عبد القادر بن بدران شرح كتاب الشهاب (ص:٤٠٢) تحقيق: نور الدين طالب إصدار قطاع المساجد الكويتية ط١٤٣١،٢هـــ٢٠١٠م، ، و عزاه الهيثمي في المجمع(٣٠٣/١٠) إلى الطبراني وقال: رواه الطبراني من طرق، ورجال أحدها رجال الصحيح غير يعقوب بن عبد الله بن عمرو بن أمية، وهو ثقة.، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، :(١٢٠٩) ج/٢ ص٨٠.

قال الألباني :حديث حسن ، انظر صحيح الجامع (٤٤٣٢)،(٤٤٣٣)،(١٠٦٨) المكتب الإسلامي ط٢ ١٤٠٨هـــ١٩٨٨م.

(٢) أخرجه القضاعي ، في مسند الشهاب (٥١٥) ص:٣١٥ من حديث معاذ وأخرجه أيضا بزيادة "فإن كل ذي نعمة محسود" وفي لفظ له" استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان لها " وعزاه الهيثمى في مجمع الزوائد (١٩٥/٨) إلى الطبرانى في الثلاثة بلفظ" استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود " وقال : فيه سعيد بن سلام العطار ، قال العجلى : لا بأس به ، وكذبه أحمد وغيره ، وبقية رجاله ثقات إلا أن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ . قال الألباني "صحيح "أنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٤٣٥) ،وصحيح الجامع(٩٤٣).

(٣) سورة يوسف، آية: ٦.

﴿لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ ثم قال: ﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾[1][أي][2] برأيي فبين لهم أن الاجتهاد في الأسباب لازم مع اعتقاد أنها لا تغني من الله شيئا، ثم قال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ فهذا الحكم القدري ، وذلك الحكم الشرعي[3] ،ثم قال: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي لا على غيره ،﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[4]ثم قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾[5]أي من أبواب متفرقة ، أعلمنا الله سبحانه وتعالى بهذا الوصف أنهم امتثلوا أمر أبيهم، وأطاعوا قوله مع بعده عنهم ، وعدم اطلاعه على ما كان منهم ؛ لئلا يتوهم متوهم إذا سمع بما فعلوه من أبيهم من أخذ يوسف، وكتم خبره عن أبيه ،إن العقوق كان هجيراهم[6] وعاداتهم المستمرة فرد هذا الوهم بقوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ ونستغفره مما لا يرضاه وهو أعلم بكلامه! .

وقوله: ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ أي رأي يعقوب وعلمهم بمقتضاه إِلَّا ﴿حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ ، وهي امتثال أمر الله تعالى بلزوم

---

(١) سورة يوسف ،آية : ٦٧،وجميع ما بعدها منها، ماعدا آية الطلاق حاشية (٤).

(٢)زيادة من ب .

(٣)زيادة في حاشية ب:[أي المذكور في الآية الأولى في قول يوسف﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾]ولعلها تفسير من الناسخ.

(٤) سورة الطلاق ،آية: ٣.

(٥) في ب خطأ من الناسخ في الآية [ثم دخلوا] وتم تصويبه[ولما دخلوا] .

(٦)دأبهم وديدنهم .ابن منظور:لسان العرب ،مادة (هجر) (٥/٢٥٤).

الأسباب ، مع العلم بكونها لا تغني من الله شيئا ولذا وصفه بعد ذلك بقوله:﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ ﴾[1]قال قتادة :((يعني لعامل بما علمناه ومن لم يعمل فليس بعالم))[2] انتهى.

﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ المقترن بالعمل فمن [كان][3] عالما عاملا فإنه يعمل الأسباب مع التخلي عن اعتقادهم، وهم أتباع الرسل .

وأما الذين لا يعلمون وهم أكثر الناس فهم ثلاثة أقسام: الأول : من يعمل الأسباب ويعتقد أنها تغني عنه ، وهذا الجاهل ، والقسم الثاني: من لا يعمل الأسباب ويعتقد أنها لا تغني عنه ، وهذا أيضا جاهل ،وأما القسم الذي لا يعمل الأسباب [ويعتقد][4] أنها تغني فهو أيضا مذموم ،ولعله لا يكاد يوجد ، فمراد الآية تقسيم الناس إلى هذه الأقسام حظا على العلم والعمل ،ومتابعة الأنبياء- عليهم السلام - ، ولو قال: ولكن أكثرهم لا يفهم هذا وكان الضمير يعود إلى إخوة يوسف ، وليس المعنى عليه ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله !، لقد جاءت رسل ربنا بالحق .

---

(١) سورة يوسف، آية: ٦٨.

(٢)أصله أُثران أخرجهما ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/١٦٨) أحدهما: عن قتادة: ((وإنه لذو علم لما علمناه)) ، قال: إنه لعامل بما عَلم. والثـاني:عن سفيان: (إنه لذو علم) ، مما علمناه. وقـال: ((من لا يعمل لا يكون عالمًا)) .وسندهما صحيح من طريق بن أبي عروبه.

وأخرج أثر قتادة أيضا: ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تفسير القرآن (٧/ ٢١٦٩) تحقيق: أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية - صيدا ، ، ولعل المؤلف نقل عن السيوطي فإنه قد خلط بينهما ،والصحيح أنهما أثران منفصلان كما بينتهما ،وكلامهما سنده صحيح ، انظر:السيوطي ،جلال الدين :الدر المنثور في التفسير بالمأثور(٤/ ٥٨٨) دار الفكر بيروت ١٩٩٣. و وتبعه أيضا: الشوكاني :فتح القدير (٣/ ٦٠) .

(٣)[كان]سقطت من (ب).

(٤) في ب:[وتعتقد] والسياق يدل على ما أثبته وفي(أ).

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[1]

اعلم أن فضل الله تعالى يطلق تارة ويراد به الهدى والنور ونحوهما تارة ،ويراد به الفضل العام، وهو كل ما تفضل الله به؛

فمن الأول: قوله تعالى﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾[2]﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ﴾[3].

ومن الثاني: قوله تعالى:﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[4]فهذا فضل عام على الناس عامة.

ومثله في سورة النمل:﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[5]

---

(١)سورة البقرة، آية: ٢٤٣.

(٢) سورة يونس، آية :٥٨.

(٣) سورة النساء، آية: ١١٣.

(٤) سورة يونس، آية :٥٩،٦٠.

(٥) آية :٧٣ .

وقبلها ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٧١ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ٧٢ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ [1] فأتى باسمه الرب المستلزم للتربية لكل مربوب مضافا إلى كاف الخطاب لمن أرسله رحمة للعالمين، فهذا فضل عام لعامة الناس، وإذا اتضح هذا اتضح إتيانه بالضمير في سورة يونس وفي النمل [فتدبره][2] تجده واضحا! .

وأما في سورة البقرة فإن هؤلاء الملأ الذين خرجوا من ديارهم لما كانوا مؤمنين كان قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[3] إشارة إلى فضل خاص له عليهم، وهو هدايتهم للتوحيد، وإحيائهم بعد الموت ليوحدوه ،فيزداد إيمانهم ،وتعلوا درجاتهم ،وكان تسميته له لهم بالناس تخصيصا لهم بالمناسبة كما تقدم فلزم أن يأتي بالظاهر في قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾[4] ويكون فيه جناسا تاما[5] .

وأخرج وكيع، والفريابي ،وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم ،عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ ﴾[6] قال:

---

(١)سورة النمل ،آية: ٧١ ،٧٢، ٧٣.

(٢)في ب:[فتدبر] .

(٣) آية ٢٤٣.

(٤)نفس الآية.

(٥) الجناس التّام: هو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء: نوع الحروف، وعددها، وهيئآتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها مع اختلاف المعنى. أحمد الهاشمي:جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص:٣٢٦) ضبط: يوسف الصميلي المكتبة العصرية، بيروت.

(٦))سورة البقرة، آية: ٢٤٣.

((كانوا أربعة آلاف خرجوا فـــرارا من الطاعون،وقالـــوا :نأتي أرضا ليس بها موت،حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال لهم الله موتوا فماتوا، فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم حتى يعبدوه فأحياهم)) (١)انتهى.

فتأمل نكات القرآن البديعة كيف نبه بإعادة الظاهر، وعدم الإتيان بالضمير إلى أن هؤلاء من المؤمنين ، فسبحان! من جعل فيه علم الأولين والآخرين.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك،كتاب التفسير ، رقم(٣١٧٢) ج/٢ ص٣٣٧ ،قال: أخبرنا أبو زكريا العنبري، ثنا محمد بن عبد السلام، ثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأنا وكيع، ثنا سفيان، عن ميسرة النهدي، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما..فذكره، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه وقال الذهبي: ميسره لم يرويا له وأخرجه له البخاري في الأدب المفرد،وميسرة هو بن حبيب النهدي ثقة.انظر ترجمته :ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي أبو الفضل، تهذيب التهيب(١٠/٣٨٦) : مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند .الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـــ.

وأخرجه الطبري في تفسيره عن أبي إسحاق وساق سنده ومتنه بمثله (ج/٥ ص ٢٦٦،٢٧٧)،وعزاه السيوطي كالمؤلف :الدر المنثور (١/٧٤١)دار الفكر بيروت ١٩٩٣،وانظر: تفسير ابن كثير (١ /٢٦١).

قوله تعالى في سورة يونس:

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾(١)

نفى العلم بلفظ أكثرهم تارة، لتقسيم أهل الضلال إلى مكذب أهمل نفسه، فلم ينظر إلى الأدلة ،وجاحد عرف الأدلة، وأنكرها تكبرا ، ومنه هذه الآية يوضح ذلك مثل قوله:﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ..الآية﴾(٢)فرؤساؤهم علموا أو جحدوا ، وأتباعهم قلدوهم من دون طلب للدليل ، فمراد الآية هنا هذا التقسيم، وتارة يكون نفي العلم بهذا اللفظ لمعنى آخر ، وفي كل آية يعتبر ما يناسب معناها والله أعلم بكلامه!

وأما قوله تعالى :في سورة الرعد ﴿ المر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۗ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(١) فأتى بالظاهر لعدم تقدم ما يعود الضمير إليه والمراد نفي الإيمان عن أكثر الناس والله أعلم .

---

(١) آية:٥٣، ٥٤،٥٥.

(٢) سورة البقرة ،آية ١٦٦.

(١) ،آية : ١

وأما قوله تعالى :في سورة الأعراف

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] أيان: بمعنى أي آن[2]، ،ولا يسأل به إلا عن أمر عظيم ،فلا يقال: أيان آتيك كقوله تعالى:﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[3].وقوله:﴿ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾[4]أيـــان يوم القيامة ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ ﴾[5]، وقوله :﴿ مُرْسَىٰهَا ﴾ مرساها أصله من رسا الشيء، إذا ثبت واستقر ،ومنه سميت الجبال رواسي ،ومرسا السفينة استقرارها[6]، في قوله:﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾[7] وأصل الساعة الوقت الحاضر ،فكل وقت فهو ساعة ،فإذا رسا ذلك الوقت وقام، فهو قيام الساعة ،وهو مرساها.

---

(١) آية: ١٨٧.

(٢)ابن عطية الأندلسي: أبو محمد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(٣/٤٨٤) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، لبنان ١٤١٣هـــ- ١٩٩٣م، ط١.

(٣) سورة النمل، آية: ٦٥.

(٤) سورة النازعات، آية: ٤٢،٤٣.

(٥)سورة الذاريات ،آية :١٢.

(٦) انظر: ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب (١٤ / ٣٢١)مادة (رسا) ، دار النشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى.

(٧) سورة هود، آية:٤١.

وقولة:﴿ قُلْ ﴾ [١]: خطاب لمن أرسله رحمة للعالمين﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ فأتى باسم الرب مضافا إلى من هو بالمؤمنين رءوف رحيم ،ترغيبا لهم في الإيمان بالساعة، وإشارة إلى ما يكون فيها من نشر الرحمة .

وقولـــه: ﴿لَا يُجَلِّيهَا ﴾ يظهرها لوقتها الذي يعلمه إلا هو ﴿ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قال ابن عباس:((ليس شيء من الخلق إلا يصيبه من ضرر يوم القيمة))[٢].

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾أي فجأة ، وقوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ الحفي العالم المستقصي عن الشيء إلى أقصى[٣]حده ؛ فعنها متعلق بحفي لا بقوله يسألونك فلا تكرار، فالمعنى :يسألونك كأنك قد عرفتها معرفة[٤] المستقصي عنها، فلذا جاء باسم الله في قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الذي له العلم كله، قل إنما العلم عند الله،﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[٥] ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أن الله يجليها لوقتها وأنها ثقلت في السموات والأرض وأنها لا تأتيكم إلا بغتة وأنه لا يعلمها إلا الله فلو قال: أكثرهم لعاد الضمير إلى السائلين عن الساعة والمراد أعم .

---

(١)الآيات كلها من سورة الأعراف ،آية :١٨٧. ماعدا التي في البقرة.

(٢)أخرجه ابن أبي حـــاتم (٥ / ١٦٢٦) وفيه بشر بن عمارة الخثعمي، قال عنه أبو حاتم: "ليس بالقوي في الحديث" وقال البخاري: "يعرف وينكر"، وقال النسائي: "ضعيف"، وقال ابن حبان: "كان يخطىء حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد"،وقال الدارقطني: "متروك" وقال العقيلي: "لا يتابع على حديثه".انظر:ابن حجر العسقلاني:أحمد بن علي ،تهذيب التهذيب(١/٤٥٥).دار المعارف الهند ،ط١/١٣٢٦هـــ.,,وانظر:الشوكاني: فتح الـــقدير (٢/ ٣٩٤) وتفسير ابن كثير (٢/٢٥٠).

(٣)في ب:[أقصا] .

(٤)في ب:[معرفت].

(٥) سورة البقرة ،آية: ٢٥٥.

قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾[1]

((السنين: قال مجاهد: الجوائح ،ونقص من الثمرات قال: دون ذلك))[2] فالمراد أخذنا بالشدة العظمى ،وبما دونها ،ثم بين العلة في ذلك بقولـــة: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ وهـــذا كقوله:﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[3]ومن عرف هذا عرف المحنة من الله منحه وأنه إنما يبتلي ليعافي، ثم بين حالهم أنهم عند حصول الرخاء لا يشكرون ، وعند نزول البلاء لا يصبرون فقال:﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ ﴾وعرفها للتعظيم،﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾يقولون هذه التي ينبغي أن نختص بها دون غيرنا ونستحقها،فلا يعترفون أنها من عند الله،بل يرون أنفسهم مستحقين [لأعظم النعم][4] ولا يرضون إلا بالحسنة العظيمة ، وجاء بإذا التي للجزم وبقوله:﴿ جَآءَتْهُمُ ﴾

(١) سورة الأعراف ،آية: ١٣٠، ١٣١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم :تفسير القرآن (٥ /١٥٤٢)، والطبري :في تفسيره بسند صحيح (١٣/ ٤٦). وعزاه السيوطي لابن أبي شيبه ،وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ. الدر المنثور(٣/٥١٨).و ابن كثير:تفسير القرآن العظيم (٢ /٢٢٢).

(٣)سورة السجدة ،آية: ١٢.

(٤)في ب:[لا أعظم] النعم وهو خطأ.

[أي][1]أتت إليهم بدون سبب منهم لتحصيلها، ثم قال: وإن المشككة تصبهم أي تقصدهم ولا تخطيهم سيئة ،وهي ما يسوء حقيرة ،يطيروا تطيرا بعد تطير موسى ومن معه أي يتشاءمون بهم ، فتأمل كبرهم! ، وعجبهم بأنفسهم! .

[إذا][2] ﴿ جَآءَتۡهُمُ ﴾ أي وافت إليهم من دون طلب منهم[3]الحسنة العظيمة ، وهو ما يستحسن من كل شي قالوا لنا هذه ، وعبر بقالوا الدال ، على وقوع[القول][4] منهم مرة لاشتغالهم عن الحسنة وعن التطير إليها بالفساد في الأرض لنا هذه استحقاقا لنا دون سائر الناس ،﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ ﴾[5] فيقولون أنها بسببهم حصلت ، وبشؤمهم وصلت ، وهذا شأن أهل الكفر ، كما حكى الله سبحانه عن ثمود: ﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[6]وقوله عن أصحاب القرية:﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ ﴾[7]يعني شؤمكم معكم لا يفارقكم بمعصيتكم لله الموجبة لنزول

(١)[أي]سقط من ب.

(٢) في ب:[إذ].

(٣)زيادة في أ: [لها]والصواب حذفها لعلها زيادة من الناسخ.

(٤)سقط من (ب).

(٥)سورة الأعراف،آية: ٣١.

(٦)سورة النمل آية: ٤٧،٤٨.

(٧)سورة يس آية: ١٨،١٩ .

الشؤم بكم ولهذا قال: منبها لهم ، ولمن سلك مسلكهم﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[1] الذي أخذهم بالعذاب لعلهم يرجعون، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ .

أعلم أن آل فرعون كانوا فريقين:منهم من يعلم أن الله تعالى هو الذي يصيبهم بالسيئات ، وأن شؤمهم بسوء أعمالهم لعلم هذا الفريق بالآيات الدالة على صدق موسى –عليه السلام– ، وإنما يجحدها ظلما وعلوا ،كما قال عنهم في النمل: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ﴾[2] .

ومنهم فريق آخر لا يعلم ذلك لعدم نظره إليه ، وانغماسه في بحر جهله ، وانهماكه في سلوك سنن ما عليه العامة ، فهو يرى الآيات الباهرة ،والمعجزات القاهرة ، فلا يرفع لها رأساً، ولا يلتفت إليها ، ولا يعرج عليها، فهو مهمل الحالة ،مضيع لنفسه، قد ألقى جبل فكره على غاربه ،ووضع عن عقله أثقال تحمل النظر فيما ينفع، وتكاسل عن النهوض إلى ما يرفع ، وهؤلاء هم أكثر المقول عنهم هنا﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ فهم إنما أتوا من قبل أنفسهم .

وتدبر! قوله:﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾[3] فوصف الآيات بأنها مبصرة ؛لأن من شأن المبصر أن يتوجه إلى حيث أرسله المرسل ، فلما كانت الآيات مرسلة إليهم لإقامة الحجة عليهم،وكانت واصلة إلى قلوبهم لا تتعداها،سالكة في أفئدتهم ،

---

(١) سورة الأعراف،آية:١٣١.

(٢)سورة النمل، آية:١٤.

(٣)سورة النمل، آية:١٢.

محققه لديهم أن ما أنكروه حق ،سماها مبصرة يوضح ذلك قوله: بعدها﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ [1] وإذا وضح هذا وضح قوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[2]في الشعراء.

وقوله: في الحجر ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [3]وإنما جاء في في [سورة][4]الشعراء بصيغة الماضي ، وفي الحجر بصيغة المستقبل مراعاة لسياق الآيات، فقبل آية الحجر ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [5]فقال: يأتيهم، ويستهزءون ،ونسلكه .

وفي الشعراء:﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾[6]فالجزاء في كل منهما من جنس الفعل، فإذا عرفت ذلك عرف أن الذي لا يعلم إنما[يجهل][7]لسكونه إلى سكن جهله ، ووقوفه على قبول قول غيره من دون مطالبة بالدليل، وإلا فإن آيات الله مبصرة ،وبيناته غير قاصرة ولا مقصرة ،فأبانت

---

(١)سورة النمل، آية: ١٤.

(٢) آية:٢٠٠ .

(٣) آية: ١٢.

(٤)في ب:[صورة] وسقط من أ وصوبتها [سورة].

(٥) آية: ١١.

(٦) آيات: ١٩٨،١٩٩،٢٠٠.

(٧)في ب:[جهل].

لآية أن من آل فرعون من يعلم﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وأوضح لنا بما في سورة الأعراف تخصيص ما في سورة النمل ،فسبحان! من أمرنا بتدبر كتابه وأرنا من بحره العباب[1] العجاب! ، وما يذكر إلا أولوا الألباب .

وعن ابن عباس-رضي الله تعالى عنهما- قال: ((لما أخذ الله آل فرعون بالسنين، يبس لهم كل شي، وذهبت مواشيهم حتى يبس نيل مصر، فاجتمعوا إلى فرعون، وقالوا له: إن كنت كما تزعم فأتنا في نيل مصر بماء ، قال: غدوه يصبحكم الماء ،فلما خرجوا من عنده قال: أي شي صنعت؟ أنا أقدر على أن أجري في نيل مصر ماء غدوة أصبح فيكذبوني !، فلما كان في جوف الليل قام واغتسل ،ولبس مدرعة صوف، ثم خرج خافيا حتى أتي نيل مصر، فقام في بطنه فقال: اللهم! انك تعلم إني أعلم أنك تقدر على أن تملأ نيل مصر ماء، فملأه ماء ،فما علم إلا بخرير الماء يقبل ، فخرج وأقبل النيل يزخ بالماء)) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول[2] .

فهذا[مما][3] يدلك على أن فرعون كان ممن ينكر رسالة موسى عليه السلام وآيات[الله][4] تعالى تجبراُ واستكبارا مع علمه ، وتيقنه صحت ما جاء به موسى عليه السلام والعلم الذي لا يوصلك إلى الله ليس بنافع ، وإن كان في نفسه نافعاً؛ لكنه بالنسبة

---

(١)العباب :هو أول الماء وارتفاعه .ابن منظور :لسان العرب،مادة(عبب)(١/٥٧٥) .

(٢)أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ج/١ ص ٤٠٩ برقم (٥٨٩) وجاء أيضا بلفظ قريب منه عن عبد الله بن عمرو(٥٨٨) ط١ مكتبة البخاري القاهرة ١٤٢٩هــ-٢٠٠٨م ،و ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٥٤٢).وفيه بشر بن عمارة الخثعمي، ضعيف وقد سبق بيان ضعفه(ص:١٠٤). وانظر:ترجمته في :ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب(١/٤٥٥).

(٤)[الله]سقط من ب.

إلى عالمه ليس بنافع أصلا ،ومنه عـــلم فرعون بنبوة موسى عليه السلام و لم ينفعه بل ضـــره .

فإياك أن تكون ذا علم فرعوني! فإن العلم بدون عمل ؛ مضره عاجلة ومعرة آجلة ، اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، ونفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها! .

قوله في سورة الروم: ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]

في هذه السورة من دلائل النبوة، وبراهين الرسالة ، وحجج الحق على الخلق، ومعجز القرآن ،والإخبار بالغيب الذي يختص بعلمه عالم الغيب والشهادة ، ما يذعن له العنيد، ويزداد به المؤمن إيمانا ،فإنه أخبر أولا عن حصول الغلبة على الروم ، وأنهم بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ،والبضع القطعة، والتبضيع التقطيع ، ومنه ((فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها))[2] فكأن السنين قطعت قطعا ،وهي ما بين الثلاث إلى العشر[3].

وفي تاريخ الخميس روي ((أنه بعث قيصر رجلا يسمى قطمة بجيش الروم ،وبعث

---

(١)سورة الروم، آية: ٦.

(٢)أخرجه البخاري من حديث المسور بن مخرمة كتاب النكاح ،باب الذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف ،رقم (٥٢٣٠) ص ٩٣٤وكتاب الفضائل ،باب مناقب آل البيت و فاطمة برقم(٣٧١) (٣٧٦٧)ص ٦٢٦، دار السلام الرياض ١٤١٩هـــ-١٩٩٩م، ط٢ ،ومسلم :كتاب الفضائل ،باب فضائل فاطمة،رقم (٦٣٠٧) ص١٠٦٧ دار السلام الرياض ١٤٢١هـــ-٢٠٠٠م، ط٢، وابن أبي شيبة في المصنف في الأحاديث والآثار (٣٨٨/٨)، تحقيق:كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشدالرياض١٤٠٩،ط٢ ، والطبراني الكبير رقم (١٠١١)(٢٢/ ٤٠٤)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة الزهراء الموصل ١٤٠٤ – ١٩٨٣، ط٢، والبيهقي في السنن الكبرى، (/١ / ٢٠١) تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ١٤١٤ – ١٩٩٤.

(٣) حكا الهروي عن العرب" أن البضع ما بين الثلاث إلى التسع" ،وحكى عن أبي عبيدة "أن البضع ما دون نصف العقد" يعني ما بين واحد إلى أربعة ،وقيل ما بين ثلاث إلى سبع حكاه قطرب، وحكى الزجاج "أنه ما بين الثلاث إلى الخمس " الشوكاني :فتح القدير (٣ /٤١) ولسان العرب(٨ /١٥) مادة (بضع)، وانظر:الزمخشرى :جار الله أبو القاسم محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل (٣ / ٤٦٦)دار الكتاب العربي بيروت ط : ١٤٠٧ هـــ.

وأخرج ابن عبد الحكم من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:((البضع سبع سنين))

السيوطي: الدر المنثور (٤٨٢/٦) =

كسرى برويز شهريزاد فالتقيا بأذرعات وبصرى ، وهي (بأدنى الشام) فغلبت فارس على الروم ، فبلغ الخبر مكة فشق على المسلمين وكرهوا، لأن فارس مجوس لا كتاب لهم، وكانوا يجحدون البعث، ويعبدون الأصنام، والروم أهل كتاب ،وفرح المشركون بذلك ، وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب، ونحن وفارس أميون ، وقد ظهر إخواننا من فارس على إخوانكم من الروم، فإن قاتلتمونا لنظهرن[نحن][1] عليكم فنزلت:﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾[2]فخرج بها أبو بكر- رضي الله تعالى عنه- إلى المشركين، وقال: لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال: أبي بن خلف كذبت! فتراهنا على عشر قلائص من كل واحد منهما، وجعلا الأجل ثلاث سنين، فأخبر أبو بكر-رضي الله عنه- النبي-صلى الله عليه وسلم- فقال: زد في الخطر وابعد في الأجل، فجعل مائة قلوص[3] إلى [تسع][4] سنين.

فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر - رضي الله عنه - من مكة أتاه فلزمه، وقال: إني أخاف أن تخرج من مكة ،فأقم لي كفيلا،

=و عن ابن عباس قال((البضع ما بين السبع إلى العشرة)) وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الله بن عبد العزيز الليثي قال سعيد بن منصور كان مالك يرضاه وكان ثقة وقد ضعفه الجمهور.مجمع الزوائد (٧/٨٩)وعن نيار بن مكرم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((البضع ما بين الثلاث إلى السبع)) قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط وفيه إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي وهو متروك. مجمع الزوائد (٧ ٨٩).
(١)سورة الروم، آية ٢،٣.

(٢)سقط من ب [نحن] وهي في الأصل (الخميس) بزيادة [نحن]،وفي تفسير الطبري من غير زيادة نحن ،وسيأتي تخريجه.

(٣)القلوص: الفتية من الإبل بمنزلة الجاربة الفتاة من النساء، وقيل:هي الثنية ،وقيل: هي ابنة المخاض، وقيل :هي كل أنثى من الإبل حين تركب وإن كانت بنت لبون أو حقة إلى أن تصير بكرة ،وقال العدوي: القلوص :أول ما يركب من إناث الإبل .ابن منظور :لسان العرب (٧ / ٨١)مادة(قلص).

(٤)في أ:[سبع] وهو خطأ والصواب كما أثبته وكما هو في الأصل في كتاب الخميس كما يأتي تخريجه.

فكفل له ابنه عبد الرحمن بن أبي بكر[1] ،فلما أرد أن يخرج أبي إلى أحد، أتاه عبد الرحمن بن أبي بكر فلزمه وقال: لا والله لا أدعك تخرج حتى تعطيني كفيلا؛ فأعطاه كفيلا.

فلما خرج إلى أحد فقتل بيد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ،وغلبت الروم على فارس يوم الحديبية[2]، فأخذ أبو بكر -رضي الله عنه- مال الخطر من كفيل أبي وورثته، وجاء به إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم –فقال: تصدق به ،وكان ذلك قبل تحريم القمار ، وهذه آية بينة ، على صحة نبوته -صلى الله عليه وسلم- ، وعلى أن القرآن من عند الله تعالى ،لأنه نبأ عن الغيب. انتهى[3].

وقال:جار الله[4]-رحمه الله تعالى-،ومن مذهب أبي حنيفة-رحمة الله وتعالى-،ومحمد[5]أن

---

(١)عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنهما ــ شقيق أم المؤمنين عائشة حضر بدرا مع المشركين ثم أسلم وهاجر قبيل الفتح، وكان أسن أولاد الصديق ،وكان من الرماة والشجعان ، له أحاديث نحو الثمانية اتفق الشيخان على ثلاثة منها، روى عنه ابناه عبد الله وحفصة ،وابن أخيه القاسم بن محمد، وأبو عثمان النهدي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وآخرون ،وهو الذي أمره النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أن يعمر أخته عائشة من التنعيم توفي في سنة ثلاث وخمسين . الذهبي: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧١، ٤٧٢).

(٢)الحديبية:هي قرية ليست كبيرة قرب مكة على طريق جدة ، سميت ببئر هناك ،وبينها وبين مكة مرحلة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل ، وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم، وهو أبعد الحل من البيت وقيل سميت لشجرة حدباء كانت هناك وهي التي كانت تحتها بيعة الرضوان.الحموي:معجم البلدان(٢/٢٢٩)،الزبيدي:تاج العروس (٢/٢٤٧).

(٣)الديار بابكري :حسين بن محمد الحسن ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس (١ / ٢٩٨).مؤسسة شعبان بيروت ،وأخرجه أيضا الطبري (٢٠/٦٩) عن قتاده.

(٤)هو الزمخشري صاحب التفسير ،وقد مرت ترجمته من ضمن مصادر المؤلف.

(٥) هو محمد بن الحسن ابن فرقد العلامة فقيه العراق أبو عبد الله الشيباني الكوفي صاحب أبي حنيفة، ولد بواسط، ونشأ بالكوفة ،وسكن بغداد، وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه وتمم الفقه على القاضي أبو يوسف، وروى عن أبي حنيفة ومالك وغيرهم ،و عنه الشافعي فأكثر، غلب عليه الرأي ،وولي القضاء للرشيد ، وكان مع تبحره في الفقه يضرب بذكائه المثل، توفي إلى رحمة الله سنة تسع وثمانين ومئة بالري . الذهبي:سير أعلام النبلاء (٩/١٣٤).

العقود الفاسدة من عقود الـــربا غيرها جائزة في دار الحـــرب بين المسلمين والكفـــار، وقد احتجا على صحة ذلك بما عقـــده أبو بكر- رضـــي الله عنـــه- بينه وبين أبـــي بن خلف(١).

وقال: جار الله -رحمه الله تعالى- وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، وذلك على رأس تسع سنين ، وقيل كان النصر يوم بدر الفريقين، فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي ،وذكر نحو ما تقدم. انتهى(٢).

وجرى صاحب الخميس على هذا ،وأنه كان نصر الروم في يوم بدر، فقال: بعد ذكر قصة بدر في هذه السنة غلبت الروم على فارس ، روي أنه لما التقى النبي صلى الله عليه وسلم بالمشركين يوم بدر فنصر عليهم، وافق ذلك اليوم التقى الروم بفارس ، فنصرت الروم ففرح المسلمون [بالفتحين](٣) وإنما فرحوا لأن الروم أهل كتاب، وفارس مجوس لا كتاب لهم. انتهى كلامه (٤) .

ولا [يخفى](٥)أن بدرا كانت في السنة الثانية من الهجرة ، ونزول سورة الروم على مقتضى ما ذكره صاحب الخميس في السنة الثامنة من البعثة ، وما ذكره صاحب الخميس من قتل أبي بن خلف يوم أحد ، وهو كذلك، ومن إتيانه لعبد الرحمن بن أبي بكر بكفيل، ومن أخذ أبي بكر- رصي الله عنه- مال الخطر من ورثة أبي يدل أن النصر كان في عام

---

(١)الزمخشري :الكشاف (٣ /٤٦٧).

(٢)المصدر السابق.

(٣)في ب:الفتحتين وهو خطأ .

(٤) الديار بابكري:تاريخ الخميس (١ /٤٠٦).

(٥)في ب:[يخفا].

الحديبية؛ لأن أحدا كان في السنة الخامسة[1] من الهجرة ،والحديبية في السنة السادسة، فيكون على رأس تسع سنين ،ويكون من أسرار القرآن أن قوله تعالى:﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾[2]حروفه تسعة[3]، وبكونه لم يبين المدة بغير لفظ البضع لئلا يعلم كل أحد ما سيكون من أمر الغالب والمغلوب من المحاربين، بتاريخه الموقوت ، وليعلم من شاء ما شاء من علمه ، ولذا أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– أبا بكر –رضي الله عنه –أن يزيد في المدة والخطر . والله تعالى أعلم بكلامه ،ونستغفره مما لا يرضاه !.

ومن مثل هذه القصة تعرف درجات أهل التصديق ،ودركات أهل التكذيب، ولكل درجات مما عملوا ،وقد كان الفتح الأعظم في عام الحديبية.

قال صاحب الخميس: "لما رجع النبي– صلى الله عليه وسلم – من الحديبية وكان بصنجان (كسكران جبل قرب مكة) نزلت عليه سورة:﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ "[4] فالمراد من الفتح عند بعض المفسرين فتح الحديبية ، وسمي فتحا لأنه كان مقدمة لفتوح كثيرة ،كما ورد في كتب التفاسير والسير من أن الذين أسلموا في سنة الصلح يعدلون الدين أسلموا قبلها .انتهى[5] .

---

(١)بل قد نقل حسين البابكري الإجماع على أن" أحد" كانت في السنة الثانية من الهجرة، وليس كما قال المؤلف :أنها في السنة الخامسة .انظر تاريخ الخميس (١/ ٤١٩).

(٢)سور الروم، آية: ٤.

(٣)وهذا من التكلف الذي ليس عليه دليل.

(٤)سورة الفتح،آية:١. انظر:الديار بابكري:تاريخ الخميس (٢ /٢٦) مطبعة عثمان عبد الرزاق ١٣٠٢هـــ ط١ .

(٥)الزمخشري:الكشاف (٤ / ٥٣٥)، والسيوطي :الدر المنثور (٧ / ٥٠٩)،وابن كثير :تفسير القرآن(٤ /١٦٤) والشوكاني:فتح القدير (٥/ ٥٩).

وأخرج عبد الرزاق ،وأحمد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، والترمذي ، وابن جرير وابن مردويه ، وأبو نعيم في المعرفة عن أنس– رضي الله عنه– قال:((أنزلت على النبي–صلى الله عليه وسلم–﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[1]مرجعه من الحديبية ، فقال: لقد أنزلت على آية هي أحب إلي مما على الأرض، ثم قرأها عليهم فقالوا: هنيئاً مريئاً يا رسول الله ، قد بين الله لك ماذا يفعل بك ، فماذا يفعل بنا ؟ فأنزلت عليه:﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا حتى إذا بلغ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾)) [2].

(١)سورة الفتح آية:٢

(٢)أخرجه البخاري ،كتاب المغازي (٤١٢٧)ص٧٠٨ ، من غير زيادة "هنيئا...." وقال إنها من رواية عكرمة مرسلا، ومسلم ،كتاب الجهاد ،باب صلح الحديبية (١٧٦٨)ص٧٩٧ ولكن من غير الزيادة المذكورة ،والترمذي ،كتاب التفسير باب ٢٩ (٣٢٦٣) ص ٧٣٨، وابن جرير في التفسير (٢٢ /١٩٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٦٩٣٧)ج/٧ ص٤٠٨ ،وأحمد في المسند(١٣٥٨)ج/٣ ص١٩٧ مؤسسة قرطبة مصر،و عبد الرزاق في التفسير (٣ /٢٢٥)مكتبة الرشد الرياض ١٤١٠، ط١ ،وابن حبان،باب ذكر الإخبار عما وعد الله جل وعلا المؤمنين في العقبى من الثواب على أعمالهم في الدنيا (٣٧٠)ج/٢ ص ٩٢ ،وأبو يعلى في المسند(٣٠٤٥) ج٥ ص ٣٨٥ تحقيق: حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ،دمشق ١٤٠٤ – ١٩٨٤ط١،، والبيهقي في دلائل النبوة ج/٤ ص١٥٨ تحقيق عبد المعطي قلعجي دار الكتب العلمية بيروت ،وعبد بن حميد في المنتخب (١١٨٨)ج/١ص٣٨٥ تحقيق: صبحي السامرائي ،محمود الصعيدي ،مكتبة السنة القاهرة ١٤٠٨ – ١٩٨٨، ط١،. والطبراني في الأوسط (٩٠٢٦)ج/٩ ص ٢٦، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني دار الحرمين القاهرة ١٤١٥. وأضاف عزوه لأبي نعيم وابن مردويه السيوطي في الدر المنثور(٧/٥١٥).

قال الألباني: "زيادة هنيئا مريئا...شاذة" انظر: سنن الترمذي بتخريج الألباني ص ٧٣٨.

(٣)سورة الفتح ،آية :٥.

وأخرج ابن أبي شيبة ،وأحمد، وأبو داوود، وابن جرير، وابن المنذر ، والحاكم وصححه، ابن مروديه ، والبيهقـــي في دلائل النبـــوة عن مجمـــع ابن[جارية][1] الأنصاري قـــال:((شهدنا الحديبية ، فلمـــا انصرفنا عن كراع الغميم[2] إذا النـــاس يوجفون الأباعر فقال :الناس بعضهم لبعض ما للناس؟ فقـــالوا:أوحي إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم -فخرجنا مع الناس نوجف فإذا رسول الله- صلى الله عليه وسلم -عند كراع الغميم فاجتمع الناس إليه فقرأ عليهم:﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[3] فقال: رجل يا رسول الله [أفتح هو] [4] ؟ قال: والذي نفس محمد بيده إنه لفتح؛ فقسمت خيبر على أهل الحديبية ، لم يدخل معهم أحد إلا من شهد الحديبية))[5].

وأخرج البيهقي عن عروة قال:((أقبل النبي -صلى الله عليه وسلم- من الحديبية راجعاً فقال:رجال من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-والله ما هذا بفتح!؛ لقد صدونا عن البيت ، وصد هدينا ،وعكف رسول الله -صلى الله عليه وسلم-،ورد رجلين

(١) في المخطوطة [مجمع بن حارثة]وهو تصحيف والصواب كما أثبته، وهو مجمع بن جارية بن عامر بن مجمـــع ويقال: مجمع بن يزيد بن جارية بن مجمع الأنصاري الأوسي المدني له صحبة، وهو أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله- صلى الله عليه وسلم -إلا شيئا يسيرا منه انظر ترجمته في : المـــزي: يوسف بـــن الزكـــي ، تهـــذيب الكمال،(٢٧ /٢٤٤) تحقيق : بشار معروف ، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط١، ١٤٠٠هـــ-١٩٨٠م.

(٢)كراع الغميم :هو اسم موضع بين مكة والمدينة . الحموي :معجم البلدان(٢١٢/٤).

(٣)سورة الفتح، آية :٥.

(٤)في المخطوطة [وهو فتح]وصوبته كما في الدر المنثور (٥٠٨/٧).

(٥)أخرجه أحمد في المسند (١٥٥٠٨)ج/٣ ص ٤٣٠، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٦٨٤٥) ج/٧ص ٣٨٤، وابن جرير في التفسير (٢٢ / ٢٠١)وأبو داود في السنن ،باب فيمن أسهم له سهما (٢٧٣٦)ج/٧ص/٧٦ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر ،والبيهقي في الكبرى(١٢٦٤٨) ج/٢ ص٣٢٥، والبيهقي في دلائل النبوة (١٥٦/٤)،والحاكم في المستدرك(١٢٦٥٠) ج/٢ ص١٥٧ وقال :حديث "حديث كبير صحيح الإسناد ولم يخرجاه "ووافقه الذهبي.وانظر السيوطي :الدر المنثور (٧ / ٥٠٨)، والزمخشري :الكشاف(٤٣٢/٤).

من المسلمين خرجا، فبلغ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قول رجال من أصحابه إن هذا ليس بفتح فقال :رسول الله -صلى الله عليه وسلم - بئس الكلام هذا أعظم الفتح ، لقد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ، ويسألونكم القضية ، ويرغبون منكم بالأمان ، وقد رأوا منكم ما كرهوا ، وأظفركم الله عليهم ، وردكم سالمين غانمين مأجورين فهذا أعظم الفتح، أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد! ، وأنا [أدعوكم][1]في أخراكم، أنسيتم يوم الأحزاب ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾[2] قال: المسلمون صدق الله ورسوله هو أعظم الفتوح ، والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولانت اعلم بالله وبالأمور منا فأنزل الله سورة الفتح))[3].

وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي، عن الشعبي في قوله:﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[4] قال:((نزلت بالحديبية وأصاب في تلك الغزوة ما لم يصب في غيرها غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، وما تأخر وبايعوا بيعة الرضوان ، وأطعموا نخيل خيبر ، وبلغ الهدي محله ، وظهرت الروم على فارس ، وفرح المؤمنون بتصديق كتاب الله ، وظهور أهل الكتاب على المجوس))[5].

---

(١)في:ب[أدعيكم] والصواب ما ذكرته و(أ).

(٢)سورة الأحزاب، آية:١٢.

(٣)أخرجه البيهقي: في دلائل النبوة (٤ / ١٦٠)وهو مرسل عن عروة،وانظر: السيوطي :الدر المنثور (٧ / ٥٠٩).

(٤) الفتح ،آية:١.

(٥)أخرجه البيهقي: في دلائل النبوة وساق سنده من طريق سعيد بن منصور إلى الشعبي (٤ / ١٦٢)، وابن جرير في تفسيره (٢٢ /٢٠٢). وانظر :السيوطي :الدر المنثور (٧ / ٥٠٩)،والشعبي تابعي فالأثر مرسل.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والحاكم، وابن مردويه، عن أنس- رضي الله عنه- ، قال: لما رجعنا من الحديبية ، وأصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- قد خالطوا الحزن ، والكآبة حيث ذبحوا هديهم في أمكنتهم فقـــال : رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، أنزلت علي ضحىً آية هي أحب إلي من الدنيا[ثلاثا][1] قلنا ما هـــي يا رسول الله ؟ فقـــرأ:﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[2] الآيتين ، قلنـــا: هنيئا لك يا رسول الله ، فما لنا فقرأ:﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[3]فلما أتينا خيبر[4] فأبصروا خميس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعني جيشه- أدبروا هاربين إلى الحصن ، فقال: رسول الله -صلى الله عليه وعلى اله وسلم -خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين))[5].

إذا عرفت هذا فاعلم أن قوله:﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾[6] المراد به أن دين الله هو الغالب من قبل ومن بعد ، وأنه وإن غلب أهل الشرك فهم مغلوبون كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[7] وبهذا يتضح معنى قوله:﴿مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ وإلا فإن الأمر كله لله من قبل ، ومن بعد ،وفي الحال.

---

(١)في ب:[ثلثا]وهو خطأ.

(٢)سورة الفتح، آية: ١.

(٣) سورة الفتح آية: ٥.

(٤) هي حصون ومزارع قرب المدينة المنورة على طريق الشام . الحموي: معجم البلدان ٤٠٩/٢ .

(٥)أخرجـــه ابن جـــرير في تفســيره (٢٢ / ١٩٩)، والحـــاكم في المستـــدرك(٣٧٧٠)ج/٢ ص ٥٤١.و فيه الحكم بن عبد الملك ضعيف . انظر ترجمته:ابن حجر:تهذيب التهذيب (٤٣١/٢)،وانظر :السيوطـــي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧ / ٥١٥).

(٦) سورة الروم ،آية:٤.

(٧) سورة المجادلة ،آية: ٢١.

وإذا نظرت مع هذه الآية قولة:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ إلى آخـــر الآيتـــين[1] [وتدبرتها][2] حق حق التدبير! عرفت معناها، فإن القرآن يفسر بعضه بعضا ، ولا شك أنه كان الأمر من قبل لأمة عيسى –عليه السلام– .

ولما ابتعث الله تعالى سيدنا محمداً –صلى الله عليه وآله وسلم– ، كـــان الأمر لأمته ، ففي قوله : ومن بعد إشارة عظمى لهذه الأمة ، وقرئ (غلبت الروم) بفتح الغين واللام ، (وسيغلبون) بضم الياء[3]،والمعنى: أن الروم غلبوا على ريف الشام ، وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين، وعند انقضاء هذه المدة، أخذ المسلمون في جهاد الروم [4].

وهذا إخبار عن غيب آخر ، وبشارة للمسلمين أخرى ، وقوله﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾[5] يعني ، ويوم إذ يغلب الروم فارسا ، يفرح المؤمنون بنصر الله لهم على المشركين ،كما فرح الروم بنصرهم على فارس .

وقولـــه:﴿ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ﴾ في الحـــديث((واعـــلم! أن النـــصر مع الصبر)) [6]

---

(١) سورة آل عمران،آية: ١٤١،١٤٠.

(٢)في ب:[وتدبرها] ولا يستقيم مع السياق.

(٣)وهي قراءة شاذة غير متواترة قرأها عـــلي، وأبو سعيد ،ومعـــاوية بن قرة، وابن عمـــر –رضي الله عنهم –، وأهل الشـــام .الشوكاني: فتح القدير (٤/ ٢٨١،٢٨٢)، وهكذا أيضا قرأ بها نصر بن علي انظر: سنن الترمذي (٢٣٩٥)كتاب القراءات باب ومن سورة الروم ص ٦٥٦.

(٤) الزمخشري: الكشاف (٣ / ٦٦٧).

(٥)سورة الروم ، آية: ٤،٥.

(٦)أخرجه أحمد في المسند(٢٨٠٤)ج/ ص٣٠٧ والطبراني في الكبير قال: الهيثمي" وفيه علي بن أبي علي وهو ضعيف " مجمع الزوائد (٧ / ١٩٠)، والحاكم في المستدرك (٦٣٨٢)،(٦٣٨٣)ج/٣ ص ٦٦٦ ،=

وهو من قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ﴾ الآيات[1].

وقوله:﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2]اعلم أن للأسماء الحسنى آثارا عظيمة،ولاقتران بعضها ببعض آثار لا يعرفها إلا أهل الأسرار ، فاسمه العزيز إذا اقترن بالرحيم أثر إعزاز الرسل ، وإتباعهم وهلاك مكذبيهم ورحمة للمؤمنين ، وإيقاع البطش بالكافرين ، دليله ما قصه الله علينا في سورة الشعراء من نصرة كل نبي ، وإتباعه وإهلاك أعدائه ، وختم كل قصة بقوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3] وتدبر! ذلك تحظ بما هنالك.

وقولــه تعالى: فيها بعد ذكر نبينا –صلى الله عليه وسلم- ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[4] ثم ارجع البصر إلى قوله: ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[5] تعرف أسرارا من هذه البشارة العظيمة ، ورمزا إلى إحـــراز هذه الدرة اليتيمـــة ، ولهذا

=والقضاعي في الشهاب (١٣٦)من حديث ابن عباس قال: شارح الشهاب، وأخرجه أبو يعلى في المعجم من حديث أبي سعيد ،وروي عن جماعة من الصحابة وبأسانيد متعددة ،وذكر العقيلي أن أسانيده كلها لينه ،وقال:أنه وبمجموع طرقه يصل إلى درجة الحسن. انظر شر ح الشهاب ص ١١٢، وأخرجه بن أبي عاصم في السنة من حديث عبد الله بن جعفر، وابن عباس ،و صححه الألباني،انظر: في ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني (٣١٥) ج١ ص ١١٣ المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٠هـــ ، والسلسلة الصحيحة (٢٣٨٢).

(١)سورة الأنفال،آية: ٦٥.

(٢)سورة الروم، آية: ٥.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٩ ،وتكررت في السورة كثيرا.

(٤)سورة الشعراء ،آية: ٢٢٧ ، وكتبت في المخطوطة (فتوكل) برواية قالون.

(٥)سورة الروم ،آية: ٥.

عقبه بقوله :﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [1] .

وتأمل! قولــه :في سورة الدخان ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [2] فكأنه يقـــــول: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [3] ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فلو قال: أكثرهم لعاد الضمير إلى الروم، والمراد [انتفاء] [4] العلم بأن الله لا يخلف وعده عن أكثر الناس لا عن الروم فتعين الظاهر.

ثم أبدل منه قوله:﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا ﴾ [5] لنعلم أن [الذي] [6] يعلم ظاهرا من الحياة الدنيا لا يعلم ، وأنه لا فرق بين الجهل والعلم الذي لا ينفع ، قوله: ظاهرا ليدلنا على أن للحياة الدنيا ظاهرا:وهو ما زين لأهلها مما لا [يصاحب] [7] إلى الآخرة إلا بسوء، وباطنا: وهو أنها مجاز إلى الجنة ، وطريق إلى دار الخلود ، فأكثر الناس يعلمون ظاهراُ من الحياة الدنيا وأهل الحقيقة ليس لهم بها علاقة سوى المجاز إلى الرفيق [الأعلى] [8] .

---

(١) سورة الروم،آية:٦.

(٢) آية: ٤١،٤٢ .

(٣)سورة غافر، آية: ٥١.

(٤)في ب :[انتفى].

(٥)في ب:[الذين].

(٦)في ب:[يصحب].

(٧)سورة الروم،آية: ٧.

(٨)في ب [:الأعلا] والصواب مأثبته.

اللهم !اجعلنا ممن يرتقى في كل نفس إليك ، ويستقى من راحة العلم النافع، راح الوفود عليك ، واجعل أبصارنا واقفة لدى الاعتبار ، وبصائرنا موقوفة لديك !، وصل وسلم على الدليل ، منك بك إليك ، وعلى آله الكرام ، وصحبة الأعلام .

قوله تعالى: في سورة القصص

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

هذه الآية قبل تدبرها وتفهمها مما يشكل الإتيان فيها بالضمير ، فإذا تدبرها القارئ زال الإشكال! وذلك أن الله سبحانه لما أخبرنا من أول السورة من نبأ موسى وفرعون بقولة: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ﴾[1]قد كرر هذه الإخبار ، ففي سورة البقرة مخاطبا لبني إسرائيل ، ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[2] وقال :موسى - عليه السلام- في سورة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[3] .

فأما قوله: في الأعراف﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ إن القتل أعم من الذبح، فأبان بقـــوله:

(١) آية: ٣.

(٢) آية:١٤١.

(٣) آية:٦.

﴿وَيُذَبِّحُونَ ﴾[1]وفي الأخرى يقتلون أنه صدر منهم الذبح تارة ،والقتل بصفة أخرى تارة ،فهو تفسير لسوء العذاب .

وأما قوله: في إبراهيم ﴿وَيُذَبِّحُونَ ﴾ بزيادة الواو، فإنه أبان به أنه ليس المراد من قولـــه:﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾[2]إنما هو ذبح الأبناء ، واستحياء النساء بل ثمة أمور أخـــر.

وفي قوله:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ﴾[3] فلم يقل يا قوم كما في غير هذه السورة،[4]؛ وذلك لأنه لما تقدمها قولـــه تعـــالى: لموسى-عليه الســـلام- ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾[5] .

سارع إلى امتثال أمر ربه سبحانه ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[6] ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾[7]فحذف يا قوم والله أعلم بكلامه!، ونستغفره مما لا يرضاه!.

---

(١)سورة إبراهيم، آية:٦.

(٢) نفس الآية.

(٣)سورة إبراهيم، آية:٥.

(٤)نفس الآية.

(٥) انظر على سبيل المثال :سورة البقرة آية ٥٤، وفي سورة المائدة آية ٢٠.

(٦)سورة الأنبياء ،آية:٩٠.

(٦)سورة طه، آية: ٨٤.

وأما قوله:في القصص ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ ﴾[(١)]فإنه فسر لنا في الآيات الأخر(آل فرعون) أن فرعون أولهم دخولا فيه ، فإنه كما أنه نسب الفعل إليهم في السور الأخر نسبه إليه وحده، هاهنا فتدبره !.

ولما كان الكلام عن فرعون وعلوه وفساده، جاء بقوله:﴿ يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ ﴾ منهم ليخبرنا عنه أنه كان شديد الدناءة ، واضح السفالة، فلولا استضعافه لهذه الطائفة الحقيرة ؛ لما فعل بهم ما فعل فسبحان !من أودع كتابة من الأسرار ما لا يحيط به سواه، والله سبحانه أعلم بكلامه ، ونستغفره مما لا يرضاه! .

واعلم أنه أخرج ابن جرير عن ابن عباس –رضي الله تعالى عنه– قال:((قالت الكهنة لفرعون إنه يولد في هذا العام مولود يذهب بملكك، فجعل فرعون على كل ألف امرأة مائة رجل ،وعلى كل مائة عشرة ،وعلى كل عشرة رجلا، فقال: انظروا كل امرأة حامل في المدينة فإذا وضعت حملها فاذبحوه وإن كـان أنثى فخلوا عنها)) [(٢)].وذلـك قولـه:﴿ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ ﴾...الآية[(٣)].

ثم قال تعالى:﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ

---

(١)آية:٤.

(٢)رواه ابن جرير في تفسيره ،وقال :أحمد شاكر "إسناده إلى ابن عباس صحيح " انظر: ابن جرير الطبري:تفسير القرآن (٢ / ٤٣) ،والسيوطي :الدر المنثور (١ / ١٦٦)، والشوكاني: فتح القدير (١ /١٩٠).

(٣)سورة إبراهيم، آية: ٦ وقد سبقت في الصفحة السابقة .

﴿وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[1] وهذا عام لكل مستضعف، فلا يقتصر عليهم.

﴿وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾[2] جند الملك أتباعه ، فمن [مشى][3] على سننهما فهو من جنودهما ، وإن تأخر زمنه منهم من الذين استضعفوا ما كانوا يحذرون؛ تأمل هذا! ،فقد أخبر أنهم كانوا يحذرون من المستضعفين ، وذلك لعلمهم بأنهم سيمكنون منهم ، وهذا كله خبر عن فرعون .

ثم أخبر عن موسى– عليه السلام –بقوله: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾[4] وكان في إلقائه في اليم ونجاته منه براعة الاستهلال[5] ، لهلاك عدوه فيه ،وقد كانت نجاته به أولا بإلقائه به ،وأخرى بضربه بالعصا فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وإلى ذلك أشار الخضر بخرق السفينة، وإلى قتل القبطي بقتل الغلام ، وإلى السقي لابنتي شعيب[6] بلا أجر بإقامة الجدار ،وتحت ذلك

---

(١)سورة القصص، آية: ٦.

(٢)سورة القصص، آية: ٦.

(٣)في ب:[مشا].

(٤)سورة القصص ،آية: ٧.

(٥) براعة الاستهلال هي أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه بما يدل على مقصودة منه بالإشارة لا بالتصـــريح .أحمد الهاشمي:جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع(ص:٣٤٣.

(٦)اختلفت المفسرون في هذا الرجل من هو على أقوال: أحدهما: أنه شعيب النبي -عليه السلام- الذي أرسل إلى أهل مدين، وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء، وقد قاله: الحسن البصري وغير واحد ،ورواه ابن أبي حاتم عن عن مالك بن أنس((أنه بلغه أن شعيبا هو الذي قص عليه موسى القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين))=

أسرار يعرفهـــا أهلـــها﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾[1] .

ثم قال ﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[2] وهذه الآية اجتمع فيها أمران ،ونهيان، وبشارتان ،وهذا الوعد الذي في الآية هو المشار إليه فيما بعد ﴿ وَلِتَعْـلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾[3]﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ ﴾[4] اللام لام العـــاقبة ،كقـــوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾[5] ،﴿ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴾[6]

= وقد روى الطبراني عن سلمة بن سعد العتري أنه وفد على رسول الله فقال له: ((مرحبا بقوم شعيب وأختان موسى هديت)) وقال: آخرون بل كان ابن أخي شعيب وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب، وقال :آخرون كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة لأنه قال لقومه "وما قوم لوط منكم ببعيد " وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن ،وقد علم أنه كان بين الخليل وموسى عليهما السلام مدة طويلة تزيد على أربع مئة سنة كما ذكره غير واحد وما قيل: أن شعيبا عاش مدة طويلة إنما هو والله أعلم احتراز من هذا الإشكال، ثم من المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن ههنا وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده .ابن كثير :تفسير القرآن (٣ /٣٦٠).

(١)سورة العنكبوت، آية:٤٢.

(٢)سورة القصص، آية:٧ .

(٣)سورة القصص، آية:١٣ .

(٤)سورة القصص، آية:٨ .

(٥)سورة الأعراف، آية: ١٨٩ .

(٦) سورة القصص ، آية:٨

فلذا كان لهم عدوا وحزنا ،﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَ ﴾[1] ، فكان قرة عين لها لا له ، ولم يزل يقص عليه ، إلى أن قال:﴿فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[2] فرجوع الضمير إلى من تقدم.

ومنهم من يعلم شيئا من ذلك فإن أخت موسى تعلم ذلك جميعه ، المذكور ، وغيرها من إلى فرعون، بل فرعون في نفسه كان خائفا منه في حال تربيته ، وقد جاء في تفسير قولها لا تقتلوه ، أنه قال الملأ من قومه هذا الذي تخاف منه، ويكون زوال ملكك على يديه فدعنا نقتله فقالت: امرأة فرعون لا تقتلوه عسى أن ينفعنا ، ويمكن أن يكون قد بشر به من قبله، فقد كان من أهل مصر من يعلم مجيئه ، بأخبار نبي قبله كما أنه بشر بعيسى، وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- .

فقوله:﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾يعود الضمير إلى من تقدم من الذين استضعفوا في الأرض بأخبار نبي، أو نحوه ،ويعود إلى فرعون ،وهامان، وجنودهما بأخبار الكهنة لهم المقترن بما يسمعونه من [أخبار][3] المستضعفين، وإلا فلم يذبحون الأبناء ويستحيون النساء؟ فأي دخل للناس جميعهم في هذا العلم ؟ لو قال: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ فتدبر! واقرأ السورة من أولها متأنيا متأملا! والحمد لله رب العالمين لا نحصي ثناء عليه!.

---

(١)سورة القصص، آية:٩ .

(٢)سورة القصص، آية:١٣.

(٣)في ب:[الاخبار] وهو خطأ يخالف السياق.

ومن تأمل! ما قدمنا في قوله تعـــالى:﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾[1] وفهمه وعاد به إلى هنا أعانه على فهم هذا. والله سبحانه أعلم بكلامه! .

(١)انظر سورة الأعراف آية: ١٣٠،١٣١ وقد سبق ذكرها.

قوله تعالى: في سورة سبأ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾

قال: جار الله- رحمه الله تعالى- في هذه الآية" إلا إرساله عامة محيطه بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال: الزجاج[1] المعنى أرسلناك جامعا في الإنذار والإبلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا أن تكون للمبالغة [كتاء] الرواية والعلامة ،ومن جعله حالا من المجرور مقدما عليه فقد أخطأ ؛ لأن تقدم المجرور عليه في الإحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار، وكم ترى ممن ترتكب هذا الخطأ لا يقع به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى !؟؛لأنه لا يقوى له الخطأ الأول إلا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين". انتهى [3].

واعلم أن طالب تفسير كتاب الله إذا كان ممن يطلب الحق ويريد الحقيقة، فإنه ينبغي له أن لا يغتر بعظمة المفسر وإن كان من كان ،فإن غالب المفسرين إنما يفسر القرآن وهو مقلد فروعة وعقيدته وعربيته ،وإن خالف مذهب القرءان تجرد لرد القرآن إلى منهجه، لا لرد مذهبه إلى القرآن،فالقرآن لديهم مأموم لا إمام، وتابع لا متبوع ،وهذا الذي رفع قدر نفسه، وتصدى لتفسير كتاب الله، أما أكثر العلماء فإنه يشتغل بالتحقيقات والتدقيقات ويشاحح في تحسين العبارات والتنميقات،ويعجز عن الكلام على آية من القران، فهو كما

(١)هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي ،نحوي زمانه مصنف كتاب معاني القرآن، وله تآليف جمة، لزم المبرد فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهما فنصحه وعلمه ، مات سنة إحدى عشرة وثلاث مئة، وقيل غير ذلك. الحموي :شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ،معجم الأدباء (٥٢/١) تحقيق : إحسان عباس، ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط١ ١٤١٤هـــ ، والذهبي :سير أعلام النبلاء (٣٦٠/١٤).

(٢)سقط من أ.

(٣)الزمخشري :الكشاف (٣ /٥٣٨) .

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[1] وليس يوصل إلى معرفة أسراره، والاهتداء بأنواره إلا تدبره بفهم خال عن التعصيب للأسلاف ،وفكر مجمع على التحلي تحلية الإنصاف!.

وهذا جار الله الزمخشري –رحم الله– مثواه إمام أذعنت لعلمه الأعلام، ونشرت لتحقيقه في الخافقين الأعلام، وتراه إذا قرر البصريون قاعدة نحوية دار معها حيث دارت، وسير الآية بعد أرائهم حيث سارت، وهذا كلامه على هذه الآية وتغليطه لمن جعل كافة حالا ، من قوله: للناس وما كلفه إلى مخالفة ذلك لقاعدة قد قعدها له جماعة من النحاة فقصد مذهبهم ونحاه.

وها أنا أقص على [المنصف][2] ما دار كلامه به أبو حيان قال: أبو حيان أما قول الزجاج :إن كافة بمعنى جامعاً ، وإن الهاء للمبالغة ، فإن اللغة لا تساعده على ذلك ؛لأن كف ليس معناه محفوظا بمعنى جمع يعني إن المحفوظ في معناه منع ، وأما قوله: إنه صفة لمصدر محذوف ، بقوله: إلا إرساله عامة فقال: أبو حيان أما كـــافة بمعنى عامه ، فالمنقول عن النحويين أنها لا تكون إلا حالا ، ولم يتصرف فيها بغير ذلك فجعلها صفة لمصدر محذوف خروج عما نقلوا ولا يحفظ أيضا استعمالها صفة لمصدر محذوف، وأما قولـــه :ومن جعله حالا من المجرور مقدما عليه فقد أخطأ فقال: أبو حيان أما قوله:[هذا][3]فهو مختلف فيه، ذهب الجمهور إلى أنه لا يجوز وذهب أبو عـــلي[4] ،

---

(١) سورة البقرة ،آية: ٧٨.

(٢)في ب:[المصنف] وهو تصحيف.

(٣) في :ب [كذا].

(٤) هو أبو علي ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الفسوي،لإمام النحوي صاحب التصانيف .حدث بجزء من حديث إسحاق بن راهويه ، .قدم بغداد شابا ، وتخرج بالزّجَّاج ، وسكن طرابلس مدة ثم حلب ، واتصل =

وابن كيسان[1]،وابن برهان[2]، و[ابن ملكون][3]،إلى جوازه ،وهو الصحيح وأنشد :

إذا المرء أعيته السيادة ناشيـــا **** فمطلبها كهـــلا عليه عسير[الطـــويل][4]

=بسيف الدولة ،وتخرج به أئمة ،ومن تلامذته أبو الفتح ابن جني ، ، وكان فيه اعتزال .مات ببغداد سنة سبع وسبعين وثلاث مائة. الحموي:معجم الأدباء (٨١١/٢)،والذهبي :سير أعلام النبلاء (١٦ /٣٧٩).

(١) هو محمد بن أحمد بن كيسان أبو الحسن النحوي اللغوي الأمام الفاضل أحد المذكورين بالعلم والموصوفين بالفهم ،كان أحفظ البصريين والكوفيين في النحو ، أخذ عن المبرد وثعلب وكان أبو بكر ابن مجاهد المقرىء يقول هو أنحى منهما وله التصانيف والأقوال المشهورة في التفاسير ومعاني الآيات وكان فوق الثقة توفي سنة تسع وتسعين ومأتيين في خلافة المقتدر. الحموي:معجم الأدباء٥(/٢٣٠٦)، والصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك ،الوافي بالوفيات (٢٤/٢) تحقيق: أحمد الأرناؤوط ،وتركي مصطفى، دار إحياء التراث بيروت ١٤٢٠هـــ- ٢٠٠٠م.

(٢) هوعبد الواحد بن علي بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن برهان بفتح الباء الموحدة أبو القاسم الأسدي العكبري النحوي صاحب العربية واللغة والتواريخ وأيام العرب قرأ على عبد السلام البصري وأبي الحسن السمسمي وكان أول أمره منجما فصار نحويا وكان حنبليا فصار حنفيا وكانت فيه شراسة على من يقرأ عليه توفي سنة ست وخمسين وأربع ماية ببغداد. الصفدي : الوافي بالوفيات (١٩ / ١٧٦).

(٣) لعله وهم من المؤلف فإن أبا حيان نقل قول:(ابن مالك) وليس ابن ملكون .انظر: أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف ، تفسير البحر المحيط (٧ / ٢٦٩) تحقيق: الشيخ عـــادل أحمد عبد الموجود وآخرون ،دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ، ١٤٢٢هـــ -٢٠٠١.وابن ملكون: هو إبراهيم بن محمد بن منذر، أبو إسحاق ابن ملكون الحضرمي: نحوي، من أهل إشبيلية مولدا ووفاة. من كتبه إيضاح المنهج و شرح الجمل للزجاجي، و النكت على التبصرة للصيمري انظر:الزركلي:الأعلام(٦٢/١) .

(٤) البيت للمخبل السعدي في ملحق ديوانه ؛ وله أو لرجل من بني قريع في خزانة الأدب ، ولرجل من بني قريع في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، نسبه ابن عبدربه لسموأل ونسبه ابن جني في التنبيه على شرح مشكلات الحماسة للمعلوط بن بدل القريعي، وفي الصحاح المعلوط السعدي.وقيل هي لسويد بن خذاق العبدي، وقيل للمخبل السعدي. انظر:ابن عبدربه :العقد الفريد(٢٠٨/١)،و الجياني محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي ، أبو عبد الله، جمال الدين ، شرح الكافية الشافية(٧٤٦/٢)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة ط١.وحاشية الصبان على شرح الأشمونى = لألفية ابن مالك،أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي(٢٤٦/٢)دار الكتب العلمية بيروت- لبنان -الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـــ -١٩٩٧م.

ومنه :

تسليت طرا عنكم بعد بينكم **** بذكراكم حتى كأنكم عندي[الطويل] (١)

وقد جاء تقديم الحال على صاحبها المجرور وعلى ما يتعلق به قال الشاعر :

مشغوفة بك قد شغفت وإنما **** حتم الفراق فما إليك سبيل[الكامل] (٢)

أي شغفت بك مشغوفة ، وقال الآخر :

غافلا تعرض المنية للمر **** ء فيدعى ولا ت حين إباء[الخفيف] (٣)

أي تعرض المنية للمرء غافلا .

قال: وإذا جاز تقديمها على صاحبها وعلى العامل فيه، فتقديمها على صاحبها وحده أجوز، قال:وممن حمله على الحال ابن عطية ، فإنه قال: قدمت للاهتمام، والمنقول عن ابن عباس إلى العرب والعجم وسائر الأمم ، وتقديره إلى الناس كافة (٤).

---

(١)البيت ينسب إلى قائل معين انظر :شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين (١/١٧)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٢) البيت بلا نسبة لقائله . المصدر السابق.

(٣) قال:العيني لم أقف على اسم قائله على كثرة دورانه في كتب النحو.انظر:شرح الكافية لابن مالك (٧٤٦/٢) تحقيق :عبد المنعم هريدي.

(٤) ابن عطية الأندلسي: أبو محمد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤ /٤٢٠) ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط، ١٤١٣١هـ- ١٩٩٣م.

وأما قوله : وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ لا يقنع به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى ! قال :أبو حيان [شنيع][1]!؛ لأن القائل بذلك لا يحتاج إلى جعل اللام بمعنى إلى ؛لأن أرسل يتعدى باللام قال تعالى:﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾[2]ويتعدى بإلى﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾[3] وأيضا فقد جاءت اللام بمعنى إلى[4].

فإذا عـــرفت هذا عرفت تعصب غـــالب العلماء لمـــذهبه عربية،فكيـــف به في العقيدة والفقـــه؟! .

وليس المـــراد بهذا انتقاص مقـــادير العلماء فببركاتهم عرفنا ما ينبغي أن يعرف ؛ ولكن على طالب الحق أن لا يقلد أحدا في شيء ؛ وإن جل عنده مقدرا ، وعظم لديه أبهة وفخارا وارتفع في خياله محلا ومنارا.

فليس أحد ممن يجوز عليه الخطأ أحق بالحق من الآخر ، وإذا كان اتباع رسل الله– صلوات الله وسلامة– عليهم ،وقبول أقوالهم لا يلزمنا إلا بعد إقامتهم الأدلة على صدقهم ، وأيضا حجم المعجزات الشاهدة على حقيقة حقهم فكيف يقبل قول غيرهم من دون مطالبة بدليل؟ ؛

---

(١)في ب: تشنيع والصواب [شنيع] انظر أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف ، البحر المحيط (٧ / ٢٦٩).

(٢)سورة النساء، آية: ٧٩.

(٣)سورة المزمل، آية: ١٥.

(٣) .انظر: أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف ، البحر المحيط (٧ / ٢٦٩).

وبهذا أبهت قوم نوح عليه السلام أصحابه في قولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾[1] أي ببادي الرأي منهم:يعني من دون تأمل منهملما جئت به ،ولو تأملوا !لرجعوا.

[وإذا][2]تأملنا ما سبق من قول يوسف –عليه السلام–﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[3] كفاك ذلك فإنه لم يلزمهم تقليده ، في توحيد الله سبحانه الذي هو الفطرة التي فطر الناس عليها، بل أمر بالنظر والميزان بين الأرباب المتفرقون والواحد القهار وموسى –عليه السلام– قال: لفرعون﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ والله ﴾[4] سبحانه يقول ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[5] ، وقد جعل الله العقل ميزانا قرن به الصحيح، واعرف به الترجيح،ولذا يقول سيدي إسحق بن يوسف[6]

---

(١)سورة هود، آية: ٢٧.

(٢) في ب:[إذ].

(٣)سورة يوسف، آية: ٣٩.

(٤) سورة الشعراء ،آية :١٣،٣٠.

(٥) سورة االبقرة ،آية: ٢٣.

(٦)هو إسحاق بن يوسف بن المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم الحسني فاضل من نبلاء اليمن ،مولده ووفاته بصنعاء، له (الثغر الباسم) و الوجه الحسن رسالة أنكر فيها على من عادى علم السنة من المتفقهة،وتفريج الكربات في مناقب علي– رضي الله عنه– وغيرها، وكان داعيا إلى السنة منصفا لا يتعصب لمذهبه(الزيدي) ،وله شعر جمع في ديوان ،ت (١١٧٣ هـــ)، والبيت لم أعثر عليه. ينظر ترجمته: الشوكاني:البدر الطالع (١ /٩١)، الزركلي: الأعلام: (٢٩٧/١).

.- رحمه الله- تعالى:

وعقلك ميزان فبالقسط فلتقـــم **** علومك لا تخسر بمثقـــال ذرة[الطـــويل]

وزن كل شيء من علوم حويتها **** به فانقها من بعد ذاك واثبـــت

ودع عنك تقليد الرجال ولا تقل **** هم عـــرفوا ما لم أنله بفـــطنة .

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝﴾[1]

إذا عرفت هذا فاعـــلم أنه أخـــرج مسلم عـــن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رســـول الله -صـــلى الله عليه وسلم- قـــال: ((فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جـــوامع الكـــلم، ونصرت بالـــرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعـــلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون))[2] فهذا الحديث مبين للآية .

وأخرج ابن المنذر عن أبي هريرة قـــال:قـــال:رســـول الله-صـــلى الله عليه وسلم- ((أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي، بعثت إلى الناس كافةً، إلى كل أبيض وأحمر، وأطعمت أمتي المغنم ، و لم تطعم أمة من قبل أمتي ، ونصرت بالرعب من بين يدي مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأعطيت الشفـــاعة ، فادخرتها لأمـــتي يوم الـــقيامة))[3] .

---

(١)سورة الرحمن.

(٢)أخرجه مسلم ،كتاب المساجد ،باب المساجد ومواضع الصلاة ،(١١٦٧)ص ٢١٣ وابن حبان باب ذكر خبر قد يوهم غير المتبحر في صناعة العلم أن الأرض كلها طاهرة يجوز للمرء الصلاة عليها (٢٣١٣) ج/٦ ص ٨٧،والبيهقي في الكبرى (٤٠٦٣) ج/٢ ص ٤٣٣ وأبو يعلى (٦٤٩١)ج/١١ ص ٣٧٧.

(٣)السيوطي :الدر المنثور (٦ / ٧٠٢). وقد جاء بروايات كثيرة نحو هذا عن جمع من الصحابة نحو هذا.

فهذه تبين معنى الآية، وكل معنى يحتمله اللفظ عربية، فلا مانع من اعتباره فإن القرآن جمال ذو وجوه، وإعجازه فوق كل إعجاز، بينما هو تحدى به الفصحاء،ويطالب بمعاوضته البلغاء،إذ كل بليغ يعجز عن فهم معانيه، وكل عالم يقر بأن لا إحاطة بما فيه، فالآية دالة على عموم رسالته إلى الناس ، وقد فسرها الحديث الذي رواه مسلم بأن المراد بالناس الخلق لقولــه فيه: "وأرسلت إلى الخلق" ، والخلق كــل شي غير الخــالق ،الله خالق كل شيء.

ومما يدلك على ذلك قوله تبارك وتعالى:﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[1] فالعالمين :جمع عالم ،والعالم اسمع لما يعلم به ،كالطابع اسم لما يطبع به ،فكل ذرة في الوجود فما فوقها فهي من أفراد العالم فهو مرسل إليها صلى الله عليه وآله وسلم ،وفي الحديث ((إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعــلم أني رســول الله إلا عــاصي الأنس والجن)) أخرجه الإمام أحمد والدرامي والضياء، عن جــابر- رضي الله تعالى عنه- [2].

---

(١)سورة الفرقان، آية: ١

(٢)أخرجه أحمد في المسند(١٤٣٧٢)ج/٢ ص ٣١٠ ، وابن أبي شيبة (١٤٣٧٢) ج/٦ ص ٣١٦، وعبد بن حميد (١١٢٢)ج/١ ص ١٣٧،والدرامي (١٨) ج/١ ص ٢٤: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي بيروت ، ط١، ١٤٠٧هــ، وابن حبــان في الثقــات (٤ / ٢٢٣) تحقيق: السيد شرف الدين أحمــد، دار الفــكر ،ط١ ،١٣٩٥ - ١٩٧٥، وعزاه الهنــدي في :كتر العمال في سنن الأقوال والأفعال (١١ / ١٨٨)إلى الضياء في المختارة .

قال:الألباني (صحيح) انظر: السلسلة الصحيحة (١٧١٨)وصحيح الجامع (٢٤٠٩).

وجاء أيضا: عن ثعلبة ابن مالك ويعلى بن مرة ،وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن أبي أوفى .انظر:الكتاني،محمد بن جعفر :نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص :٢١٦ تحقيق: شرف حجازي دار الكتب السلفية مصر، ط٢.

وقد قال: أبو الحسن الحرالي –رحمه الله– "إن الناس مشتق من النوس ، وهو الحركة، فالمراد بالناس كلما يقبل الحركة"[1]، ويعضد هذا التفسير حديث مسلم.

وقال:ابن الجوزي –رحمه الله تعالى–" أي رسالة عامة لجميع الخلائق "[2]،وقال: ابن السبكي "مقصود الآية نفي الخصوص ، واثبات العموم ولا مفهوم لها فيما وراء الناس بل قوتها في العموم يقتضي عدم الخصوصية"[3]، وحينئذ يشمل الجن ، ولو كان مقصود الآية حصر رسالته في الناس ، لقال وما أرسلناك إلا إلى الناس ، فإن كلمته إلا تدخل على ما يقصد الحصر فيه ، فلما أدخلها على كافة دل على أنه المقصود بالحصر ، ويبقى قوله: للناس لا مفهوم له، إما أولا: فلأنه مفهوم لقب ، وإما ثانيا:فلأنه لم يقصد بالكلام ، وإما ثالثا: فلأنه قد قيل:إن الناس يشمل الإنس والجن على القول بأنه مشتق من النوس وهو التحرك، وهو على هذا شامل للملائكة أيضا ، وممن صرح به من أهل اللغة بأن الناس يكون من الأنس والجن الإمام أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم الفارابي في كتابه ديوان الأدب[4]. انتهى

---

(١)الحرالي:أبو الحسن المراكشي: سلسلة تراث الحرالي (تفسير القرآن) ص ٢٢٧ تحقيق محمادي الخياطي، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء المغرب، ١٤١٨ هـ/١٩٩٧م.

(٢)ابن الجوزي ،أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، زاد المسير في علم التفسير، ج /٦ ص ٤٥٦ ،ط٢ ،المكتب الإسلامي بيروت – ١٤٠٤هـ.

(٣)انظر: فتاوى السبكي، تأليف: الإمام أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، ج/٢ ص ٦٠٣ ،دار المعرفة بيروت .

(٤) معجم ديوان الأدب (٣٣٤/١)باب فتح العين والفاء(فعل). تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر ،مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م . وهو إسحاق بن إبراهيم أبو إبراهيم الفارابي رحل إلى أرض اليمن وسكن زبيد ومات قبل أن يروى عنه، وكان أهل زبيد قد عزموا على قراءة كتابه المذكور عليه فحالت المنية دون ذلك ، وكانت وفاته فيما يقارب (٣٥٠هـ) الحموي :شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ،معجم الأدباء (٦١٨/٢)تحقيق : إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط١ ١٤١٤ – ١٩٩٣. والوافي بالوفيات (٨ /٢٥٧).

ولئن أنكر الناس عموم رسالته-صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- فقد أنكروا تسبيح الأشياء لباريها وطاعتها لموجدها ومنشيها مع قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾[1] فهذا يدل على أنه -صلى الله عليه وسلم -يرى سجود هذه الأشياء وكقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾[2] : فقوله كل قد علم صلاته وتسبيحه ، قيل معناه: كل قد علم الله صلواته وتسبيحه، فالضمير في علم يعود إلى الله ، وقيل: بل يعود إلى كل [3]، وعلى كلا القولين فقد ثبت لكل منها صلاة وتسبيح ومثله ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[4] ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[5]﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾[6] والآيات في المعنى لا تكاد تحصى كثرة ، وإذا وسعك الإيمان بأن كل مخلوق مطيع لخالقه يسبح له فأي مانع أن يكون سيد الكائنات -صلى الله عليه وسلم-

---

(١)سورة الحج، آية: ١٨.

(٢)انظر:ابن الجوزي: زاد المسير(٥١/٦) ، والزمخشري :الكشاف(٢٢٤/٣)، وابن عطية :المحرر الوجيز(١٨٩/٤)، وأبو حيان :البحر المحيط(٤٢٦/٦).

(٣)سورة النور، آية:٤١.

(٤)سورة التغابن، آية: ١.

(٥)سورة الإسراء، آية:٤٤.

(٦)سورة البقرة، آية: ١١٦.

رسولا إليهم؟! ، ومن لم يسعه الإيمان بتسبيحها ، وطباعتها لخالقها فصدره عن الإيمان بعموم رسالته- صلى الله عليه وسلم- أضيق ،ومن علم أن العجمة التي في الجماد إنما هي بينه وبين الأكوان لا بينه وبين المكون هان عليه ما لاقى الدبر، واستسلم للملك المقتدر ، ومن رام أن يحيط بكل شيء علما فقد ظلم نفسه ، وقد خاب من حمل ظلما ،ومن جعل الفرار إلى المجاز له ملاذا أورد القرآن إلى موافقة كلام مشايخه ، فمعاذا منه معاذا! قال: الإمام الناصر بن الحسين بن علي بن الحسين بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[1] :

فجاهد وقلد كتاب الإله **** لتـــلقي الإله إذا مت به[المتقارب]

فقد قلد الناس رهبـــانهم **** وكـــل يجادل عن راهبه

وللحق مستنبط واحـــد **** وكل يرى الحق في مذهبه

---

(١)الصواب في اسم الناصر هو "الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب". ابن خلدون،عبد الرحمن الحضرمي،المقدمة(٤ /٣٣) دار القلم بيروت - ١٩٨٤،ط٥.وقال العاصمي: اسمه "الحسن بن علي بن الحسن بن علي عمر الأشرف (الناصر الكبير الأطروش) إمام الزيدية ملك الديلم ويلقب بالناصر (ت٣٠٤هـــ)". أنظر:العاصمي ،عبد الملك الشافعي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي،(١٣٧/٤) تحقيق: عادل عبد الموجود- علي محمد معوض دار الكتب العلمية بيروت١٤١٩هـــ.

أوقد يكون أخوه الحسين فقد قال بن حزم: أنه أيضا تلقب باالناصر ولكن خطأه ابن خلدون وقال: إن الذي أخذ الولاية بعده وتلقب بهذا اللقب هو صهره الحسن بن القاسم من أولاد زيد. انظر :المقدمة(٤/٣٤).

أما الأبيات فقد ذكر ها ابن عبد البر بسنده إلى الحسين بن علي ابن الحسين بن علي بن عمر بن علي رضي الله عنه لنفسه وكان أفضل أهل زمانه(وذكر الأبيات) النمري ،يوسف بن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله(١١٤/٢)، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـــ . و بعد البحث لم أجد ترجمة إلا لمن ذكرتهم و لم يلقب بالناصر من ذرية الحسين إلا (الأطروش) المذكور أوقد يكون أخوه(الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف)كما نقل ابن خلدون عن ابن حزم فلعل القائل هو الحسن الناصر أو أخوه الحسين كما نسبه ابن عبدالبر. والله أعلم.

ومن وصية علي -عليه السلام- لولده الحسين قوله:" فإن أشكل عليك شيء فاحمله على جهالتك فإنك[أول] ما خلقت جاهلا ثم علمت ، وما أكثر ما تجهل من الأمر، ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك، ثم تبصره بعد ذلك "(١). انتهى .

ومن تأمل كلام الخائضين فيما لا علم لهم به [رأى](٢) العجب! ، فمن ذلك قول من قال: تسبح السموات والأرض من المجاز في قوله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾(٣)وقوله تعالى:﴿وَمَن فِيهِنَّ ﴾ مانع من هذا التأويل ؛لأن تسبيحهم حقيقة ،وتسبيحهن على قوله مجاز، وقد اعترف أن الكلمة الواحدة لا تكون حقيقة ومجاز في حال واحد ،ولهذا التزم أن تسبيح المكلفين مجاز(٤) وما ذاك بأولى من عكسه ، ولا يعجز خصمه عن مثل دعواه ، وقد تمحل من جعل ذلك مجازا أيضا عند قوله تعالى: عن سليمان عليه السلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ ﴾(٥) فقال: إن المنطق كل ما يصوت به في المفيد وغير المفيد، فإن كان كما قال:فما كان لسليمان عليه السلام أن يقول:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ ﴾(٦) فإنهم كلهم يعلمون ما يصوت به الطير من الصفير،ولما علم ما يلزمه من هذا عدل عن كلامه الأول،وقال: إن الذي خص سليمان عليه السلام فهم

---

(١)انظر:نهج البلاغة:جمع الشريف الرضي، وشرح محمد عبده (٢/٥٧٨)،مؤسسة المعارف بيروت لبنان، ط١. ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٢)في ب:[أولا].

(٣) في :أ[راء].

(٤)سورة الإسراء ،آية: ٤٤.

(٥) لعل المؤلف قصد به الزمخشري :انظر:الكشاف(٢/٦٧٠).

(٦) سورة النمل، آية: ١٦.

أغراضها وعلى كل حال فالأغراض لا تسمى منطقا وقد ترك ذلك كله عند قوله:﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾[1] فقال :إن إعجابه وضحكه مما دل من قولها على ظهور رحمته ، ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى ، وذلك قوله :وهم لا يشعرون[أي][2] أنهم لو شعروا لم يفعلوا ، وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من إدراكه بسمعه ، ما همس به بعض [الحكل][3] الذي هو مثل في الصغر ، والقلة وإحاطته بمعناه [4]، وهذا كما ترى إقرار بنطقها ، واعتراف بعقلها ، وفهمها لمكان سليمان عليه السلام ، وعد له[الذي][5] ضل عنه أكثر العقلاء ، ومن تأمل صحايف الوجود ، وقرأ سطور التحرير في كل موجود فهم أسرار التسبيح وكفاه بعض التلويح عن التصريح ومن رفع إبراهيم روحه القواعد من بيت قلبه الإيمانيه ، وحاز[أسباب][6] الوراثة السليمانية ، علم منطق الطير ،وتبسم ضاحكا من خطاب النمل ، ولا ضير والله يؤتي ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، فقل لي أي موجب لهذه التأويلات الفاسدة؟ والتمحلات الباردة ؟وأين الإيمان بالغيب وتسليم الحق لذلك الكتاب الذي ليس فيه ريب؟

---

(١)سورة النمل ،آية: ١٨،١٩.

(٢)سقط من ب.

(٣) في ا:النمل و[الحكل] : ما لا يسمع له صوت.لسان العرب(١٦٢/١١) مادة (حكل/ ،وأوردها الزمخشري كما أثبتها. الكشاف ٣(/٣٥٧.

(٤) الزمخشري :الكشاف ٣٥٧/٣.

(٥)سقط من ب.

(٦)سقط من ب.

ولأمر ما هدى الله سبحانه في أول كتابه في أول صفة وصف بها أهل التقوى الذين يؤمنون بالغيب ؟ فالزم الإيمان بالغيب! ، ويكفيك الإيمان بما أخبر به القرآن وإذا كنت الظلوم الجهول ، فاعلم ما يقال: لك ، وما تقول: ، ويا ليت شعري ماذا يكون إذا سلم العبد أن كل شيء سبح بحمد ربه! وأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مرسل إلى العالمين ، هل تزول السماء عن مكانها ؟أو تمنعه الأرض عن استيطانها؟ أم ما ذا يكون؟.

وقال:بعض أئمة الفرقان من أرباب الطريقة وحملة الحقيقة [1]، في تعليل ، وجود الخلق "وما غايته بقول الله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2] فصرح بالسبب الذي لأجله أوجدنا وهكذا العالم كله ، وخصصنا هنا والجن بالذكر والجن كل مستتر وغيره ، وقد قال تعالى: في حق السموات والأرض﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[3] وكذلك قال﴿ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾[4] فأبين أن يحملنها ، وذلك لما كان عرضا وأما لو كان أمرا لأطاعوا وحملوها فانه لا يتصور منهم معصية ما جبلوا على ذلك ، والجن الناري ، والإنس ما جبلا على ذلك ،[وكذلك][5] من الإنس أصحاب[الأفكار][6] ، ومن أهل النظر والأدلة المقصورة على الحواس ، والضرورات والبديهيات ، يقولون لا بد أن يكون المكلف ، عاقلا بحيث يفهم ما يخاطب به ، وصدقوا

---

(١)يقصد به ابن عربي والطريقة هي من مصطلحات الصوفية .

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٣)سورة فصلت، آية :١١.

(٤) سورة الأحزاب، آية :٧٢.

(٥)في:ب [ولذلك].

(٦)في ب:[أفكار] وهو تصحيف.

وكذالك الأمر عندنا العالم كله عاقل حي ناطق من جهة الكشف لخرق العادة التي الناس عليها، أعني حصول العلم بهذا عندنا غير أنهم قالوا: هذا جماد لا يعقل ، ووقفوا عندما أعطاهم نظرهم ، والأمر عندنا بخلاف ذلك ، فإذا جاء عن نبي أن حجرا كلمة ، وكتف شاه ، وجذع نخلة ، وبهيمة ،يقولون: خلق الله فيها الحياة والعلم في ذلك الوقت، والأمر عندنا ليس كذلك، بل سر الحياة في جميع العالم ،وكل من سمع المؤذن من رطب ويابس يشهد له، ولا يشهد إلا من علم، وهذا من كشف عندنا لا من استنباط نظر بما يقتضيه ظاهر خبر ولا غير ذلك، ومن أراد أن يقف عليه فليسلك طريق الرجال ، ويلزم الخلوة والذكر، فإن الله سيطلعه على هذا كله عيانا فيعلم أن الناس في عماية عن إدراك هذه الحقائق "[1].انتهى.

ومن لم يبلغ هذا المقام العظيم فليلزم التسليم لما أخبر به القادر العليم، ويؤمن بالغيب ليبرأ من العيب، فإن الإيمان به هو العلم النافع، والنور الساطع .اللهم إنا نسألك علما نافعا ، وعملا متقبلا ،ورزقا واسعا، وشفاء من كل داء آمين !.

ولنعد إلى ما نحن فيه فإذا كان المراد من الناس في قوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً ﴾[2] لِّلنَّاسِ من كل من يقبل النوس فيكون قوله:﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ المراد به الإنس والجن لأنه لا يعلم بعاص ، لله تعالى من غير الثقلين لقوله:﴿ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ بعد قوله أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۥ لَهُۥ

(١)المناوي عبد الرؤوف : فيض القدير شرح الجامع الصغير،نقلا عن ابن عربي(٤١٢/٢)المكتبة التجارية الكبرى مصر ١٣٥٦هـ،ط١ .

(٢)سورة سبأ آية :٢٨ .

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾[1]

فسر به الحديث وأكثر الناس يعلمون عموم رسالته صلى الله عليه وسلم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وهم إلى الآن ينكرون عموم رسالته صلى الله عليه وسلم ، وهم يقرؤون قوله:﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[2] ولا يقرون ويقرؤون ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً﴾ويتأولونها ويقرؤون﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾[3]ويعرفون أن حذف المعمول يدل على عمومه ، ومع هذا لا تساعدهم أهواؤهم على الإيمان بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الذي خص به -صلى الله عليه وسلم- في قوله: ((وبعثت إلى الناس كافة)) [4].

وأما البعث إلى بني آدم فكل نبي مبعوث إليهم بحب الإيمان به على كل من بلغته دعوته، ولـــذا يقول الله تعالى عن كفـــار قريش:﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾[5] وقال:﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[6]وقد جاء في بعض روايات الحديث ((وبعثت إلى الناس))[7] فيكون المراد به من يقبل النوس كما في الآية ، ويفسر الجميع رواية مسلم لمن كان يتفكر، ويعطي الكتاب والسنة حقهما من التأمـــل

---

(١) سورة الحج، أية: ١٨.

(٢)سورة الفرقان، آية: ١.

(٣) سورة الأعراف ،آية: ٢.

(٤)سبق تخريجه.

(٥)سورة القصص، آية: ٤٨.

(٦)سورة نوح ،آية: ٢٦.

(٧)أخرجه البخاري من حديث جابر رضي الله عنه ،كتاب الصلاة،باب(٥٦)رقم(٤٣٨)ص٧٦، وأحمد(٢٧٤٢)١/٣٠١،والدارمي (١٣٨٩)١/٣٧٤.

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[1].

قال: الشيخ [تقي الدين السبكي رضي الله عنه][2] في قوله تعالى﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾[3] ما لفظه "في هذه الآية من التنويه بالنبي –صلى الله عليه وسلم–، وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى، وفيه مع ذلك أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا إليهم، فتكون رسالته ونبوته عامة لجميع الخلق من زمن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، ويكون الأنبياء وأممهم من أمته ويكون قوله: ((وبعثت إلى الناس كافة))[4] لا تختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة،بل يتناول من قبلهم أيضا ، ويتبين بذلك قوله: صلى الله عليه وسلم ((كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد))[5]وأن من فسره بعلم الله بأنه

---

(١)سورة الجاثية، آية ٢٣.

(٢)في ب:[تقي الدين رحمه الله] ،وسبقت ترجمته في مصادر المؤلف.

(٣)سورة آل عمران، آية: ٨١.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه الترمذي ،كتاب المناقب، باب فضل النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة وقال: حسن صحيح ،وفي الباب عن ميسرة مثله(٣٦٠٩)ص٨٢١، ، وأخرجه أحمد (١٦٦٧٤)٦٦/٤ وابن أبي شيبة (٣٦٥٥٣) ٣٢٩/٧ من حديث عبد الله بن شقيق، والطبراني في الكبير (١٢٥٧١)٩٢/١٢ من حديث ابن عباس ، ورواه أبو نعيم في الحلية عن ميسرة الفخر ،وبن سعد عن بن أبي الجدعاء، وأخرجه البخاري في تاريخه، والبغوي وابن السكن وغيرهم، وصححه الحاكم .أنظر: السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة عـــلى الألسنة(١/ ٥٢١) تحقيق: محمد الخشت، دار الكتاب العربي– بيروت – ١٤٠٥ هــ – ١٩٨٥م،ط١.وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٨١)، والسلسلة الصحيحة (١٨٥٦).

سيصيره نبيا لم يصل إلى هذا المعنى، لأن علم الله تعالى محيط بجميع الأشياء، ووصف النبي-صلى الله عليه وسلم-النبوة ينبغي أن يفهم منه في ذلك الوقت أنه أمر ثابت في ذلك الوقت، ولهذا أراه آدم اسمه مكتوبا على العرش محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلا بد أن يكون ذلك معنى ثابتا في ذلك الوقت، ولو كان المجرد به مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بأنه نبي وآدم بين الروح والجسد لأن جميع الأنبياء يعلم الله بنبوتهم ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية النبي -صلى الله عليه وسلم- لأجلها أخبر بهذا إعلاما لأمته ليعرفوا قدره عند الله تعالى فيحصل لهم الخير بذلك[1].

ثم قال: بعد كلام والنبي -صلى الله عليه وسلم-خير الخلق فلا كمال لمخلوق أعظم من كماله ولا محل أشرف من محل فعرفنا بالخبر الصحيح حصول ذلك الكمال من قبل خلق آدم عليه السلام لنبينا -صلى الله عليه وآله وسلم- من ربه سبحانه وأنه أعطاه النبوة من ذلك الوقت ثم أخذ له المواثيق وهم في معنى الاستخلاف لذلك خلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه .

لطيفه أخرى: وهي كأنها أيمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء ،ولعل أيمان الخلفاء أخذت من هنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- من ربه سبحانه فإذا عرفت ذلك فالنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- هو نبي الأنبياء، ولهذا أظهر ذلك في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه ،وفي الدنيا كذلك ليلة الأسرى صلى بهم[2] ،ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته، وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم، فنبوته ورسالته إليهم معنى حاصل له،

---

(١) انظر:فتاوى السبكي(١/٣٨،٣٩).

(٢) انظر:صحيح مسلم حديث (١٧٢) ص٨٩ ، وسنن الدارمي ١/ ٤١ (٥٢)،ومجمع الزوائد ١٠/ ٣٧٢.

وإنما أمره يتوقف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك الأمر راجع إلى وجودهم لا إلى عدم إنصافهم بما يقتضيه ،وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على أهلية الفاعل فهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات- النبي -صلى الله عليه وسلم- الشريفة وإنما من جهة العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ،وهذا يأتي عيسى -عليه السلام- في آخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس أنه يأتي واحدا من هذه الأمة ، نعم هو واحد من هذه الأمة لما قلناه من اتباعه للنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ، وإنما محكم بشريعة نبينا محمد-صلى الله عليه وآله وسلم- بالقرآن والسنة، وكل ما فيهما من أمر أو نهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الأمة ، وهو نبي كريم على حاله لم ينتقص منه شيء.

وكذلك لو بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- في زمان أو زمان إبراهيم وموسى ونوح وآدم-عليهم السلام- كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم إلى أممهم والنبي- صلى الله عليه وسلم- نبي عليهم ورسول إليهم فنبوته-صلى الله عليه وسلم-أعم واشمل وأعظم ومتفق مع شرائعهم في الأصول لأنها لا تختلف، وتقدم شريعته صلى الله عليه وسلم فيما عسى يقع الاختلاف فيه ، من الفروع إما على سبيل التخصيص ، وإما على سبيل النسخ أولا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعته -صلى الله عليه وسلم- في تلك الأوقات بالنسبة إلى أولئك الأمم مما جاءت به أنبيائهم ، وفي هذا الوقت بالنسبة إلى هذه الأمة هذه الشريعة والأحكام تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات، وبهذا بان لنا معنى حديثين كان خفيا عنا أحدهما: قوله: صلى الله عليه وسلم((بعثت إلى الناس كافة))[1] كنا نظن أنه من زمانه إلى يوم [القيامة][2] فبان أنه جميع الناس أولهم وآخرهم.

---

(١)سبق تخريجه.

(٢)سقط من :ب .

والثاني:قوله: -صلى الله عليه وسلـــم-((كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد))[1]كنا نظن أنه زايد على ذلك كما شرحناه ، وإنما يفترق الحال بين ما بعد وجود جســـده -صلى الله عليه وسلم- وبلوغه الأربعين، وما قبل ذلك بالنسبة إلى المبعوث، وتأولهم لسماع كلامه لا بالنسبة إليه ، ولا إليهم لو تأهلوا قبل ذلك، وتعليق الأحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل ،وقد يكون المتصرف فهنا التعليق إنما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث إليهم، وقبولهم سماع الخطاب ، والجسد الشريف [الذي][2] يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل الأب رجلا في تزويج ابنته إذا وجدت كفؤا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل أهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود كفوء ولا يوجد إلا بعد مدة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة وأهلية [التوكيل]"[3].

وضح أنه لا يصح الإتيان بالظاهر لتكون الآية دالة على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم بذكر الناس فيها الذي بينت السنة أن المراد به الخلق، وبمجيء كافة حالاً منه، ولو قال: ولكن أكثرهم لما دلت الآية على إرساله إلى الثقلين خاصة والله أعلم بكلامه.

ويمكن أن يقال أيضا: لما جاء بذكر البشارة والنذارة في قوله: بشيرا ونذيرا وكان كل من البشارة والنذارة ينقسم إلى قسمين: فبشارة عامة ونذارة عامة،وبشارة خاصة ونذارة خاصة، فالبشارة العامة والنذارة العامة في مثل قوله:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[4] فهـــذه البشارة والنذارة حملها عـــلى

(١)سبق تخريجه.

(٢)في ب :[إنما].

(٣)في ب:[التوكل].

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

العموم أو لا ؛ لأن الله سبحانه أمره ببشارة المؤمنين في آيات منها بعد الآية ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾[1] وأمــــره أيضا ببشارة المنـــافقين فقـــــال: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[2]﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[3]
وأمره بالنذارة العامة أن أنذر النـــاس وأعـــم منه، وهو من الأدلة على عموم رسالته- صلى الله عليه وسلم- قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ ﴾[3] فحذف المنذر ليدل على العموم ،وأما البشارة الخاصة والنذارة الخاصة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾[4] [فهذه بشارة ونذارة خاصة مقصورة على الخاصة][5] نكتة حسنة وهي أن من اتبع الذكر وهو القرآن الذي به الإنذار عرف سعة رحمة الله تعالى فأحدقت له تلك المعرفة الخشية ؛ لأنه يرى نفسه قاصرة عن أداء شكر النعمة مقصرة عن التأهيل لقبول الرحمة [فتنتج][7]له هذه الخشية البشارة على لسان البشير النذير بمغفرة وأجر كريم .

---

(١) سورة الأحزاب، آية:٤٧ .

(٢) سورة النساء ،آية :١٣٨..

(٣) سورة التوبة ، آية: ٣.

(٤)سورة الأعراف ، آية: ٢.

(٥)سورة يس ، آية: ١١.

(٦) ما بين المعكوفين سقط من(ب).

(٧)في ب:[فتنتهج].

ومثله في النذارة العامة والبشارة الخاصة قوله تعالى:﴿ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[1] فمن مشى على قدم صدق أوصله إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

فلما كان من حق البشارة والنذارة أن تختص بأهل الإيمان فقصرها عليهم في قوله: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ ﴾[2] كان في قوله ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[3] ما يصح معه أن يكون المراد بالناس هنا القابلين[للبشارة][4] والنذارة سيما مع ما قد سلف أن المراد بالآية نفي الخصوص واثبات العموم فيكون المراد بالناس أهل الإيمان خاصة الذين هم الناس حقيقة ، فاظهر في قوله :﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ؛لأن الذين لا يعلمون مطلق الناس ، والله أعلم بكلامه ونستغفره مما لا يرضاه! .

---

(١)سورة يونس ،آية: ٢.

(٢)سورة يس، آية :١١.

(٣)سورة سبأ، آية: ٢٨.

(٤)سقط من :أ .

قولـــــه: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1]

الآية جواب على مقالة المشركين المحكية فيما قبلها وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥﴾[2] قال تعالى: لمن عرضت عليه جبال مكة ذهبا فأباها ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾.الآية ،

وهذه الآية من أدلة نفاه القياس [3]، فإن هؤلاء قاسوا الآخرة على الدنيا، ورأوا كثرة

---

(١)سورة سبأ آية :٣٥.

(٢)سورة سبأ آية:٣٦.

(٣)ولكن لعلماء الأصول أدلة، وقد ردوا على ما ذهب إليه المؤلف وأمثاله. فمن القرآن١– قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ)(الشورى: الآية١٧)والميزان ما توزن به الأمور ويقايس به بينها.

٢ – قوله تعالى: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ) (الأنبياء: الآية١٠٤) (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ) (فاطر:٩) فشبّه الله تعالى إعادة الخلق بابتدائه، وشبه إحياء الأموات بإحياء الأرض، وهذا هو القياس.

ومن أدلة السنة:١ – قوله صلّى الله عليه وسلّم لمن سألته عن الصيام عن أمها بعد موتها: "أرأيتِ لو كان على أمك دين فقضيته؛ أكان يؤدي ذلك عنها"؟ قالت: نعم. قال: "فصومي عن أمك" رواه البخاري (١٩٥٣) كتاب الصوم ،٤٢– باب من مات وعليه صوم . ومسلم (١١٤٨) كتاب الصيام ،٢٧– باب قضاء الصوم عن الميت .

٢ –أن رجلاً أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال: يا رسول الله! ولد لي غلام أسود! فقال: "هل لك من إبل"؟ قال: نعم، قال: "ما ألوانها"؟ قال: حمر، قال: "هل فيها من أورق"؟ قال: نعم، قال: "فأنى ذلك"؟ قال: لعله نزعه عرق، قال: "فلعل ابنك هذا نزعه عرق" رواه البخاري (٥٣٠٥) كتاب الطلاق ، ٢٦– باب إذا عرض بنفي الولد ومسلم (١٥٠٠) كتاب اللعان .وهكذا جميع الأمثال الواردة في الكتاب والسنة دليل على القياس لما فيها من اعتبار الشيء بنظيره.=

أموالهم وأولادهم، فظنوا أنهم على فرض صحة البعث لأنهم منكرون له سيكونون في الآخرة كما هم في الدنيا، وهذا كما في قوله:﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾[1] فأبطل سبحانه قياسهم وظنهم ، وهدم بنيانهم بقوله: مجيبا عليهم ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾[2] يعني ابتلاءً واختبارا في الدنيا لا استحقاق كما في قوله: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[3] ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[4] ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[5] ومعنى قوله: ويقدر أي يضيق، وذلك البسط والتقدير جاريان على نهج الحكمة الربانية والعلم، ولذا ختمها في سورة الإسراء بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾[6] بعد قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ

=ومن أقوال الصحابة: ما جاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في كتابه إلى أبي موسى الأشعري في القضاء قال: ثم الفهم الفهم فيما أدلى عليك، مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايس الأمور عندك، واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله، وأشبهها بالحق.قال ابن القيم: وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول.

وحكى المزني أن الفقهاء من عصر الصحابة إلى يومه أجمعوا على أن نظير الحق حق ونظير الباطل باطل، واستعملوا المقاييس في الفقه في جميع الأحكام.انظر:العثيمين: الأصول من علم الأصول(ص٦٩).

(١)سورة الكهف: ٣٥،٣٦.

(٢) سورة سبأ آية :٣٥.

(٣) سورة التغابن:١٥.

(٤) سورة الأنبياء: ٣٥.

(٥) آية: ٣٠.

لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ ﴾[1]وفي سورة العنكبوت باسمه العليم فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[2] وفي سورة الروم: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[3] وفي الزمر: ﴿ أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[4] وفي الشورى: ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[5] وفي الرعد: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴾[6] .وأما زيادة قوله: من عباده وقوله: في آية العنكبوت ،وفي سورة سبأ في الآية التي بعد الآية التي الكلام عليه فالمراد من ذلك يبسط الرزق لشخص واحد وتضييقه عليه هو مراد قوله:﴿ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ من عباده ليعيد الضمير في قوله:﴿ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ ﴾ ويقدر له إليه .وأما التي ليس فيها من عباده ويقدر له، فإن المراد يبسط الرزق لمن يشاء، فتارة يغني هذا وتارة يفقر هذا، وتارة يغني شخصا ثم يفقره بعد الغنى العظيم ،وفي سورة القصص: ﴿ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ ﴾[2]فقال:من عباده و لم يرجع إليه ضميرا، ولعل النكتة في ذلك أنها لما كانت

---

(١)سورة الإسراء،آية:٣٠

(٢)آية:٦٢.

(٣)آية:٣٧.

(٤)آية:٥٢.

(٥)آية:١٢.

(٦)آية:٢٦.

(٧)آية:٨٢.

محكية عن الذين تمنوا مكانه بالأمس كانت قاصرة بالنسبة إلى ما في العنكبوت وما في سبأ؛ لأنها في السور الأخر غير محكية من أحد، بل هي من كلامه تعالى خاصة فأرانا بذلك أنا إذا رأينا كلاما حكاه عن أحد من الخلق، ورأينا مثله تكلم به من لدنه، فإن كلامه أبلغ وأعرق في الإعجاز.

أو يقال: إنه لما كان الكلام عن قارون وكان هو القائل إنما أوتيته على علم عندي، أبان لنا جملة عباده وأنه لا فرق بينه وبين أفقر الخلق وأضعفهم ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾[1] والله أعلم بكلامه .

وقد نبه على السبب الجالب لبسط الرزق، وأنه بالنفقة يكون الخلف،ففي سورة الروم وبعد قوله:﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ ﴾[2] الآية وبعدها ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴾[3]وفي سبأ بعدها ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[4] وفي الإسراء ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴾ وبعدها ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ ﴾[5]فسبحان من أودع كتابه من العلوم ما لا يعلمه غيره !.

---

(١) سورة مريم، آية :٩٣ .

(٢)آية: ٣٧.

(٣)٣٨،٣٩..

(٤) آية:٣٩.

(٥)آية:٣٠،والتي بعدها آية:٣١.

ولما ختم الآية في سورة العنكبوت﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ ختمها هنا بقوله:﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾.

وأعلم أن قوله تعالى بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ وأكثرهم لا يعلمون محذوف المعمول، ليدل على العموم كأنه يقول لا يعلمون شيئا، لكن له تعلق بنفي علم ما تقدمه خاصة كما أسلفناه قبل هذا كما في الآية.

فإن المراد قل يا من وجدك ربك [عائلا][1]فأغنى، إن ربي الذي رباني وأغناني وأغنى بي، يبسط الرزق الحسي والمعنوي الروحي والقلبي والجسمي لمن يشاء، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

﴿وَيَقۡدِرُ ﴾ يضيق فلا راد لما قضى ولا مبدل لما حكم ويبسطه وتقديره ليفوز الشاكر بأجر الشاكرين، ويحوز الصابر بشارة الصابرين﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمۡ ﴾[2] ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾[3]﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ حكمته المتقنة وأنهم لا يستحقون شيئا عليه وإنما يعطيهم فضلا ونمنعهم رأفة فان شكروا وصبروا نالوا القرب منه وحازوا الزلفة لديه، وإلا كانت أموالهم وأولادهم وبالا عليهم، ونـــدامة لـــديهم؛

---

(١) سقط من :ب.

(٢)سورة الأنعام، آية:١٦٥ .

(٣)سورة يونس، آية :١٤.

فلذا قال بعدها: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾[1] ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[2] ﴿ وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾[3] فهؤلاء الذين قالوا: ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾[4] لا يعلمون وغيرهم أيضا كذلك لا يعلمون، ولذا ترى كثير من الناس يشكو الدهر والزمان، وترى كثيرا من الناس يظن أن اجتهاده في طلب الرزق يغنيه، والله سبحانه هو المعطي وهو المانع وهو الرزاق الوهاب.

---

(١) سورة سبأ ،آية: ٣٧.

(٢) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٣) سورة مريم، آية: ٨٦.

(٤) سورة سبأ ،آية: ٣٥.

قوله تعالى: في سورة الروم

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

أي فأقم قصدك للدين ،والدين هو الإسلام كقوله: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾[1].

والحنيف المقبل على الشيء ،والأحنف التي تقبل على رجله الأخرى[2] ،فالمراد مقبلا على الله معرضا عما سواه.

وقد وصف الله سبحانه خليله بهذا الوصف في قوله:﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾[3] وحكى عنه قوله: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ﴾[4].

وقوله:﴿ فِطْرَتَ ﴾ منصوب بمقدر وهو الزموا كما في قوله تعالى: ﴿ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[5] يعني اتبعوا ملة إبراهيم .

---

(١)سورة آل عمران، آية :٢٠.

(٢)ابن عطية:المحرر الوجيز (٤٥١/١).

(٣) سورة النحل، آية:١٢٠.

(٤) سورة الأنعام، آية:٧٩.

(٥) سورة البقرة، آية:١٣٥.

وقوله:﴿ فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾عليها أي خلقهم وبدأهم،وعن ابن عباس –رضي الله عنهما–((ما كنت أدري ما معنى فاطر، حتى احتكم إلي أعرابيان في بئر فقال:أحدهما أنا فطرتها)) [1].

وقوله ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[2]إخبار بمعنى يفسره قوله عن إبليس أعاذنا الله تعالى منه:﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾[3] فتبديل الفطرة تغييرها طاعة لأمره .

وقوله:﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ذلك أي إقامة الوجه للدين حال كون المأمور مقبلا على الله معرضا عما سواه لزوم ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[4]والانتهاء عن ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[5] .

وإذا رجعت إلى قول: يوسف عليه السلام ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[6] وجمعت الآيتين وتدبرتهما فهمت حقيقة الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ،وإنما أظهر في محل الإضمار لأنه لما كان سياق الآية قبلها﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ

(١)أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧١٧٠/١٠)، والطبري في التفسير(٢٨٣/١١)،وأيضا: البيهقي في الشعب(١٦٨٢)٢٥٨/٢وحسنه الحافظ ابن حجر بتخريج أحاديث الكشاف(٤١)مخطوط، وزد عزوة إلى أبي عبيد في فضائل القرآن ،وغريب الحديث وقال ليس فيه إلا إبراهيم بن مهاجر . قلت ينظر ترجمته في :ابن حجر ، تهذيب التهذيب(١٦٧/١) ،فقد ضعفه غير واحد.

(٢)سورة الروم، آية:٣٠.

(٣)سورة النساء، آية:١١٩.

(٤)سورة الروم، آية: ٣٠.

(٥)سورة الروم، نفس الآية.

(٥)سورة يوسف، آية: ٤٠.

﴿فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٩﴾[1] كان ربما ظن أن الضمير يعود إليهم يعني إلى الذين ظلموا فارتفع الالتباس بذكر الناس ليكون في غاية الوضوح لمتدبره كما هو في غاية البلاغة وحكم الإعجاز فسبحان من أودع كتابه من الأسرار ما تعنوا له وجوه الأفكار! فاعتبروا يا أولى الأبصار! .

وقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن النبي– صلى الله عليه وآله وسلم– قال: ((كل مولود يولد على الفطرة)) وفي رواية للبخاري ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة جمعاء هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها))[2] .

وأخرج مسلم والنسائي وأبو داوود الطيالسي عن عياض بن حمار أن النبي– صلى الله عليه واله وسلم– قـــال: ((يقـــول الله تعالى: كل ما نحلته عبدا حلالا وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت

---

(١)سورة الروم، آية: ٢٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب(٩٢)باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٥٨)ص٢٢٢،وأخرجه مسلم ،كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة رقم(٦٦٥٧)بلفظ "ما من مولود...الحديث"، والرواية الثانية في البخاري في كتاب القدر ، باب الله أعلم بما كانوا عاملين (٦٥٩٩)ص١١٤١.

وقد جاء بروايات متعددة فقد أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داوود من حديث ابن عباس ورواه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة، وعبد بن حميد عن أبي سعيد، وأخرجه الحكيم الترمذي عن عائشة .الهندي :كنز العمـــال(٢٢١/١٤).

ورواه أحمد في المسند والطبراني وأبو يعلى والدرامي والحاكم وابن جرير وابن حبان وسعيد بن منصور في سننه وأبو نعيم في الحلية من حديث الأسود بن سريع .الهندي:كنز العمال(٢٥١/٤) .

وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا))[1].

قال :الشيخ محيي الدين بن عربي- رحمه الله تعالى- "الفطرة يعرف بها كل معروف واليها الإشارة بقول الفضلاء الأوليات وهي ما لا تحتاج العقول عليها إلى دليل، مثل أن الكل أكثر من جزئه، بل هو الدليل على ما غمض عن العقول، وبه يتوصل إليه فهذه الفطرة فطر الله الناس كلهم عليها، فهم مفطورون أولا عن الانقياد والتسليم إلى ما لابد للعقل من الاعتراف به، وهو الفاطر إلى ما فطر عليه من الاعتراف إلى ما هو محقق عندهم بالأوليات المسلمة بعقولهم فيما ظهر، والمبرهنة عما بطن.

وهاهنا تنبيه! أعلم أنه لما كان الولد الصغير لا يعرف عند الولادة شيئا كان على الفطرة، وإذا وصل الكبير إلى حد أن يعرف أنه لا يعرف شيئا فقد عاد إلى الفطرة، وهو في الجنة.

ولما أكل من شجر المعرفة خرج منها ،وهذا هو الإسلام من الكبير لتسليم المسلم ما لا يعلمه من ذات الباري سبحانه، وهو الإيمان بالغيب، وكذلك يسلك في كل ما لا يجوز الكلام فيه، ولا يجوز الكلام إلا بما جاءت به الرسل، ولهذا كانوا مسلمين لأنهم لم يأتوا من تلقاء أنفسهم بشيء إلا بما عرفهم الله تعالى من غير غربة بوجه، فهم رسل فقط،

---

(١) أخرجه مسلم ،كتاب الجنة ونعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢٨٦٥) ص١٢٤١،والنسائي في الكبرى، باب قراءة القرآن على كل الأحوال(٨٠٧٠)٢٦/٥ تحقيق:عبد الغفار البنداري ، وسيد كسروي دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١ - ١٩٩١، ط١، ،والطيالسي (١٠٧٩)١٤٥/١دار المعرفة بيروت ،وأحمد(١٧٥٢٩)١٦٢/٤، وابن حبان ذكر الإخبار عن الخصال التي يجب على المرء تفقدها من نفسه حذر إيجاب النار له بارتكاب بعضها (٦٥٣)٤٢٢/٢، والطبراني في الكبير (٩٨٧)٣٥٨/١٧ والأوسط (٢٩٣٧)٢٠٦/٣ تحقيق: طارق عوض الله،وعبد المحسن الحسيني،دار الحرمين القاهرة ١٤١٥، والبزار(٣٤٩١)٤١٩/٨، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله،مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم - بيروت ، المدينة - ١٤٠٩، ط١.

وأولاهم بالإتباع آخرهم، فصح أن الدين عند الله الإسلام، وأن الأولى به هذا النبي – صلى الله عليه وسلم– ولهذا قال: هو أولى بإبراهيم –صلى الله عليه وسلم– و لم يقل: أولى به انتهى ".

وهذا كلام عجيب! وهو يوضح الآيات الواردة بمعناه، والأحاديث مثل قوله تعالى:﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[1] ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم ﴾[2]﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[3]﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[4] إلى غير ذلك من الآيات؛

فهؤلاء لو استعملوا الفطرة التي خلقوا عليها واستنتجوا الفكرة التي أسندوا إليها لعرفوا الحقيقة، وسلكوا الطريقة أيقظ الله منا الفكرة لمراجعة الفطرة! .

وعن عبد الرحمن بن [أبزى][5]–رضي الله عنه– قال: كان رسول الله– صلى الله

---

(١)سورة يونس ،آية: ١٠١.

(٢)سورة الروم،آية: ٨.

(٣) كررت كثيرا في القرآن، منها آية الروم رقم ٢٤.

(٤)سورة الزمر ،آية: ٩.

(٥)في المخطوط [أبزاء] وضبطه كما في ترجمته وهو عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي له صحبة ، ورواية ، وفقه ، وعلم . وهو مولى نافع بن عبد الحارث ، كان نافع مولاه استنابه على مكة حين تلقى عمر بن الخطاب إلى عسفان ، فقال له : من استخلفت على أهل الوادي ؟ يعني مكة ، قال : ابن أبزى ، قال : ومن ابن أبزى ؟ قال : إنه عالم بالفرائض قارئ لكتاب الله . قال : أما إن نبيكم – صلى الله عليه وسلم – قال : إن هذا القرآن يرفع الله به أقواما ، ويضع به آخرين . وحدث عبد الرحمن أيضا عن أبي بكر ، وعمر ، وأبي بن كعب . وعمار بن ياسر . حدث عنه : ابناه؛ عبد الله وسعيد ، والشعبي ، وعلقمة بن مرثد ، وأبو إسحاق السبيعي ، وآخرون . سكن الكوفة ، ونقل ابن الأثير في " تاريخه " : أن عليا – رضي الله عنه – استعمل عبد الرحمن بن أبزى على خراسان . ويروى =

عليه وسلم- قـــال: ((أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد صلى -الله عليه وسلم-، وملة أبينا إبراهيم -صلى الله عليه وسلم- حنيفا مسلما، وما أنا من المشركين)) أخرجه ابن السني بسند صحيح[1].

=عن عمر بن الخطاب أنه قال: ابن أبزى ممن رفعه الله بالقرآن " . الذهبي :سير أعلام النبلاء (٣/٢٠٢).

(١) أخرجه أحمد (١٥٣٩٧)٦٠٤/٣،والدرامي (٢٦٨٨)٣٧٨/٢ وابن أبي شيبة(٢٦٥٤٠)٤٢٣/٥ والنسائي في عمل اليوم والليلة الكبرى(٩٨٣٠)٣/٦ ، والطبراني في الكبير كتر العمال(٢٨/٧)وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٤)٣٧/١ تحقيق: كوثر البرني ،دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن – جدة / بيروت، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٧٤).

قوله تعالى :في سورة القصص

﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ ﴾

هذه المقالة حكاها الله سبحانه عن كفار مكة[1] ،والواو عاطفة على قوله:﴿ قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ ﴾[2] وقولهم إن نتبع جاءوا بإن المشككة إظهارا لبعدهم عن اتباعه، وتكاسلهم عن النهوض مع اتباعه.

والهدى هو القرآن قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[3] ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[4] ﴿ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[5] ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾[6]فقد كان –صلى الله عليه وسلم– يأمرهم باتباعه

(١) وقيل :إن القائل الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف. انظر:الزمخشري:الكشاف(٤٢٢/٣)ولكن سنده منقطع كما قال بن كثير في تفسيره(٣٧٠/٣).

(٢)سورة القصص، آية: ٤٨.

(٣)سورة البقرة، آية: ٢.

(٤)سورة النحل، آية:٨٩.

(٥)سورة يوسف، آية:١١١.

(٦)سورة البقرة، آية: ١٨٥.

كمـــا في قوله تعـــالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[1] وفي لقمان ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[2]وبمثل هذا يتضح إتيانهم بالمضارع في قولهم نتبع الهدى ؛لأنهم أجابوا قوله: اتبعوا، فسبحان! من أودع كتابه الأسرار التي تأخذ بمجامع القلوب حلاوة، وأحكم آياته لفظا ومعنى وحسنا وطلاوة.

وقوله:﴿ نُتَخَطَّفْ ﴾ جاؤوا به مغيرا كأنهم يقولون يتخطفنا كل متخطف والاختطاف الأخذ بسرعة، وقولهم﴿ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ جهل منهم بأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

وفيه من إظهار قلة عقولهم والتنويه بضعف أفهامهم ما لا يخفي؛ ولذا أجابهم بقـــوله:﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ كقوله:﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[3] في ذي القرنين، وقوله في يوسف:﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[4] ووصفه في الآية الأخرى بقوله:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾[5].

---

(١)سورة البقرة، آية: ١٧٠.

(٢)سورة لقمان، آية:٢١ .

(٣)سورةالكهف، آية:٨٤ .

(٤)سورة يوسف، آية:٢١.

(٥)سورة العنكبوت، آية: ٦٧.

وقوله:﴿ يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا ﴾[1]هذه من آيات الله الباهرة ودلالته القاهرة أن تجبى ثمرات كل شيء إلى واد غير ذي زرع،ولأهل الثمرة الظاهرة،ولأهل الباطن الثمرة فللمستغفر ثمرات المغفرة وللراحم ثمرات الرحمة ،وكل حزب بما لديهم فرحون، ولذا قال: ﴿ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا ﴾.

وقوله: تجبى[2] للدلالة على التجدد وعدم الانقطاع، وهذا مما يعرفه من له أدنى مسكة من علم ،وأقل دربة من فهم.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ يعني أكثر القائلين بهذه المقالة ؛ لأن الأمر في ذلك واضح لهم، وقد كان لبعضهم علم بذلك ولذا قالوا:﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ ﴾ فسموه الهدى .

وقد روى أنهم قالوا له: ((نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وإنما نحن أكلة رأس أي قليلون))[3] وجلالة البيت وعظمته كانت معلومة لديهم يعلمها فيهم من يعلمها﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ أي أكثر قريش لأن منهم من يعلم ذلك وأكثرهم لا يعلمون فوضح أنه لا يصح إلا الضمير.

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: ((كان بمكة حي يقال لهم: العماليق فكانوا في عز وثروة ،فكانت لهم أموال كثيره من خيل وإبل وماشية ،فكانت

---

(١)سورة القصص،آية:٥٧.

(٢) وهذه قراءة متوترة سبعية قرأها نافع المدني بالتاء الفوقية (تجبى)والجمهور بالياء التحتية (يجبى)كما أوردها الشاطبي .وانظر:الشوكاني: فتح القدير (٢٣٦/٤).

(٣)والزمخشري: الكشاف(٤٢٢/٣)، وأبو حيان: البحر المحيط (١٢٠/٧) وقال الزيلعي: في تخريجه لأحاديث الكشاف (٣١/٣) غريب بهذا اللفظ .

ترعى مكة وماحولها،وكانت الخرف عليهم مظلة،[والأربعة][1]مغدقة،والأودية[نجال][2] والعضاة ملتفة، والأرض مبقلة، فكانوا في عيش رخي فلم يزل بهم البغي والإسراف على أنفسهم بالظلم وإظهار المعاصي والاضطهاد لمن قاربهم حتى سلبهم الله تعالى ذلك، فنقصهم بحبس المطر عنهم، وتسليط الجدب، وكانوا يكرون بمكة الظل ويبيعون الماء، فأخرجهم الله من مكة [بالذر][3] سلطه عليهم حتى خرجوا من الحرم فكانوا حوله، ثم ساقهم الله بالجدب يضع الغيث أمامهم ويسوقهم بالجدب؛ حتى ألحقهم بمساقط رؤوس أبائهم، وكانوا قوما عربا من حمير، فلما دخلوا بلاد اليمن تفرقوا وأهلكوا، فأبدل الله الحرم بعدهم جرهم فكانوا سكانه حتى بغوا فيه واستحقوا محقه فأهلكهم الله جميعا))[4].

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن سابط قال: ((كان الناس إذا كان الموسم بالجاهلية خرجوا فلم يبق أحد بمكة ،وأنه تخلف رجل سارق فعمدا إلى قطعة من ذهب فوضعها ثم دخل ليأخذ أيضا فلما أدخل رأسه [ضره][5] البيت فوجد ورأسه في البيت واسته خارجه فألقوه للكلاب وأصلحوا البيت))[6] .

---

(١) في ب:[الأرتعة] وهو تصحيف.

(٢)في المخطوط [مجال]والصواب ما أثبته، ونجال جمع نجل: وهو الماء الذي يخرج من الأرض .ابن منظور: لسان العرب (٦٤٨/١١)مادة (نجل).

(٣)في المخطوط [بالذي]وضبته كما وجدته في أخبار مكة وسيأتي تخريجه.

(٤)الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد: ر أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار(٨٩،٩٠/١) ، تحقيق: رشدي الصالح ملحس ، دار الأندلس للنشر – بيروت – ١٩٩٦م- ١٤١٦هـ.والأثر ضعيف، فيه طلحة بن عمر الحضرمي متروك .انظر:المزي،تهذيب الكمال(٤٢٧/١٣)،وابن حجر،تهذيب التهذيب(٢٣/٥).

(٥)في المخطوطة :[مرة]وصوبته كما في المصنف لابن أبي شيبة وسيأتي تخريجه .

(٦)رواه ابن أبي شيبة في المصنف ،باب حرمة البيت وتعظيمه (١٤٠٩٥)٢٦٨/٣.وابن سابط هو عبد الرحمن بن سابط ذكر بعضهم أن له صحبة .ابن حجر:تهذيب التهذيب(٢٧/٤)،وفي الأثر يزيد بن أبي زيد القرشي ضعيف شيعي كبير ينظر ترجمته :المزي ،تهذيب الكمال (١٣٢/٣٢).

وأخرج الأزرقي عن حويطب بن عبد العزى قال: ((كنا جلوسا بفناء الكعبة في الجاهلية فجاءت امرأة إلى البيت تعوذ به من زوجها فمد يده إليها فيبست يده فلقد رأيته في الإسلام وإنه لأشل))[١].

وأخرج الأزرقي [عن ابن جريج][٢] قال:((الحطيم ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر، وكان إساف ونائلة رجل وامرأة دخلا الكعبة فقبلها فيها فمسخا حجرين، فأخرجا من الكعبة فنصب أحدهما: في مكان زمزم، ونصب الآخر: في وجه الكعبة ليعتبرهما الناس، ويزدجروا عن مثل ما ارتكبا، فسمي هذا الموضع بالحطيم، لان الناس كانوا يحطمون هنالك بالإيمان، ويستجاب الدعاء فيه على الظالم، فقل من دعا هنالك على ظالم إلا هلك، وقل من حلف هنالك آثما إلا عجلت عليه العقوبة ،وكان ذلك يحجز بين الناس عن الظلم ويتهيب الناس عن الأيمان هناك حتى جاء الله بالإسلام فأخر الله ذلك لما أراد إلى يوم القيمة))[٣].

وأخرج الأزرقي عن أيوب بن موسى((أن امرأة كانت في الجاهلية معها ابن عم لها صغير تكسب عليه فقالت له: يا بني إني أغيب عنك، وإني أخاف عليك أن يظلمك ظالم، فإن جاءك ظالم بعدي فإن لله بمكة بيتا لا يشبه شيء من البيوت، ولا يقاربه مفسدة وعليه ثياب، فان ظلمك ظالم فعذ به! فإن له ربا يسمعك قال: فجاء رجل فذهب به فاسترقه فلما رأى الغلام البيت عرف الصفة،فترل يشتد حتى تعلق بالبيت ،وجاء سيده فمد يده

---

(١)الأزرقي :أخبار مكة(٢/٢٥)،و الطبراني في الكبير(٣٠٦٨)٣/١٨٥،وأبو نعيم في الحلية .كتر العمال(١٤/٨٤). وفيه مسلم بن خالد ضعفه البخاري وأبو داود،وأبو حاتم وغيرهم .انظر ترجمته :المزي:تهذيب الكمال(٢٧/٥٠٨)وابن حجر: تهذيب التهذيب (١٠/١٢٨).

(٢)سقط من :ب وفي أ [عن ابن جرير]والصواب عن ابن جريج. انظر: أخبار مكة(٢/٢٣).

(٣)الأزرقي :أخبار مكة (٢/٢٣ -٢٤). وفيه مسلم بن خالد ضعيف، وأيضا: إرسال ابن جريج.ولعله من الإسرائيليات التي رواها بن جريج.

إليه ليأخذه فيبست يده، فمد الأخرى فيبست، فاستفتى في الجاهلية، فأفتي لينحر عن كل واحدة من يديه بدنه؛ ففعل فانطلقت يداه، وترك الغلام وخلى سبيله))[1].

وأخرج الأزرقي عن عبد المطلب بن ربيعه بن الحارث قال: ((عدا رجل من كنانة في الجاهلية على ابن عم له[فظلمة][2]واضطهده ،فنشده بالله والرحم فأبى إلا ظلمه فلحق بالحرم فقال: اللهم إني أدعوك دعاء جاهد مضطر! على فلان ابن عمي لترمينه بداء لا دواء له قال: ثم انصرف فيجد ابن عمه قد رمى في بطنه فصار مثل الزق[3] فما زال ينتفخ حتى انشق؛ قال: عبد المطلب فحدثت هذا الحديث ابن عباس –رضي الله عنهما – فقال :أنا رأيت رجلا يعني في البيت دعا على ابن عم له فرأيته يقاد أعمى))[4] .

فلا شك أن مشاهدتهم لهذه الآيات والعبر تورث العلم منهم ذوي النظر ويكفى عن ذلك كله قصة أصحاب الفيل وإرسال الله عليهم طيرا أبابيل ولذلك قال: عبد المطلب "إن للبيت رب يحميه"[5] .

فعرف من هذا أن المراد في الآية نفي العلم عن أكثر أهل مكة وإثباته لبعضهم والله أعلم بكلامه ونستغفره مما لا يرضاه! .وبوضوح الكلام على هذه يظهر قوله تعالى:﴿وَمَا لَهُمْ

---

(١) الأزرقي :أخبار مكة (٢/٢٧٠).وفيه انقطاع وأَيُّوب هو بن موسى بن عَمْرو بن سَعِيد بن العاص بن سَعِيد بن العاص الأموي المكي الإمام، المفتي، الثقة ، أبو موسى، توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة.ترجمته المزي :تهذيب الكمال(٣/٤٩٤)،والذهبي :سيرأعلام النبلاء(٦/١٣٥). وفي سنده أيضا الواقدي وهو متهم .انظر:المزي:تهذيب الكمال (٢٦/١٨٠)، وابن حجر:تهذيب التهذيب(٩/٣٦٣).

(٢) في المخطوطة:[فلطمه].

(٣) الزق: هو الوعاء من الجلد المملوء بالماء ونحوه . لسان العرب(١٠/١٤٣)مادة (زقق).

(٤)الأزرقي:أخبار مكة (١/٢٥).وساق سنده عن الواقدي،وهو متهم ؛ لكنه مؤرخ كبير.

(٥)المصدر السابق(١/ ١٤٤).

أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]فإتيانه بالضمير يظهر مما تقدم، والله أعلم بكلامه، ونستغفره مما لا يرضاه! .

(١)سورة الأنفال آية: ٣٤.

قوله تعالى في الزمر:

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

ضرب الأمثال من الله سبحانه للناس ليفهموا عنه وإنما يضرب المثل للتفهيم فلهذا علله بقوله:﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾،وفي سورة الحشر ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ ،وفي سورة العنكبوت ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾فالعالمون :الذين قال: هنا عمن سواهم﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

فالأمثال ضربت للناس فعقلها منهم العالمون﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فلا يعقلونها، فالضمير في قوله:﴿ أَكْثَرَهُمْ ﴾ يعود إلى الناس الذين ضربت لهم الأمثال وقد أوضحتها آية العنكبوت ،وفي سورة الروم﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ فهؤلاء هم الأكثر الذين قال منهم بل أكثرهم لا يعلمون لذا قال بعدها: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

وأما قوله:﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ فاعلم أن الأمثال تختلف فتارة تكون بالتمثيل لشيء بشيء محسوس لمشابهة، وتارة تكون بذكر قصة تحذيرا لمن له بمثلها مشابهة ،أو ترغيبا؛ وتلك

القصة إما أن تكون واقعة كقصص القران، وغيروا واقعة كما في مثل كليلة ودمنة[1] ونحوها، وتارة تكون بإرسال مثل ،وقد تكون بغير ذلك.

ومن تدبر القرآن وجده كله أمثالا وعلى كل حال فللمثل خبرة بمسالك الإفهام ،وعلم بتسليك الأفهام ،وربما ذكر في القرآن لفظ ضرب المثل تارة ،وتركه أخرى، وقدم ذكره على المثل مرة وآخرة أخرى، لنكتة يعرفها المتدبر فمن ذلك قوله تعالى :﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ ﴾[2]فذكر ضرب المثل قبل الإتيان به وفي قوله:﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾[3] فاخر ذكر ضرب المثل، وتارة يذكر المثل بدون الضرب كقـولة: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾[4]﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾[5] ، وفي بعـض الآيـات يضـيف ضرب المثل إلى نفسه﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾ ،وآونـة يأمر نبيه- صـلى الله عـليه والـه وسلم- بضـرب المثـل ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾[6]

---

(١) هو كتاب فيه حكم وآداب صنعه ابن المقفع وعزاه إلى الهند ،وقيل: أنه عربه من الفارسية إلى العربية أصله من كتب الهندوس. انظر: القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، أخبار العلماء بأخيار الحكماء (ص:١٧٠) تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط١ ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م والصفدي:الوافي بالوفيات(١٤٢/١٧)،والذهبي:سير أعلام النبلاء ١٠٩/٦.والكتاب مطبوع ووجدت نسخة منه نشر المكتبة الأميرية ببولاق – القاهرة، ١٩٣٧الطبعة: السابعة عشرة ١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦ م عدد الأجزاء: ١.

(٢)سورة يس، آية:١٣ .

(٣)سورة الحشر، آية: ٢١.

(٤)سورة الرعد، آية: ٣٥.

(٥)سورة يونس،آية:٢٤.

(٦)سورة الكهف،آية: ٥٤.

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾[1] [وتارة يأتي مغيرا للصيغــة﴿ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾[2] وكثيرا ما يأتي بدون ذكر الضرب والمثل كما في القصص الخالية عن ذكر ذلك فإنها ضرب أمثال نبه عليها بذكر ذلك في أمثالها نحــو: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ﴾[3] ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾] [4] ومن كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد عرف أن قصص القرآن كلها ضرب أمثال.

فإياك! أن تظن أن المراد بها معرفة ما كان في ماضي الزمان كالتواريخ، فإذا فهمت ذلك فانتبه! لكل حذف وإضمار وإدماج وإيجاز وإطناب، مما تضمنته تلك القصة، ولما اشتغل غالب المفسرين بما لا ينفع قصروا عن إبانة ما ينفع.

لكن طالب علم كتاب الله ليس له أن يقتصر على ما زبروه[5]،ولا أن يقبل كلما قرروه، مثاله:في قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة، فإنه نهاه أن يقرب الشجرة فاشتغل جل المفسرين بالشجرة ما هي؟[فقائل] هي الحنطة، [وقائل] هي العنب،[وقائل][6] هي كذا، وما كان لهم أن يتكلموا عليها بشيء ،لأن حذف اسمها فائدة حرموها ،واشتغلوا بالذي لا صلة لهم فيه ولا عائدة، لو كان لنا فائدة في معرفة اسمها لقصه الله سبحانه علينا ﴿ مَّا

---

(١) سورة الكهف، آية:٣٢ .

(٢) سورة الحج،آية:٧٣.

(٣) سورة يس،آية: ١٣.

(٤)مابين المعكوفين سقط من (ب) والآيات سبق تخريجها.

(٥) زبروه :كتبوه ،وقد سبق في ص ٦٠.

(٦)في ب:[فقايل،وقايل،وقايل] .

﴿فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[1]فحيث لم يسمها لنا علمنا أن علمنا باسمها ليس من العلم النافع ،ونعوذ بالله من علم لا ينفع! ؛ والمراد من ذكر الشجرة مع عدم ذكر اسمها ضرب المثل بالنهي عن الحرص على ما يغر حسن ظاهره، وأن تنتهي عن كل ما نهينا عنه، فلا تقربه فضلا عن أن نفعله ،ولو سماها لكان التحذير عن قرب شجرة معلومة، وقد سماها في سورة طه في قول الشيطان: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾[2]وسيأتي قريبا نكتة ذلك.

ثم قال: في سورة البقرة:﴿وَكُلَا﴾[3] وفي الأعراف:﴿فَكُلَا﴾[4] ومن نكتة ذلك أن آية البقرة حكاية [لهذا][5] قبله﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[6] ،وفي الأعراف أمر لهذا قبله ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾[7] والمقصود في البقرة تعداد النعم ،كما يدل عليه السياق من قوله:﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[8] فتدبر!.

---

(١)سورة الأنعام، آية: ٣٨.

(٢) سورة طه،آية: ١٢٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٣٥.

(٤) سورة الأعراف ،آية: ١٩.

(٥)في أ:[فهذا].

(٦) سورة البقرة، آية: ٣٥.

(٧) سورة الأعراف ،آية: ١٩

(٨) سورة البقرة، آية: ٢١.

فالقصة :ضرب مثل للمتقين الذين تقدم ذكرهم في أول السورة، وهم المنعم عليهم الذين سلف ذكرهم في الفاتحة فهم مثل آدم من شانهم التوبة والرجوع إلى الله تعالى إذا حصل منهم تقصيرا وذنب، وهي بضرب مثل للذين كفروا والمنافقين الذين ذكرهم بعد ذكر المتقين وهم المذكورين في الفاتحة بالمغضوب عليهم والضالين ،فهم مثل إبليس أبى واستكبر وأصر على ما أضمر فيها براعة استهلال ،وضـــرب مثل لما كـــان من أمر القبلة، وأن الذين لم يرضوا قبلته –صلى الله عليه وسلم ؛وحتى أنهم سيقولون:﴿مَا وَلَّـٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ﴾[1] التي كانوا عليها مثل إبليس إذ أبى أن يسجد إلى القبلة التي أمر بالسجود إليها وإن مثل الذين ثبتوا مع رسول الله –صلى الله عليه واله وسلم– على القبلة مثل الملائكة عليهم السلام لما أمرهم الله بالسجود لآدم سجدوا.

وفيها أيضا ضرب المثل لنبي إسرائيل بإبليس إذ لم ينفعه علمه لما عصى وأصر ولإحياء الموتى الذي أورد كثيرا منه في السورة[2] بخلق آدم من تراب والإيمان بالغيب في قول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾إلى آخره[3] .

وفيها أيضا ضرب المثل بالملائكة لإقامة الصلاة في سجودهم لآدم عليه السلام ،وفيها أيضا ضرب [المثل][4]للإنفاق مما رزق الله سبحانه بتعليم آدم الملائكة للأسماء التي رزقه الله تعالى علمها ،وفيها أيضا ضرب مثل بأن بذل العلم أفضل من بذل المال، وفيها أيضا

---

(١)سورة البقرة، آية: ١٤١.

(٢)يشر إلى ما ورد من ذكر قصة بني إسرائيل حين أخذتهم الصعقة، وقصة البقرة ،والملإ من بني إسرائيل الذين أماتهم ثم أحياهم ،وقصة عزير الذي أماته مائة عام ثم بعثه، وقصة إبراهيم مع النمرود والطير وغير ذلك.

(٣)انظر سورة البقرة من آية:٣٠إلى ٣٤.

(٤)في ب: [مثل].

ضرب المثل للإيمان بما أنزل على محمد –صلى الله عليه وسلم –، وما أنزل من قبله بقولـــه:﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ﴾ وما أنزل من قبله بقوله:﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾[٥].

فقد أخرج الطبراني، والحاكـــم، وأبو نعيم، والبيهـــقي، وابن عساكر عن عمر– رضي الله عنه– ((قال: قال: رسول الله– صلى الله عليه واله وسلم– لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه قال: أسالك بمحمد –صلى الله عليه واله وسلم– إلا غفرت لي! فأوحى الله تعالى إليه، ومن محمد؟ قال :تبارك اسمك! لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحد أعظـــم عندك قدرا ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه يا آدم! إنه آخر النبيين من ذريتك ؛ ولـــولا هـــو مـــا خلقتك))[١] .

وفيها أيضـــا ضـــرب المثل للإيقان بالآخرة بقولـــه:﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٣] ولا يحيط بمعاني كتاب الله معقول ، ولا يأتي عليها منقول وإنما يكفي العد قطرة من بحاره ،ونقطة من زخار تياره ، وبالجملة فقصة آدم عليه السلام ، فيها براعة استهلال لكل ما ورد في السورة من القصص والأحكام، بل لكل ما في القرآن لمن تدبر! ذلك من ذوي الإتقان لأنها أول قصة قصها الله تعالى في كتابة؛ وخلق آدم هو براعـــة

---

(١) سورة البقرة آية:٣٧.

(٢)(موضوع) وسبق تخريجه (ص:٥٨).

(٣)سورة البقرة:آية ٣٨،٣٩.

استهلال القرآن الصوري ، ولكن لابد من اعتبار حسن للسياق فله مراعاة يعرفها أهل البلاغة ، فسياق القصة في تعداد النعم كما يظهر ذلك للمتدبر!، فكان قوله: ﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ﴾[١] نعمة، وقوله: ﴿ وَكُلَا ﴾[٢] نعمة أخرى لذلك زاد فيها﴿ رَغَدًا ﴾[٣] .

وأما في الأعراف فإن تعلق الأمر الثاني بالأول، تعلق الجواب بالابتداء، فوجب العطف بالفاء التي تفيد السرعة ، وفرق بين قولك: ادخل وكل، وقولك: ادخل فكل ، فالأول: يدل على أمرين يجوز أن يكون بينهما مهلة ؛

والثاني: أمر بشيئين لا مهلة بينهما، وقوله: في البقرة ﴿ وَكُلَا ﴾ منها فإنه يدل على إباحة أكل الشيء في مكانه أو في غير مكانه.

وفي الأعراف:﴿ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا ﴾[٤]ولم يقل منها يدل على إباحة أكل الشيء في مكانه، لأن ما في سورة الأعراف القصة مسوقة ضرب مثل للشكر ، ولذا قبلها﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾[٥]ثم قال ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ ﴾[٦]وقـــال: عن إبليس في

---

(١) سورة البقرة،آية: ٣٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٣٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ٣٥.

(٤) آية: ١٩.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٠.

(٦) سورة الأعراف، آية :١١.

أثنائها ثم ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[1] فلما كانت ضرب مثل للشكر وكان الإنسان قاصرا عن شكر أيسر نعمة ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[2] كان اختصار تعداد النعم إشارة إلى ذلك ،وان العبد لا يقدر على شكر اليسير من النعم فكيف والنعم عظيمة لا يأتي عليها التعداد والله أعلم بكلامه! ونستغفره ونتوب إليه مما لا يرضاه! .

ولما كان الغرض في البقرة من تعداد النعم طوى الكلام بعد قوله: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ ...الآية[3] فقال:﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴾[4] ولم يذكر وسوسته لهما والمقاسمة ، وظهور السوءة كما في الأعراف لأنه في البقرة في تعداد النعم ، وليس ذلك منها وتحذير أمر كفر النعمة وأن نقرب الشجرة فلا نكون بأسرع من زوال النعمة ، وحلول النقمة لذا قال :﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴾

ونبه! أن الحرص وكفر النعمة يورثان السقوط والعداوة والهبوط بقوله:﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[5]أي حين موافاة المستودع

()سورة الأعراف، آية: ١٧.

(٢)سورة إبراهيم، آية: ٣٤.

(٣)سورة البقرة، آية: ٣٥.

(٤)سورة البقرة، آية:٣٦ .

(٥) سورة البقرة آية : ٣٦.

مثل قوله تعـــالى:﴿ وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَا ﴾ [1]وإيضاح ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴾[2]؛

ثم نبه !من كفر النعمة على التوبة والإقلاع عن الحوبة بقوله: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3]و لم [يبين][4] أن الكلمـــات هنا إشارة إلى أن كل ما تلقيته من ربك واعتصمت به عند التوبة فإنه موجب، ولو بينـــها عند التوبـــة عند التوبة فإنه موجب، ولو بينها كما في الأعراف لتوهم أنه لا يقبل التوبة إلا ممـــن قـــال: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا ﴾.. الآية[5] فما في البقرة بتعداد النعم أمس وما في الأعراف بتعليم الشكر.

وقوله:﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[6] بزيادة هو إشارة إلى أنه سبحانه سارع إلى من رجع إليه من عبيده فالعبـــد ، وإن كـــان توابا كمـــا في قولـــه تعـــالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾[7] ،لكن ليس التواب على الحقيقة سوى الله تعالى، ويبين هذه الآية وأمثالهـــا

---

(١)سورة هود، آية: ٦ .

(٢)سورة الأعراف ،آية:٢٥ .

(٣)سورة البقرة، آية: ٣٧.

(٤)في ب:[بين] وهوتصحيف.

(٥)سورة الأعراف،آية:٢٣.

(٦)سورة البقرة، آية:٣٧.

(٧)سورة البقرة، آية:٢٢٢.

حديث ((من تقرب إلي شبر تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة))[1] فتدبره !.

وقوله: في أول الآيات ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾[2] ثم قـــال: بعد ذلك ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾[3] فالأمر الأول بالهبوط قبل التوبة لذا قال: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ﴾[4] فعطف بالواو، فلما تبين لآدم بهذا الأمر بالهبوط أنه قد عصى ندم على ما كان منه ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[5] ، أي فلمـــا تاب وقبلنا توبته ، وأردنا اختباره ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾[6] الآية فكان الأمر أولا بالهبوط عقوبة له.

---

(١) رواه البخاري في التوحيد، باب ويحذركم الله نفسه (٧٤٠٥) ١٢٧٣عن أبي هريرة . ومسلم باب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى رقم (٢٦٧٥)١١٦٩،عن أبي هريرة ،وعن أبي ذر برقم (٢٦٨٧) ،والترمذي في الدعوات، باب حسن الظن بالله رقم (٣٠٦٣)٨١٨ .و أخرجه أحمد وفي ٤١٣/٢ (٩٣٤٠) و٥٣٤/٢ (١٠٩٢٢) ،والنَّسائي في الكبرى،باب قوله تعالى: تعلم ما في نفسي ولا أعـــلم ما في نفسك (٧٧٣٠)٤/ ٤١٢، وابن حِبَّان،باب ذكر الإخبار بأن مغفرة الله جل وعلا تكون أقرب إلى المطيع من تقربه بالطاعة إلى الباري جل وعلا (٣٧٦)١٠٠/٢،كلهم عن أبي هريرة. (٣٦٠٣). وابن ماجه،باب فضل العمل(٣٨٢١) ١٢٥٥/٢ عن أبي ذر، و(٣٨٢٢)عن أبي هريرة. وأخرجه أيضا أحمد والبزار عن أبي سعيد ،ورواه أحمد والطبراني عن أبي ذر انظر:مجمع الزوائد(١٩٧/١٠،١٩٦).ورواه البغوي وابن السكن وأبو نعيم في المعرفة عن أبي زياد الغفاري وما له غيره، وأبو نعيم في الحلية والحسن بن سفيان عن أبي ذر الغفاري. انظر:الهندي: كتر العمال في سنن الأقوال والأعمال(١٢٩/١).

(٢) سورة البقرة، آية:٣٦ .

(٣) سورة البقرة، آية:٣٨ .

(٤) سورة البقرة، آية:٣٦ .

(٥) سورة البقرة، آية:٣٧ .

(٦) سورة البقرة، آية:٣٨ .

فلما حصلت منه التوبة ارتفعت العقوبة،وأمر بالهبوط إلى دار التكليف لتحصيل المثوبة لـــذا قـــال: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1]،وعبر بقولـــه: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾مع سياقه للنعم ليعم كفران النعمة .

فكان آدم ، وحواء مثالا لمن تبع الهدى ، والشيطان مثلا لمن كفر وكذب بآيات الله وفي هذا دلالة أنه لابد أن نختبر [التائب][2]، حتى يظهر صدق توبته من عدمها فمن تاب توبة نصوحا ، فهو صاحب المتجر الرابح .

واعلم! أنه لم يتكرر ذكر الأمر بالهبوط قبل التوبة وبعدها إلا في سورة البقرة ؛لأن السياق في تعداد النعم كما عرفت ، فعدد علينا من النعم أنه قد كان أمر أبانا بالهبوط عقوبة له على مخالفة أمره فتلقى الكلمات فتاب عليه وأمره بالهبوط اختبارا لا عقوبة ؛ وهكذا يذكر في كل قصة ما يناسب السياق من ضرب الأمثال لمن تدبر ذلك !.

وذكر قولـــه:﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾بعـــد الأمر بالهبوط في سورة الـــبقرة ؛ ليعد نعمـــة الإتيان بالهـــدى ،وليضرب المثـــل لما تقـــدم في أول الســـورة، في قولـــه: ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾[3]﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[4]

---

(١) سورة البقرة،آية: ٣٨،٣٩.

(٢)في ب:[التايب].

(٣)سورة البقرة، آية: ٣٨.

(٤)سورة البقرة ،آية: ٢.

(٥)سورة البقرة آية: ٥.

المذكور في الفاتحة بقولة:﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ ،وفي سورة طه ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾[1]؛لأن القصة مسوقة فيها ضرب فيها مثل للعلم وشرفه ،وأنه ينبغي لطالب العلم أن يتنزه عن النسيان، الذي هو على التحقيق بلاذر النسيان ، وذلك واضح لمتدبره!؛

فإنه لما قال: ﴿ رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾[2] ضرب المثل بآدم وإبليس ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ ﴾[3] فهذا تحريض لطالب العلم على عدم النسيان ، وقوله:﴿ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴾[4] فهو أمر لطالب العلم بصحة العزيمة .

ثم ذكر سجود الملائكة لآدم –عليه السلام ــ ،وطوى عن ذكر تعليمه الأسماء اكتفاء بما يلزم من قوله: ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ ﴾[5] ؛ولأن السياق في العلم وسجود الملائكة هو وضع أجنحتها [6] كما بينه حديث((الملائكة لتضع أجنحتها

(١) آية:١٢٣.

(٢)سورة طه آية:١١٤.

(٣)سورة طه ،آية:١١٥.

(٤)نفس الآية.

(٥)نفس الآية.

(٦)وفي صفة سجودهم لآدم أقوال: أحدها :أنه على صفة سجود الصلاة ورجحه ابن الجوزي، والثاني: أنه الانحناء والميل المساوي للركوع ؛ وقيل: كان هذا سجود تحية وسلام وإكرام ،وقد كان هذا مشروعا في الأمم الماضية ولكنه نسخ في ملتنا ورجحه الرازي وابن كثير وقال: بعضهم بل كانت السجدة لله وآدم قبلة.وما ذكره المؤلف غريب! انظر: زاد المسير(١/٦٤)وتفسير ابن كثير(١/٦٦).

لطـــالب العلم رضا بما يصنع))[1] .

فمن تأمل! الآيات التي فيها أمر الملائكة بالسجود لآدم، وهذا الحديث مع علمه بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]عرف أن المراد بسجود الملائكة لأدم هو وضع أجنحتها ثم قال: في سورة طه ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾ وفي البقرة﴿ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ لأنه لما كان في البقرة في تعداد النعم عدد من النعم كون ترك سجوده لأبيك استكبارا وكفرا ثم قال: في سورة طه ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ فأمر طالب العلم أن يستحضر عداوة إبليس ليبقى في جنة علمه ، وسعادته وضرب له المثل بما كان منه مع أبيه .

---

(١)رواه الترمذي كتاب العلم،باب فضل الفقه (٢٦٨٦)٦٤٠، وأبو داود كتاب العلم (٣٦٤١)٣/٣٧١،وابن ماجة(٢٢٣)١/٨١،وأحمد في المسند(٢١٧٦٢)٥/١٦٩ ،وابن حبان باب ذكر العلماء(٨٨) ١/١٨٩ والبيهقي في الشعب (١٦٧٩)/٢٦٢،والدرامي (٣٤٢)١/١١٠، وابن أبي شيبة في المصنف (٤٧)١/٥٥ كلهم عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

ورواه أحمد في "المسند" (١٨١١٨)٤ / ٢٣٩ ، والترمذي كتاب الدعوات ،باب التوبة والاستغفار(٣٥٣٥)٨٠٢، والنسائي في الكبرى كتاب العلم (١٣٢)١/١٩٢ ، وابن ماجةفي سننه (٢٢٦)١/٨٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى(١١٢٥)١/١٧٦،والدار قطني(١٥)١/١٩٦ والدرامي (٣٥٧)١/١١٣،وعبد الرزاق في "المصنف" ١ / ٢٠٤ (رقم : ٧٩٣ ، ٧٩٥) ، وابن حبان في صحيحه برقم (١٣١٩،١١٠٠،٨٥،١٣٢١)،والحاكم في المستدرك(٣٤١)١/١٦٩،والطبراني في "الكبير" (٧٣٦٠) ٨ / ٥٩ ،"والأوسط" (٩٤١٤)٩/ ١٥٩ ،والطيالسي (١١٦٥)،وابن أبي شيبة (٨٩٧)٢/٣٣٧، وسعيد ابن منصور كما عزاه الهندي :كنز العمال (١٠/١١٣) عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه.

والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٩٥٦)،(٦٢٩٧).

(٢)سورة النحل، آية: ٤٤.

وقوله: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾[1] ضرب مثل للعالم أنه إن عمل بعلمه ، ووفى بعهده كان كذلك لا يجوع ولا يعرى ولا يظمأ ولا يضحى، وإن عمى وغوى فبالعكس من ذلك لذا قال: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾[2] ،ويفسر هذه التسمية قولـــه: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾[3]وقوله: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ قال: ﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾[4] فتدبر! لفظ اشتقاق أخلد ، ولفظ الخلد في شجرة الخلد وتأمل !كون القصتين فيما يتعلق بالعلم والعلماء تعرف سرا عظيما من أسرار، قوله هنا: ﴿ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾،وقوله: ﴿ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾[5] وذلك لمحبة خلود ذكره فحذره من ذلك، وضرب له الأمثال، وليـــس منه ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾[6] فتفهم ! وتدبر! لتعلم ولا تعجل ، وقـــال : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾[7]فذكر العري مما تقدم وطوى بقيتها ؛

---

(١)سورة طه،آية:١٢٠.

(٢)سورة طه، آية: ١٢٠.

(٣)سورة الأعراف، آية:٢٢.

(٤)سورة الأعراف،آية:١٧٦,١٧٥ .

(٥)سورة طه، آية:١٢١.

(٦)سورة الشعراء، آية:٨٤.

(٧)سورة، طه،آية:١٢١.

وفي ذكره توبة آدم –عليه السلام–بقوله:﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾[1] ،وهذا تحريض على التوبة ،وقوله﴿وَهَدَىٰ﴾ و لم يقل وهداه ليكون المعنى على وهداه ، وهدا به كقوله تعالى:﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨﴾[2] فالمعنى فيه فآوى بك، فهدى بك، فأغنى بك أبلغ أحسن ![3]، ونستغفر الله مما لا يرضاه !.

ثم قال: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾[4] فقال: اهبطا و لم يقل: اهبطوا والخطاب لآدم وزوجته ، وقوله:﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍۖ﴾ بعضكم لبعض بالجمع ، إشارة إلى بني آدم لأنه قال أولا عن إبليس:﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾[5] إنه عدو لك ولزوجك فلم يعد ذكر عداوة إبليس اكتفاء بما سلف ، وفيه نكتة الإشارة إلى العداوة بين العلماء ، وأنه ينبغي أن يتجنبوا ذلك ، ثم حرض على اتباع هداه وعدم نسيان عهده بقوله:﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾[6] فقال:اتبع ،افتعل المناسب لحال العالم في ثانيه وتأمله،وتدبره للهدى ودلالته

---

(١) سورة طه،آية:١٢٢.

(٢)سورة الضحى.

(٣)وممن قال هذا القول السلمي: أبو عبد الرحمن: محمد بن الحسين بن موسى الأزدي في تفسيره حقائق التفسير(٢/٤٠١) تحقيق: سيد عمران.وهو تفسير إشاري بعيد عن المراد والظاهر، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، ط٢.

(٤)سورة الأعراف، آية: ٢٤.

(٥)سورة طه، آية:١١٧.

(٦)سورة البقرة آية:٣٨.

وفي البقرة قال: ﴿تَبِعَ هُدَايَ﴾[1] ،ثم قال:﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[2] فنفى عنه الضلال ، والشقاء الذي نفيهما أنسب بحال العالم ، وأولى ببراعة استهلال السورة في قوله: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾وفي البقرة نفى عنه الخوف ، والحزن الذي نفيهما أولى بحال المنعم عليه .

ثم ذكر القسم الثاني: وهو من علم و لم يعمل وهو قوله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[3] يفسرها قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[4] فالمعيشة الضنك في الدنيا ،والعمى في الآخرة وإن حسبت من أعرض عن ذكر الله في سعة من دنيا ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾[5].

وبقي قسم ثالث: وهو الذي لم يعلم و لم يعمل فقال فيه: وكذلك أي مثل ذلك الجزاء ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ ﴾[6] وهذا مثل قوله: في الأعراف بعد قوله:﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا ﴾ ...إلى آخرها[7] ،

---

(١)سورة البقرة، آية: ٣٨.

(٢) سورة طه آية: ١٢٣.

(٣)نفس السورة،آية: ١٢٤.

(٤)سورة الإسراء ،آية:٧٢.

(٥)سورة التوبة،آية: ٥٥.

(٦)سورة طه، آية: ١٢٧.

(٧) سورة الأعراف،آية:١٧٥.

ثم قال ذلك:﴿ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾[(١)]فأوضح لنا أن حال العالم الذي لم يعمل بعلمه كحال الجاهل المكذب بآيات ربه وانه لا ينفعه العلم أبدا بدون عمل فكل [هذه][(٢)]ضرب أمثال يستدل بها اللبيب على ما ورائها ولو أطلقنا للقلم الرسن[(٣)] لشاب رأس المداد قبل أن نبلغ المراد، وفوق كل ذي علم عليم وأسرار كتاب الله لا يحيط بها إلا الحكيم العليم! .

وقال: الشيخ أبو الحسن الحرالي -رحمه الله تعالى- في الكلام على ضرب الأمثال ووجه إنزاله [تفهيم] [(٤)] ما غمض من المغيبات بضرب مثل من المشهودات ولما كان للأمر تنزلات وللخلق تطورات ،كان الأظهر منها مثلا لما هو دونه في الظهور، وكلما ظهر ممثول صار مثلا لما أخفى[هو][(٥)] منه، فكان لذلك أمثالا عددا منها إلى أن تنتهي الأمثال إلى غاية محسوس أو معلوم، فتكون تلك الغاية مثالا أعلى كالسموات والأرض فيما يحس ،والعرش والكرسي فيما يعلم، ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[(٦)] ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾[(٧)].

---

(١)سورة الأعراف، آية: ١٧٦.

(٢)في ب:[هذا].

(٣)الرسن: هو الحبل.لسان العرب(١٨٠/١٣) مادة (رسن).

(٤)في ب[تفهم] وهو في تفسير الحرالي كما أثبته .انظر:(ص:٨٨،٨٧).

(٥)سقط من :ب.

(٦)سورة الروم، آية: ٢٧.

(٧)سورة غافر، آية: ٦.

وله المثل الأعلى لإحاطته اسم الحمد﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1]وأحمده أنهاه، وأدناه إلى الله تعالى بحيث لا يكون بينه وبين الله واسطة ؛ فلذلك استحق أكمل الخلق وأجمعه الاختصاص بالحمد، فكان أكمل [الأمور][2]بسورة الحمد ،وكان أكمل الخلق [صورة][3] محمد -صلى الله عليه واله وسلم -((كان خلقه القرآن))[4]﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[5].

ودون المثل الأعلى الجامع [الأمثال][6] العلية المفصلة منه﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾[7] ولإحاطة أمر الله، وكماله في كل شي يصح أن يضربه مثلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[8]﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾[9].

---

(١) سورة الروم، آية: ١٨.

(٢)سقط من :ب وفي (أ)[الأمر]وصححته من تفسير الحرالي.

(٣)في ب:[سورة]وهو تصحيف.

(٤) هو جزء من حديث طويل عن عائشة -رضي الله عنها- ،أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها ،باب جامع صلاة الليل رقم (٧٤٦) ص٣٠١،وأحمد في المسند (٢٤٦٥٤)٩١/٦،والبيهقي في الشعب(١٤٢٨)١٥٤/٢،و في دلائل النبوة ١٠٩/١،والطبراني في الأوسط (٧٢)٣٠/١ ،وعزاه السيوطي إلى البخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن المنذر والحاكم. الدر المنثور(٨٢/٦).

(٥)سورة الحجر، آية: ٨٧.

(٦)في المخطوطة [للإمثال].

(٧) سورة الروم،آية:٢٨

(٨)سورة البقرة، آية:٢٦.

(٩) سورة العنكبوت، آية: ٤١.

وللمثل حكم من ممثوله ،[وإن][1] كان حسنا حسن مثله ،وان كان سيئا ساء مثله، ولما كان أعلى الأمثال الحمد ،كان أول الفاتحة الحمد، ولما كان أخفي أمر الخلق النفاق كان أول مثل في الترتيب مثل [المنافق][2]،وهو أدنى مثل لما خفي من أمر الخلق ،كما أن الحمد أعلى مثل لما غاب من الحـــق، وبين الحدين أمثـــال حسنة وسيئة ،﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[3]الآيتين﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾[4] ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾[5]الآيتين ، وبقدر علو المثل أو دنوه أو توسطه يتزايد للمؤمـــن الإيمان ، وللعالم العلم ، وللفاهم الفهم، وبأضـــداد ذلك لمن اتصف بأضداد تلك الأوصـــاف ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾[6]ومعرفة أمثال القرآن المعرفة إحاطة ممثولاتها ، وعلم آياته المعلمة اختصاص معلوماتها ،وهو حظ العقل واللب، وحرفه من القرآن ، ولكل حرف اختصاص بحظ من تدرك الإنسان وإعمال القلوب ، والأنفس ، والأبدان، فمن يسر له القرآن ،والعمل بحرف منه اكتفى ،ومن جمع قراءة جميع أحرفه علما وعملا ،فقد تم ووفى وبذلك يكون القارئ

(١)في المحطوطة[إن]بحذف الواو وضبتها كما في الأصل.

(٢)في المخطوطة[النفاق] وفي الأصل المحقق[المنافق].

(٣)سورة الرعد، آية: ٣٥.

(٤)سورة الجمعة، آية: ٥.

(٥)سورة الأعراف، آية:١٧٦.

(٦)سورة البقرة، آية: ٢٦.

من القراء الذين قال: فيهم رسول الله_ صلى الله عليه واله وسلم ((إنهم أعز من الكبريت الأحمر))[1] يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم[2] .

ثم قال: فيما به تحصل قراءة هذا الحرف انتفاع ثلاثة للتخلص والتخلي، وثلاثة للعمل والتحلي ؛لأن ترك الحرام طهرة البدن ، وترك النهي طهرة للنفس ، وترك التعرض للمتشابهة طهرة للقلب ؛ ولأن تناول الحلال زكاة البدن ،وطاعة الأمر زكاة النفس، وتحقق العبودية بمقتضى حرف المحكم نور القلب .

وأما قراءة حرف الامتثال فهو وفاء العبادة بالقلب، جمعا ودواما﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ ﴾[3] ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴾[4] فالذي يحصل[به][5] من قراءة هذا الحرف إنما هو خاص بالقلب؛ لأن أعمال الجوارح وأحوال النفس قد استوفتها الأحرف الستة التفصيلية[4].

---

(١)(موضوع) وقد سبق تخريجه (ص:٥٨) وفي الباب أحاديث أخرى صحيحة بما فيها الكفاية عن الاستشهاد بهذا الأثر الموضوع منها: حديث عمر رضي الله عنه قال: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال : ((إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)) .رواه مسلم (٩٢٦) وحديث عثمان رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)). رواه البخاري(٥٠٢٧) وعن أنس بن مالك –رضي الله عنه- ((إن لله تعالى أهلين من الناس ،قالوا من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)) رواه أحمد النسائي ابن ماجه والحاكم والطيالسي.انظر: الألباني:صحيح الجامع رقم (٢١٦٥).

(٢)انظر:تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ص ٨٧،٨٨،٨٩.

(٣)سورة النحل، آية:٥٢.

(٤)سورة المعارج،آية: ٢٣.

(٥)سقط من المخطوطة.

والذي [يخص][1] القلب بقراءة هذا الحرف هو المعرفة التامة المحيطة بأن كل الخلق دقيقة وجليلة ،خلق الله وحدة ،لا شريك له في شيء منه ، وأنه جميعه مثل [لكلية][2] أمر الله القائم بكلية ذلك الخلق ،وان كلية ذلك الأمر الذي هو ممثول لمثل الخلق هو مثل الله تعالى.﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ ﴾[3] وأن تفاصيل ذلك الخلق المحيطات أمثال لقيامها من تفاصيل ذلك الأمر المحيطات بها، وأن تفاصيل الأمر المحيطات أمثال لأسماء الله تعالى الحسنى ،بما هي محيطة، ولجمع هذا لحرف لم يصح إنزاله إلا على الخلق الجامع الآدمي، الذي هو صفوة الله وفطرته، وعلى سيد الآدميين محمد خاتم النبيين، وهو خاصته وخاصة آله ، وعنه كمل الدين بالإحسان، وصفا العلم بالإيقان، وشوهد في الوقت الحاضر ما بين حدي الأزل الماضي، والأبد الغابر، وعن تمام اليقين والإحسان ،تحقق الفناء لكل فان، ويبقى وجه رب محمد ذو الجلال والإكرام ، وكان هذا الحرف بما اسمه الحمد لله لكل شيء بدء وختام [4]. انتهى .

وقد طال الكلام بنا في ضرب الأمثال على أنه موجز غاية الإيجاز، فلو أردنا تفصيل الكلام وتحصيل المرام لكلت أسنة ألسنة الأقلام، ولكن اللبيب يعرف التفصيل في الجملة ، ويقيس على المثل مثله .

ولنرجع نبين المثل المضروب هنا فنقول:﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩ ﴾

---

(١) في أ:[يحصل] وضبطه كما في الأصل .

(٢)في ب:[بكلية].

(٣)سورة النحل، آية: ٦٠.

(٤)تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير(ص:١١٦).

هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد، فالمشرك كرجل أعطى قيادة جماعة متنازعين ، متشاحنين سيء الخلق ،لا يقدر على رضاهم ،ولا يستطيع القيام بتحصيل مناهم ،فإن رضي عنه واحد سخط الآخرون ، وأن قضى ما لفرد منهم طلبه الباقون، فهو مشتت الفكر، مقسم العزيمة، منكسر القلب، متعب لأعضائه في الطاعة من لا يحمده على فعل،ولا يثيبه على جميل ،ولا يشكره على خدمة ؛

ومثل الموحد كرجل سلم لرجل فهمه واحد، ومطلبه واحد، قد عرف ما يريده منه سيده ،فهو يفعل ما أمره به راجيا فضله وبره، محمودا على طاعته مجزيا على عمله ، ثم قال:﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾مثلا منصوب على التميز ، ثم قال:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ المعبود بحق ،المنعم على عباده الواحد الذي لا شريك له ، وإذا كان الحمد لله فهو الإله الحق ، ثم أضرب عن ضرب المثل بقوله:﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ إن هذه صفتهم.

فالذي لا يعلم هو المكذب الذي أهمل النظر، والذي يعلم ولا يعمل هو الجاحد، فقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾مبين لذلك، ومثله في سورة النحل ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] فالضـــمير يعود إلى مـــن ضرب له المثـــل ،ومثـــله في سورة لقمـــان:﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2]أي المسئولـــون وفي

(١)آية:٧٥.

(٢)آية:٢٥.

العنكبوت﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾، وفي النمل ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ،ومثله في سورة الأنبياء:﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[1] أي: أن المطلوب منهم البرهان، ومن عرف أنهم قسم جاحد، وقسم جاهل، أهمل نفسه ولم ينظر، عرف في كثير من الآيات نفي العلم عن الأكثر والله أعلم بكلامه! ونستغفره مما لا يرضاه! .

(١)آية:٦٣.

(٢)آية:٦١.

(١) آية:٢٤

في سورة الزمر قوله تعالى:﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

وإنما تضمر الآية بما قبلها من قوله:﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾(1) أي ما لهم من دونه من ولي ولا شفيع ، ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾(2) ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾(3) ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾(4) قل: يا سيد الشفعاء يا من يقال: له ارفع رأسك ، وقل: تسمع ،واشفع يطاع، قل: يا سيد الشفعاء يا من يقال: له ارفع رأسك ، وقل تسمع واشفع تشفع ﴿ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾(5) أي يشفعون لكم .

ولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون، لما كانت الشفاعة ،لا تكون إلا بشرطين: الأول: أن يكون المشفوع له مرتضى لله ،فيملك الله سبحانه من شاء أن يشفع له .

والثاني: الإذن من الله تعالى للشفيع، ولا يكون الإذن إلا لمن يعقل، فنفى عن هؤلاء الذين يقولون المشركون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الملك لشيء ،وإذا كانوا لا يملكون شيئا فكيف يملكون الشفاعة ،وإذا كانوا لا يعقلون شيئا فكيف يعقلون الإذن في الشفاعة ؛

---

(1)سورة الزمر، آية :٤٣.

(2)سورة الأنبياء،آية: ٢٨.

(3)سورة البقرة ،آية: ٢٥٥.

(4)سورة غافر، آية: ١٨.

(5)سورة الزمر ،آية:٤٣.

ولذا قال في آية أخرى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[1] وقـــال: هنا قل! يا من أهلتك! ﴿ لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[2] ﴿ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[3] ﴿ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[4] ﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾[5] ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ ﴾[6] كقوله :و﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾[7] ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾[7] المقـــول عنهم: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾[8] ﴿ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾[9] .

---

(١)سورة يونس ،آية: ١٨.

(٢) سورة الزمر، آية: ٤٣.

(٣) سورة الزخرف، آية: ٨٦.

(٤) سورة الزمر ،آية: ٤٤.

(٥) سورة الشعراء، آية: ٢٢٧.

(٦) سورة الصافات، آية: ٣٥.

(٧) سورة الزمر ،آية: ٤٥.

(٨) سورة الزمر ،آية: ٤٣.

(٩) سورة الزمر، آية: ٤٥.

قل !ياسيد الذاكرين لله وحدة﴿ ٱللَّهُمَّ ﴾ يا الله !الذي له الأسماء الحسنى،﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ مبتديها بلا مثال [سبق][1] ﴿ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ ﴾[2] ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[3] ﴿ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[4] أهدني لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك، أنت تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم! .

ثم أخبر عن حكمه كيف يكون بقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ وأظهر ليعلق الحكم على الوصف ،وحذف المعمول ليعم من ظلم نفسه أو غيره ﴿ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ ﴾ على شده حرصهم وهلعهم على الدنيا ﴿ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[5] كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ﴾[6] وهذه الآية مفسرة لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾[7] ﴿ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ ﴾[8] فلما نفى وجود الشفيع

---

(١)في أ:[سابق] وضبطها كما في :ب .وانظر:تفسير ابن كثير(٤/٣٩).

(٢)سورة الزمر، آية: ٤٦،والتي بعدها من نفس الآية.

(٣)سورة الجن ،آية: ٢٦.

(٤) سورة الزمر ، آية: ٤٦.

(٥)سورة الزمر، آية: ٤٧،والتي قبلها من نفس الآية.

(٦)سورة المائدة ، آية: ٣٦.

(٧)سورة البقرة ، آية: ٤٨.

(٨) سورة البقرة ، آية: ١٢٣.

أولا بقوله:﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[1] نفى قبول العدل ثانيا بقولـــه: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾[2] والله أعلم بكلامه!.

﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴾[3] لأنهم كانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعا ،ويقولون: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[4]﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرًا مِّنۡهَا مُنقَلَبًا ﴾[5] ، ﴿ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ ﴾[6] وهو كقوله لأهل الإيمان:﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٍ ﴾[7].

وقد جزع محمد بن المنكدر[8] -رحمه الله تعالى- عند موته ، فقيل: له في ذلك فقال: ((آية في كتاب الله ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴾ أخاف أن يبدو لي ما لم أكن أحتسب))[9] . اللهم إنا نسألك الأمن يوم الخوف! يا ارحم الرحمين !.

---

(١)سورة الزمر، آية: ٤٤.

(٢) سورة الزمر، آية: ٤٧.

(٣)سورة الزمر ،آية: ٤٧ .

(٤)سورة الزمر ،آية: ٣.

(٥)سورة الكهف، آية: ٣٦.

(٦)سورة فصلت ،آية: ٥٠.

(٧)سورة السجدة ،آية: ١٧.

(٨) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير القرشي التيمي، أبو عبد الله ويقال أبو بكر ، المدني، شيخ الإسلام ولد سنة بضع وثلاثين من الهجرة.حدث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مرسلا ،وعن عائشة وأبي هريـــرة وأنـــس وغيرهم وعنه الزهري ومالك والأوزاعي وغيرهم كان من فقهاء التابعين وزهادهم ، ت ١٣٠هـ .انظر ترجمته في الذهبي:سير أعلام النبلاء (٣٥٣/٥)، و المزي:تهيب الكمال(١٤٣/١).

(٩)انظر:ابن الجوزي:زاد المسير(١٨٨/٧)، والزمخشري:الكشاف(٤/ ١٣٣)، وابن عطية :المحرر الوجيز (٥٣٥/٤)، والشوكاني:فتح القدير(٦١٤/٤) .

﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾[1]﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[8]

﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[2]أي نزل وأحاط بهم الذي كانوا به يستهزءون من الوعيد.

وقوله:﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾[4] أي أنهم يشمئزون إذا ذكر الله وحده، ويستبشرون إذا ذكرت ألهتهم، فإذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره ،وسبب ذلك [من] [5] اشمئزازهم واستبشارهم تعجبا من حالهم ، وأظهر ليعلق الحكم على [نوع] [6] الإنسان ،تحذيرا من لزوم هذا الطبع الرديء.

إذا مسه﴿ ضُرٌّ دَعَانَا ﴾[7] دعانا، لعلمه أنه لا يكشف الضر إلا الله، ونسب المس إلى الضر كما هي عادة القرآن، أي إذا مسه ضر بذنبه ، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ونسب التحويل إليه فإذا خولناه ، والتخويل العطاء تفضلا ، لا جزاء نعمة منا[8].

---

(١)سورة الجاثية ،آية: ٣٤ .

(٢)سورة الأعراف ،آية: ١٤٧.

(٣)سورة الزمر ، آية: ٤٨.

(٤)سورة الزمر، آية: ٤٩ .

(٥)في ب:[عن].

(٦)فيب:[أنواع].

(٧)سورة الزمر، آية: ٤٩.

(٨)نحوه ،في الكشاف (١٣٣/٤).

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾[1] غير صيغة الفعل لجهله ، ولعدم تعرفه بمؤتي العوارف ذكر الضمير تعظيما [لشأن] [2] النعمة التي يستحقها لعظمة نفسه عنده.

وقوله:﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[3] كقول قارون:﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[4] لهذا قال بعده: ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[5] قد قالها الذين من قبلهم.

قال الله تعالى: ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾[6] [يعني] [7] ليس الأمر كما يقول، كقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[8]﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[9] ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾[10].

---

(١) سورة الزمر ،آية: ٤٩ .

(٢)في ب[لشأنه]، ولا يستقيم مع السياق.

(٣) سورة الزمر، آية: ٤٩ .

(٤) سورة القصص ،آية: ٧٨.

(٥) سورة الزمر، آية: ٥٠ .

(٦) سورة الزمر ،آية: ٤٩.

(٧) زيادة من:ب.

(٨) سورة الأنبياء ،آية: ٣٥.

(٩) سورة التغابن، آية: ١٥ .

(١٠) سورة الفرقان، آية: ٢٠ .

فكل عطاء أو منع في الدنيا، فإنما هو فتنة ليظهر شكر [الشاكر] (١) ، وصبر الصابر،وهذا نظر الرسل وأتباعهم،كما قال سليمان –عليه السلام–: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾(٢) ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

قال: الشيخ محيي الدين بن عربي –رضي الله عنه– أي أكثر من تحوله ، فقد علمت أن سائر النعم الظاهرة والباطنة فتن ، وإنما كانت فتنا لتحصل بها النعم الباقية ،فلا [تكون] (٣) نعمة غير فتنة إلا إذا كانت جزاء فاقة قدر العمل ، والجزاء لا يكون في الدنيا، بل ليس في الدنيا إلا فتنة ، ولذا قيل :

ميل القلوب إلى سواك حرام	****	ما كان غيرك كله أصنام [الكامـــل]
حمل المواهب ظاهرا أو باطنا	****	فتن لديك وكلهـــا أحلام

واعلم أن الإنسان إذا تقدمت معرفته على ما سيفتن به ،كان مستعدا لدفع الفتنة عن نفسه بالشكر عليها في السراء، والصبر عليها في الضراء، فلما كان تقدم المعرفة بهذا عظيم النفع جاءت به الكتب والرسل تعريضا، وجاء به القرآن تصريحا، في عدة مواضع بصور مختلفة، تارة إعلاما كقوله:﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾(٤)

---

(١)في ب:[الشاكرين]ولا يستقيم مع السياق.

(٢)سورة النمل ،آية: ٤٠.

(٣)في ب:[تكن] وهو مخالف لقواعد اللغة.

(٤)سورة لإنسان، آية: ٢.

وكقوله:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ ﴾[1] ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾[2]﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾[3]

وتارة تعليما على الحكاية ،كقصة سليمان –عليه السلام–، وقارون وغيرهما، بالتخصيص لنبي أو عدو ، وتارة تعريفا كما في الآية ، ومن تأمل ذلك! وجد القرآن مشحونا به ،وذلك لشدة الاضطرار إلى معرفته ، وعظم الانتفاع به ؛

فبهذا وأمثاله كان الرسول– صلى الله عليه واله وسلم– رحمة، والقرآن نورا، فالحمد لله الكريم !الذي أنعم وعلم، وجعل النعم لترفض فانية، فتحفظ باقية ،وهذا أدنى جزاء العبد ،والدنيا مزيد، ولهذا قال: بعض العارفين" أبت صحة الوزن أن تفرق بين المباح والمحظور "[4]

---

(١) سورة الكهف ،آية: ٧.

(٢)سورة الملك ،آية: ٢.

(٣)سورة هود، آية: ٧.

(٤)هذا من غلو ابن عربي ،وأمثاله من المتصوفة، فالله عز وجل بين الحلال والحرام ، ففي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير ((الحلال بين والحرام بين)) البخاري(٢٥)ومسلم(١٥٩٩). ولا ينبغي لأحد، من النَّاس أن يحلِّل أو يحرِّم من تلقاء نفسه قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ سورة البقرة،آية١٦٨. وقال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ المائدة: ٨٧. وقال:﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ النحل :١١٦، والتي ينبغي أن يتورع عنها المسلم الشبهات . وفي صحيح ابن حبان من حديث ابن عباس((إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من قبلكم الغلو في الدين)) (٣٨٧١)١٨٣/٩.

فهذا جعل المباح كالمحظور لما رآه فتنة ،فلم يأخذ منه إلا ما يضطر إليه ويثاب عليه، ومن تحقق عنده أن الآخرة ليس فيها فتنة ،وأن الدنيا ليس فيها إلا فتنة فقد لزمه أن لا يقول عن شيء من النعم: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ ﴾[1] والدنيا ليس إلا فتنة ،لهذا أكد هذا التعريف هاهنا لفرط وجوب الحذر منه بقوله:﴿ قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾[2] قارون وأمثاله[3]، وجمع في قوله: ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ ؛لأن قبله﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ يعني أكثر المفتونين، والله أعلم! [4].

---

(١) سورة الزمر ،آية: ٤٩.

(٢) سورة الزمر ،آية: ٥٠.

(٣) يشير إلى قولة تعالى في قصة قارون:﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ القصص: ٧٨.

(٤) لم أقف على كلام ابن عربي.

قوله في سورة غافر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ هذه السورة من أولها إلى آخرها في [ذكر][1] المجادلين بالباطل، وضرب الأمثال لهم، فبعد ثلاث آيات وصف بها نفسه في أول السورة قال:﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾﴾[2]،ثم ضرب لهم المثل ولرسوله -صلى عليه وآله وسلم- من قبله من الرسل وأممهم،ومجادلتهم لرسلهم بالباطل فقال:﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾[3]، فأخذهم الله لما هموا بأخذ الرسول كان جزاؤهم أن الله أخذهم، و لم يزل سياق الآيات منوطا بضرب الأمثال لمن يجادل بالباطل وتخويفه، وما ذكر لمن آمن بالحق من استغفار الملائكة له ودعاهم له، وإقامة البراهين على المجادلين ،وتخويفهم وإنذارهم إلى أن ذكرهم فرعون وهامان وقارون، ومجادلتهم لموسى بالباطل ليدحضوا به الحق، وما جرى بينهم وبين مؤمن من آل فرعون من الجدال، إلى أن قال:﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ

---

(١)في ب[ذلك]وهو تصحيف.

(٢)سورة غافر،آية:٤.

(٣) سورة غافر،آية:٥.

﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[1] . ثم ذكر محاجتهم في النار يعني الذين كانوا يجادلون في الدنيا بالباطل بقوله: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾[2] ،ثم [مقاولتهم] [3] لخزنة النار بقوله:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾[4] إلى آخر الآيات ،ثم وعد نبيه –صلى الله عليه وسلم– بالنصر، وأمره بالصبر بقوله:﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾[5] ،وأعاد له الخطاب عن الذين يجادلونه فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾[6] ((والكبر بطر الحق وغمط الناس))[7] .

---

(١) سورة غافر،آية:٣٦،٣٥،٣٤.

(٢) سورة غافر،آية:٤٧.

(٣)في ب[مقاولتهم]وهو تصحيف والصواب ما أثبته.

(٤)سورة غافر،آية:٤٩.

(٥) سورة غافر،آية:٥٥.

(٦) سورة غافر،آية:٥٦.

(٧)أخرجه مسلم ،كتاب الإيمان،باب تحريم الكبر وبيانه رقم (٩١)ص٥٤ ، والترمذي،باب ما جاء في الكبر(١٩٩٩) ،والبيهقي في شعب الإيمان (٨١٥٢)٢٧٩/٦،وابن حبان ،باب،ذكر ما يستحب للمرء تحسين ثيابه وعمله إذا قصد به غير الدنيا (٥٤٦٦) ٢٨٠/١٢،و وأحمد في "المسند" (٨١٥٢)٤٢٧٧/١ بلفظ" البغي بطر الحق " كلهم عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–.

ورواه أبو داود،باب ماجاء في الكبر (٤٠٩٢)٥٩/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه .والطبراني في الكبير عن ابن سيرين عن سواد بن عمرو (٦٤٧٩)٩٧/٧.

كما في الحديث ، وإذا تأمل العارف ، وجد الحديث مأخوذا من هذه الآيات، فإن هؤلاء بطروا الحق ، وبطر الحق هو عدم قبوله، وغمطوا الناس أي استحقروهم قال تعالى:﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ ﴾[١] ،وقال:﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[٢] ،والحديث مبين للآية ، ومن تكبر وضعه الله:﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾[٣] ؛ لـذا قـال تعـالى:﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ﴾[٤] يعني أنهم لا يصلون إلى ما يريدون من العلو في الأرض: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾[٥] .

ثم أمر رسوله –صلى الله عليه وسلم– بالاستعاذة بقوله:﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾[٦] وحذف المستعاذ منه ليعم الاستعاذة منهم ، ومن كبرهم ومن نزغات الشياطين، ونزوات السلاطين، وإعنات الباغين، وتعنت الطاغين ، وغير ذلك كما في:﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾[٧].

---

(١)سورة غافر،آية:٥٦.

(٢) سورة غافر،آية:٣٥.

(٣) سورة التوبة،آية:٣٢.

(٤) سورة غافر،آية:٥٦.

(٥) سورة المجادلة،آية:٢١.

(٦) سورة غافر،آية:٥٦.

(٧) سورة الفلق.

وقال:-صلى الله عليه وسلم-((وأعوذ بك منك))[1] ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾[2]، ولما كان السياق في شياطين الإنس قال:﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾[3]وفي الأعراف حم والسجدة لما كان السياق في شياطين الجن ، جاء باسمه (العليم)، لكونهم لا يرون فذكر العليم أليق بهم وقد حققنا ذلك ، ونكتة إتيانه بالمعرفة في حم السجدة ، وبالنكرة في سورة الأعراف[4] في (كتابنا الموسوم بالنفحات الربانية) ما فيه كفاية ولله الحمد أولا وآخرا .

ولما كان أشد جدال المجادلين في آيات الله إنكارهم للبعث وإعادة الخلق كما بدأه الله أول مره، قال: مؤكدا [باللام] [5] لأنهم لغلبة الهوى عليهم قد عادوا كأنهم لا يعلمون أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ؛ لذا قال:﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾[6] .

---

(١)أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع (٤٨٦)٢٠١، والترمذي، باب ما يقال في الركوع(٣٤٩٣)،وأبو داود،ب باب الدعاء في الركوع (٨٧٩)٢٣٢/١ ،والنسائي في الكبرى،باب ترك الوضوء من مس الرجل امرأته لغيرشهوة(١٥٨)٩٨/١،وابن ماجةباب ما تعوذ منهرسول صلى الله عليه وسلم (٣٨٤١)١٢٦٢/٢،وأحمد في المسند(٣٤٣٥٨)٥٨/٦،وعبد الرزاق في" المصنف"(٢٨٨١)١/ ١٩٢،وابن أبي شيبة في (٢٩١٤١)١٩/٩.كلهم عن عائشة -رضي الله عنها-.وانظر: صحيح الجامع رقم (١٢٨٠).

وأخرجه أحمد في"المسند"(١٥١)٩٦/١، والترمذي (٣٥٦٦)باب القنوت في الفجر،وأبو داود،باب القنوت في الوتر (١٤٢٧) ٦٤/٢،والنسائي في الكبرى باب مايقال في آخر وتره (١٤٤٤)٤٥٢/١،وابن ماجة في سننه،باب ما جاء في قنوت الفجر (١١٧٩)٣٧٣/١.عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢)سورة غافر،آية:٥٦.

(٣) سورة غافر،آية:٥٦.

(٤)يشير إلى قوله تعالى:في الأعرف:﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ وفي فصلت:﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٣٦﴾

(٥)في أ:[بالكلام]وهوتصحيف.

(٦)سورة غافر،آية:٥٧.

أو يكون المعنى أنه لما قال عنهم:﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾[1] كأنه قال: علام يتكبرون، وهم من أحقر الخلق وقال:﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2] الآية ، ولما كان الكلام عن الذين يجادلون في آيات الله أعاد الاسم الظاهر لئلا يظن أن الضمير يعود إلى الذين يجادلون فقط فقال:﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3] لعدم انتفاعهم بهذا العلم ولذا أكد أولا باللام ،فهم وإن كانوا يعلمون ذلك لكنهم عمي عما يراد من علمه ،لذا قال بعده: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾[4]الأعمى الذي لا يعلم ، والبصير الذي يعلم كقوله:﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[5] ، ثم قال ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[6] فأعاده أيضا لئلا يظن عودة إلى المجادلين أو إلى الأعمى والبصير ، والذين آمنوا والمسيء ولما أمر نبيه –صلى الله عليه وسلم– بالاستعاذة به أمر ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

---

(١) سورة غافر،آية:٥٦.

(٢) سورة غافر،آية:٥٧.

(٣) سورة غافر،آية:٥٧.

(٤) سورة فاطر،آية:١٩.

(٥) سورة الزمر،آية:٩.

(٦) سورة غافر،آية:٥٩,٥٨.

(٧) سورة غافر،آية:٦٠.

ثم توعد المتكبرين الذين قال عنهم:﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾[1] ، وقال عنهم في كلام مؤمن آل فرعون:﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾[2] ، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[3] أي صاغرين إخبارا مآلهم ،وقد أخبر [عن مآلهم][4] في الدنيا بقوله:﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾[5] .

ولما ضرب المثل الأول للمجادلين،والمؤمنين بقوله:﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ﴾[6] ضرب مثلا آخر بالليل والنهار ، وذلك لأن المسيء إما أن يكون أعمى فلا يدرك النور وهو في النور، أو يكون مبصرا لكنه في ظلمة ،كما في قوله تعالى:﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾[7] أي الذي يبصرون به وتركهم في ظلمات لا يبصرون؛ لذا

---

(١) سورة غافر،آية:٥٦.

(٢) سورة غافر،آية:٣٥.

(٣) سورة غافر،آية:٦٠.

(٤)في ب:[عمالهم].

(٥)سورة الأعراف،آية:١٤٦.

(٦) سورة غافر،آية:٥٨.

(٧) سورة البقرة،آية:١٧.

لأنهم لا أبصر لهم ؛لذا قـــال: بنورهم، و لم يقـــل بنورها، فنـــور النار بـــاق، لـــكنهم ذهب نورهم فصاروا لا يبصرون، ثم ضرب المثل الآخر لمن هو في ظلمة مع بقاء ما يبصر به فقال:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾[1] ، ثم قال:﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾[2] فأثبت لهم أبصارا ثم قال:﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ﴾[3] ،وبهذا يعرف أن الضال إما أن يكون أعمى ، فلا ينتفع بالنور وإن كان فيه، أو يكون في ظلمة، فلا ينتفع ببصره، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ، إذا اتضح هذا ففي الآية لما ضرب المثل الأول: بالأعمى والبصير، ضرب المثل الثاني: بالظلمة والنور فقـــال:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾[4] لذا قـــال بعده﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[5] أي الذين يؤمنون بآيات الله ، ولا يجادلون بالباطل، ولا يستكبرون عن عبادته، ويدعونه تضرعا وخفية﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[6] فنبه! بإعادة الظاهر أن المراد بالفضل هنا الفضل الخاص، وبالناس المؤمنون، وأن المراد امتنانه بجعل الليل والنهار ضرب المثل بالظلمة والنور، مـــع ذلك الامتنان بذلك على العباد، وضرب المثل لهم بالبعث والنشور بعد الموت كما يكون

(١) سورة البقرة،آية:١٩.

(٢) سورة البقرة،آية:٢٠.

(٣) سورة البقرة،آية:٢٠.

(٤) سورة غافر،آية:٦١.

(٥)سورة غافر،آية:٦١.

(٦) سورة غافر،آية:٦١.

في النهار بعد الليل . والله سبحانه أعلم بكلامه، ونستغفره مما لا يرضاه!،

وهذا يظهر لمن يتدبر!مناسبات آيات القرآن فيرى العجائب من ذلك! قولـــه تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] فقد ذكر من الآيات إرسال الرياح مبشرات، ولإذاقة الرحمات الظاهرات، ولإجراء الفلك بأمره مسخرات، ولابتغاء فضل باري البريات، ولرجاء أن يشكر الشاكر فيفوز بأعلى الدرجات، فكان ضرب المثل لإرسال الرسل مبشرين ومنذرين، لنشر الرحمة باطنا وظاهرا على العالمين، ولتجري فلك العقول بأمره في بحر العلم النافع، ولابتغاء الفضل الخاص والعام، ولتحقق بشكر الإنعام لذا قـــال بعد الآية:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]

ثم عاد لضرب مثل آخر بالغيث فقال:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[3] ومن تدبر! القرآن كفاه هذا التنبيه على ما فيه، ودلته هذه الإشارة على كنوز [من][4] معانيه، فتحت له رموزا بديعة، وأطلعته على غرف رفيعة، فهمنا الله بفضله أسراره وأرانا بمنه أنواره!.

---

(١)سورة الروم ،آية: ٤٦.

(٢)سورة الروم ،آية: ٤٦.

(٣)سورة الروم ،آية: ٤٦.

(٤) زيادة من(أ).

قوله تعالى في سورة الدخان: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

الضمير في قولة:﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ ﴾ يعود إلى هؤلاء الذين قال عنهم: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ وإلى بني إسرائيل المقدم ذكرهم ، بدليل قوله تعالى بعد ذلك:﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ وعلى هذا فلا إشكال لأن من بني إسرائيل من هو عالم بأن الله سبحانه ما خلق السموات والأرض إلا بالحق ؛ وهم القليل ، ويكون قوله: ﴿ أَكْثَرَهُمْ ﴾ من عداهم من بني إسرائيل، وقوم فرعون ، والعرب ، ولا مانع من إعادة الضمير إلى البعيد.

وتأمل! قوله في السورة نفسها:﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴿٥٨﴾ ﴾ فأعاد الضمير إلى الكتاب في قوله:﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾ ، وفيه التبكيت لكفار بني إسرائيل ، والتعريض بهم والإهانة لهم ؛ بجعلهم مع مشركي العرب ، وقوم فرعون؛ في قرن بسبب كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قوله:﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ وأي هبوط بعد هذا أو أي سقوط وراءه ، فذاك أحسن تقويم ، وهذا أسفل سافلين ، أو يكون الضمير عائدا إلى العرب المقول عنهم: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ويكون المعنى أن منهم من يعلم ما خلق السموات والأرض إلا بالحق ؛ لكنه يجحد ذلك كقوله تعالى :﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾[1]﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ وفي وصف من وصف بالعلم من الجاحدين مالا مزيد عليهم من الذم ، فإن العالم الذي لا ينتفع بعلمه إنما يستفاد من وصفه بالعلم ذمه لا مدحه ، وهذا كما تقدم في وقوله:﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا

(١) سورة النمل ،آية :١٢.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] وكما في قوله تعالى في سورة الطور﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] فكون الظالم يعلم أن له عذابا في يوم يصعق ، وأن له عذابا دون ذلك ، وهو عذاب الدنيا وهو العذاب الأدنى، ثم لا يقلع عن ظلمه مع علمه بذلك ، ولا يرجع عن غيه ، من المعلوم أنه أشد في القضية ، وأعظم في البلية . نسال الله تعالى! العلم النافع ، ونعوذ به من علم لا ينفع .

ولقد اجتمعنا للذكر ؛ وكان معنا رجل من العامة فيما يظهر للعامة ، وهو عند الخاصة من الخاصة ؛ وجعلنا نردد في الذكر رب زدني علما، فخطر ببالي أن كل واحد من الحاضرين على علم من الله لا يعرفه الآخر، نظرت الرجل المشار إليه ؛ وخطر ببالي أنه لو أعطي زيادة من علم لما انتفع به ، فهو يعطي زيادة من جنس علمه ، وكل واحد منا كذلك ، ونحن في الذكر فرفع رأسه يخاطب الحق سبحانه وقال: أنا لا أريد من علم الفقهاء ؛ ولكن أريد العلم الذي يوصلني إليك اللهم ! إنا نسألك علما يوصلنا ويدلنا عليك ، ويوفقنا بين يديك ، وصل وسلم على سيدنا محمد وآله وصلاة تزيدهم بها قربا لديك.

---

(١)سورة القصص، الآية:٥٧.

(٢)سورة الطور ،الآية: ٤٧.

قوله تعالى في سورة الجاثية:

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٦ ﴾

ليعلم المذكورين وغيرهم ، فإن من متفلسفة الإسلام من أراد أن يجمع بين الشريعة والفلسفة ، فزعم أنه يكون البعث للأجساد أولا ثم تذهب وتبقى الأرواح ، ففي هذه الآية وأمثالها من الرد عليهم ويكفي كقوله تعالى: ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[1] ، ومثله: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ ﴾[2] ، وفي آية الجاثية لم يذكر الموتة لأولى التي هي قبل الحياة الدنيا ؛ لأنها قد تقدمت في الآية الأولى قبلها بقوله: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا ﴾[3] إقرار منهم بأنهم كانوا أموتا.

وقولهم: ﴿ وَنَحۡيَا ﴾ يريدون الحياة الدنيا ، ثم قالوا: ﴿ وَمَا يُهۡلِكُنَآ ﴾ يعنون الموتة الثانية، ﴿ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ﴾ فهم مقرون بالموتة الأولى قبل الحياة ، وبالحياة الدنيا وبهلاكهم بعد ذلك ، وهذا كله لا يمكن أن ينكره أحد ؛ لكنهم أنكروا الحياة بعد الموت، وجمعهم إلى يوم القيمة، ورجوعهم إلى الله تعالى ، ونسبوا موتهم الأول وحياتهم إلى أنفسهم فقالوا: ﴿ نَمُوتُ وَنَحۡيَا ﴾ ونسبوا موتهم الثاني إلى الدهر فقالوا: ﴿ وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ ﴾ فرد عليهم الحق سبحانه بقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ .

---

(١)سورة البقرة، الآية:٢٨.

(٢)سورة غافر ، الآية:١١.

(٣)سورة الجاثية ، الآية: ٢٥.

ولما لم تتقدم الموتة الأولى حياة لم ينسبها الله سبحانه إلى نفسه في قولــه:﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾[1] ، وفي سورة الجاثية لم يذكرها فقال:﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ﴾[2] وقد نســبت إليه في قوله عن أهل النار:﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾[3] فوضح أن مراد الآية هنا نفي العلم عن أكثر الناس يوم القيمة الذي لا ريب فيه .

والله سبحانه أعلم بكلامه! ونستغفره مما لا يرضاه ،ونتوب إليه مــن كــل زلــل، ونستهديه لكل خطأ وخطل[4] ، ونسأله التوفيق لصالح العمل.

اللهم صلى على محمد النبي ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، وذريته وأهل بيتــه ، كمــا صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتــوب إليك!.

---

(١)سورة البقرة، الآية:٢٨.

(٢)سورة الجاثية ، الآية: ٢٥.

(٣)سورة غافر ، الآية:١١.

(٤) الخــطل: هو الكلام الفاسد الكثير المضطرب. ابن منظور: لسان العرب (٢٠٩/١١)مادة (خطل).

النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سول الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن من فضل الله علي ومنته أن يسر لي إتمام هذا البحث وقد توصلت في نهاية هذا البحث إلى عدة نتائج، منها:

١ – صحة نسبة المخطوطة إلى مؤلفها:

٢ – عدم تعرض المؤلف إلى مسائل الاعتقاد مما يجعل الحكم على عقيدته أمراً صعباً، وإن كان يظهر أنه من متصوفة الزيدية من خلال نقله لابن عربي ، وذكر كتب التراجم عنه ، ومصنفاته الأخرى.

٤ – لم يصرح المؤلف بمذهبه الزيدي، بل أظهر نقده للمذهبية والتقليد وأبرز تحيزه إلى مدرس التجديد في اليمن بعدم التعصب واتباع الدليل. .

٥ – برزت عناية المؤلف بالتفسير بالرواية من خلال اهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن ، واعتماده على السنة كمصدر ثان في التفسير، وذكره لبعض أقوال السلف .

٧ يؤخذ عليه تساهله في إيراد بعض الأحاديث الضعيفة من غير تعقيب.

٦ – برزت عناية المؤلف بالتفسير بالدراية من خلال اهتمامه بالنواحي اللغوية والنحوية والبلاغية، من خلال بيان المعنى اللغوي للمفردة القرآنية ، وتعرضه لبعض أوجه الإعراب ، والنكات البلاغية.

٧- ملكة المؤلف في الاستنباط ، والربط بين الآيات القرآنية .

التوصيات:

أوصي بالآتي:

١ ــ إن المكتبات العامة والخاصة لا تزال تزخر بالمخطوطات المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن ، وعليه أوصي بالعناية والاهتمام بها.

٢ ــ دعوة أصحاب المكتبات الخاصة والعامة بتمكين طلبة العلم من الاستفادة منها وخدمتها ، وعدم تركها رهينة الحبس بلا منفعة ، ومجهولة المصير .

٣- دعوة الباحثين بالتوجه إلى تحقيق المخطوطات ؛ لإحياء وخدمة التراث الإسلامي، وأخص بالذكر كتاب تفسير القرآن بالقرآن للمؤلف.

٤-دعوة الباحثين إلى النظر والتأمل في الإظهار والإضمار بخواتيم الآيات.

في النهاية لا أدعي العصمة و الكمال وأختم بقول الشاطبي رحمه الله :

(وظن به خيرا وسامح نسيجه ... بالاغضاء والحسنى وإن كان هلهلا)

(وسلم لإحدى الحسنيين إصابة ... والأخرى اجتهاد رام صوبا فأمحلا)

(وإن كان خرق فادركه بفضله ... من الحلم وليصلحه من جاد مقولا)

والحمد لله رب العامين،وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهارس الأحاديث والآثار

طرف الحديث	الراوي وصاحب الأثر	رقم الصفحة
استعينوا على أموركم بالكتمان	معاذ بن جبل	٩٧
أصبحنا على فطرة الإسلام	عبد الرحمن بن أبزى	١٦٥
أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي	هريرة	١٣٨
اعقلها وتوكل	أنس	٦٧
أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية	عروة	١١٨
أن امرأة كانت في الجاهلية معها	أيوب بن موسى	١٧٠
أنزلت لِّيَغْفِرَ لَكَ	أنس بن مالك	١١٧
إنهم أعز من الكبريت	الحسن	٩٢،٥٩
إنه ليس شيء بين السماء	جابر	١٣٩
الحطيم ما بين الركن والمقام وزمزم	ابن جريج	١٧٠
السنين: الجوائح	قتادة	١٠٦
شهدنا الحديبية ، فلما انصرفنا	مجمع بن جارية	١١٨
عدا رجل من كنانة	ربيعة بن الحارث	١٧٠
فضلت على الأنبياء بست	أبو هريرة	١٣٨
قالت الكهنة لفرعون أنه يولد	ابن عباس	١٢٧
كان الناس إذا كان الموسم	ابن سابط	١٦٧
كان بمكة حي يقال لهم	ابن عباس	١٦٨
كان خلقه القرآن	عائشة	١٩٠
كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارا	ابن عباس	٩٢
كل ما نحلته عبدا حلالا وإني خلقت	عياض بن حمار	١٦٢

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الشعر

البيت	الصفحة
أرسلتْ سهـــمَ مقـــلةٍ نعساءِ **** وثَنَتْ جيـــدها عـــلى استحـــياءِ	٤٨
غافلا تعرض المنية لـــــلمرء **** فيدعـــــى ولا ت حين إبــــاء	١٣٥
بَرَزْتُ منَ المنازِلِ والقِبَــــاب **** فلــم يَعْسُرْ عــلى أَحَدٍ حِجَابِي	٢٧
فمنزلِي الفضـــاءُ وسقفُ بيـــتِي **** سمـــاءُ اللهِ أوْ قطعُ السحـــابِ	
فأنتَ إذا أردتَ دخلتَ عــليِّ **** مُسَلِّمـــاً مـــن غَيْــــرِ بـــابِ	٢٨
لأني لم أجدْ مصراعَ بـــابك **** يكونُ مِنَ السَّحَاب إلى التُّـــراب	
ولا أنشقّ الثرى عن عودِ تختٍ **** أؤمــــــلُ أنْ أشدَّ بهِ ثيـــابي	
ولا خِفْتُ الإبَاقَ على عبيدي **** ولا خِفْتُ الهــلاكَ على دَوَابي	
ولا حاسبتُ يوماً قهرمـــاناً **** مُحاسبة فأغْلَــــظُ في حِسَابي	
يا الله يا من لك المتـــــاب **** أسألك تقبل يا كـــريم متـــابي	٤٤
يا من له في خلقه المعـــــول **** مـــالي سواك ألقي إليه طـــلابي	
فغير بابك كل باب مقفـــل **** فادفــع بفضلك ياكريم جماعي	
واعفر فظهري بالذنوب مثقــل **** واجعــل الأفعال جميل مـــآبي	
قِفْ بذلِّ الخشوع في الأعتتاب **** قـــارعًا بـــاب ربك الوهاب	٤٧
أذان المــرء حين الطفــل يــأتي **** وتأخـير الصــلاة إلى الممــات	٤٢
دليــــل أن محيــاه قـــــليل **** كمــــا بين الأذان إلى الصــلاة	
وعقلك ميزان فبالقسط فلتقـــم **** علومك لا تخسر بمثقـــال ذرة	١٣٧
وزن كل شيء من علوم حويتها **** به فانقها من بعد ذاك واثبـــت	
ودع عنك تقليد الرجال ولا تقل **** هم عـــرفوا ما لم أنله بفـــطنة	
في لحـــظه وقوامـــــــــه **** بيــــض البواتــــر والصفـــاح	٤٣
تنزهنا بجـــــــدة في ريـــــاض **** لجين الماء فيها ســال جــــودا	٤٥
ومذكنــا بأجمــــعنا صـــدورا **** بها فرش الغصون لنــــا ورودا	

تسليت طرا عنكم بعـــد بينكـــم **** بذكـــراكم حتى كأنكم عندي	١٣٥
وأكفر من في الأرض من قال أنه **** إلـــه فإن الله جـــل عن النـــدي	٥٦
رأيت لطـــف الله في نـــــــومة **** فقمت بعد النـــوم مـــستبشرا ولو آتاني شخـــــصه يقضـــــة **** لكنـــت للراحـــــة مستحضرا	٢٧
إذا المرء أعيته الـــــسيادة ناشيـــا **** فمطلبها كهـــلا عليه عســـير	١٣٤
الدنيا مشقه مـــا فيها ولا مستريح ** فاعط الصبر حقه واترك كل فعل قبيح يا جاهل تفقه لا تهمل كلام النصيح ** خليها على الله سلم له جميع الأمور يا ذا الجود ماله منجا منك إلا إليك ** قد ضاع احتياله راكن واتكاله عليك ارحم ضعف حاله ولا تفضح وقوفه لديك* *خليها على الله سلم له الأمـــــور	٤٤ ٤٤
طبل شيطاني ومزمار الهوى **** ضربا والنفس باتت تـــرقـــص ورياض القـــلب قد أهملها **** عدم التقوى فبـــاتت تنقـــــص أعرب اللفظ بقرآني وكـــم **** ألحن المعنى فهـــل لي مخــــلص يا لقومي لم أجد محتسبـــا **** فاضلا عن منكراتي يفـــــحص	٣٣
قد شققت الطبل والمزمار ما **** مثلك اليوم لزمر يرقـــــــص وكذاك النفس قد ألجمتهـــا **** بـــلجام الزهد وهو المخلـــص أنت لا تفحص عن عيب امرء **** تـــب من ظل لعيب يفحـــص فرض النفس إذا زاد الهـــوى **** فهو إن مـــا رضتها ينتقـــص يالحا الله أناســـا كلمـــــــا **** لاح للأطـــماع برق بصبصوا وإذا نـــال الفتى مكـــرمـــة **** كان من ذاك لديهم غـــصص	٣٤
ألـــطف الله كيف تقـــول أنا **** تترهنا بحـــدة في ريـــــــــاض عكست فلم يكن متترها غيرنا **** عنها وعـــن تلك الحيـــــــاض	٤٥
مشغوفة بك قد شغفت وإنمـــا **** حتم الفراق فما إليك سبيـــــــل	١٣٥

ميل القلوب إلى سواك حــــرام **** ما كان غيرك كـــله أصنـــــــام حمل المواهب ظاهرا أو باطنــــا **** فــتن لديك وكلهـــا أحــــــلام	٢٠٢
نَصْبُ القوام وكسرة الأجفان **** جزَمَا برفعِ النـــوم من أعيانـــي	٤٦
سل السيوف من الجفون لفتنتي **** عمدا وأغمد في الفؤاد صفاحها أتراه يمكنني الخلاص من الهوى **** والعين قد طرحت علي سلاحها	٤٣
فجاهد وقلد كـــتاب الإله **** لتــــــلقي الإله إذا مـــت به فقد قلد الناس رهبـــانهـــم **** وكـــــــل يجادل عن راهبـــه وللحــــــق مستنبط واحـــد **** وكـــل يرى الحـــق في مذ هب	١٤٢

المصادر والمراجع

١– الأدنه وي:محمد أحمد

طبقات المفسرين ، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي. مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة- ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ط١

٢– الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ، دار الأندلس للنشر – بيروت – ١٩٩٦م- ١٤١٦هـ،

٣– الأزهري:محمد أحمد

تهذيب اللغة، دار إحياء التراث بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م

٤– الألباني :محمد ناصر الدين

تخريج مشكلة الفقر، المكتب الإسلامي بيروت. ط ١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م

سلسلة الأحاديث الصحية وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف الرياض ،ط١٤١٥،١،١هـ-١٩٩٥م.

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ، دار المعارف الرياض،ط١٤١٢،١هـ-١٩٩٢م.

صحيح الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي ، ط٢، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م.

ظلال الجنة في تخريج السنة ، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٠هـ ،

٥– ابن الأمير،محمد بن إسماعيل

تطهير الاعتقاد عن أداران الإلحاد، تحقيق محمد بن جبريل الشحري، مكتبة الوادعي دماج ط١ ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن، تحقيق هدى القباطي رسالة ماجستير جامعة صنعاء ، إصدار مركز الكلمة الطيبة صنعاء،ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٦– البخاري،محمد بن إسماعيل

صحيح البخاري ، دار السلام الرياض ،ط٢ ١٤١٩هـ-١١٩٩٩م.

٧- البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق

البحر الزخار ، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله دار النشر: مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم - بيروت الطبعة: الأولى، - ١٤٠٩هـ.

٨- البيطار: عبد الرزاق بن حسن

حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ،تحقيق محمد بهجة البيطار،تحقيق مجموعة اللغة العربية دمشق،إصدار دار صابر :بيروت، ط٢ ،١٤١٣هـ.

٩- البيهقي ،أبو بكر أحمد بن الحسين

دلائل النبوة ، تحقيق: عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية - بيروت،ط١٤٠٥،١هـ.

شعب الإيمان، ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت -الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

١٠- الترمذي،أبو عيسى محمد بن عيسى

الجامع الصحيح (سنن الترمذي) تحقيق الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ط١.

١١- ابن تيمية،أحمد بن عبد الحليم

التوسل والوسيلة، المكتب الإسلامي ،تحقيق: زهير الشاويش،بيروت١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

مجموع فتاوى شيخ الإسلام، مطابع الرياض، ط١ ، ١٣٨٢هـ.

١٢- جحاف، لطف الله

درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين ، دراسة وتحقيق:عارف محمد الرعوي إصدار وزارة الثقافة والسياحة اليمنية،ط١- ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م .

١٣- الجرجاني،علي بن محمد الشريف

كتاب التعريفات،مكتبة لبنان،بيروت ، ١٩٨٥م.

١٤- ابن الجعد، علي بن الجعد

مسند ابن الجعد، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار النشر: مؤسسة نادر - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٥- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي

زاد المسير في علم التفسير ،المكتب الإسلامي بيروت – ط٢ ، ١٤٠٤هـ.

العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق: خليل الميس ، دار الكتب العلمية بيروت ط٢، ١٤٠٣هـ.

١٦- الجياني ،محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي ، أبو عبد الله، جمال الدين .

شرح الكافية الشافية تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة ط١.

١٧- الحاكم النيسابوري أبو عبد الله محمد عبد الله

المستدرك على الصحيحين بتحقيق مقبل الو ادعي إصدار دار الحرمين ١٤١٧_١٩٩٧م.

١٨- ابن حبان ، محمد البستي

الثقات ، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، ط١، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م.

١٩- الحبشي،عبد الله محمد

مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، إصدار المجمع الثقافي أبو ظبي، ٢٠٠٤م.

٢٠- ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي أبو الفضل،

تخريج أحاديث الكشاف،مخطوط.

تهذيب التهيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند .الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

٢٢- الحداد،أحمد يحي

تاريخ اليمن السياسي، دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت ، ط٤، ١٩٨٦م-١٤٠٧هـ.

٢٣- الحرالي:أبو الحسن المراكشي

سلسلة تراث الحرالي (تفسير القرآن) تحقيق محمادي الخياطي، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء المغرب، ١٤١٨ هـ/١٩٩٧م.

٢٤- الحكيم الترمذي

نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ، مكتبة البخاري القاهرة،ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

٢٥- ابن حنبل ،أبو عبد الله أحمد بن محمد

مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار النشر: مؤسسة قرطبة – مصر.

٢٦- الحموي:شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت

معجم الأدباء تحقيق : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط١ ١٤١٤هـ.

معجم البلدان، دار صابر، بيروت ط٢، ١٩٩٥م.

٢٧- ابن حميد، أبو محمد عبد بن حميد

المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي دار النشر: مكتبة السنة - القاهرة ،الطبعة: الأولى – ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

٢٨- أبو حيان: محمد بن يوسف

تفسير البحر المحيط تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

٢٩- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي

مقدمة ابن خلدون، دار القلم بيروت ط٥،١٩٨٤م.

٣٠- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن

سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبعدار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٠٧هـ.

٣١- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي،

سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،دار النشر: دار الفكر.

٣٢- ابن أبي الدنيا ،أبو بكر عبدالله بن محمد البغدادي

الهم والحزن، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار السلام القاهرة ،ط١، ١٤١٢هـ–١٩٩١م.

٣٣- الدومي :عبد القادر بن بدران

شرح كتاب الشهاب، تحقيق نور الدين طالب، إصدار قطاع المساجد الكويتية، ط٢ ،١٤٣١هـ--٢٠١٠م

٣٤- الديار بابكري :حسين بن محمد الحسن

تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج/١، مؤسسة شعبان، بيروت.

تاريخ الخميس، ج/٢ ، مطبعة عثمان عبد الرزاق، ، ط١ ،١٣٠٢هـ

٣٥- الذهبي ،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان

سير أعلام النبلاء ،تحقيق: شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة :التاسعة ، ١٤١٣هـ .

٣٦- الرازي،ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس

تفسير القرآن ، تحقيق: أسعد محمد الطيب ، دار النشر: المكتبة العصرية – صيدا.

٣٧- الراغب الأصفهاني:الحسين بن محمد

مفردات غريب القرآن، دار القاسم ،١٤١٢،ط١ .

٣٨- الرقيحي، أحمد عبد الرزاق ،وعبد الله محمد الحبشي، وعلي وهاب الأنسي

فهرست مكتبة الجامع الكبير ، وزارة الأوقاف اليمنية ، ١٤٠٤هـ _١٩٨٤م .

٣٩- زباره ، محمد بن محمد يحي

نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ط٢ ١٤٠٥هـ١٩٨٥م.

نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ،المطبعة السلفية القاهرة ١٣٥٠هـ.

٤٠- الزبيدي :محمد مرتضى

تاج العروس من جواهر القاموس دار النشر: دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين

٤١- الزرقاني:محمد عبد العظيم،

مناهل العرفان في علوم القرآن مطبعة عيسى البابي الحلبي ط٢.

٤٢- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد

الأعلام ، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م

٤٣- الزمخشري ،جار الله أبو القاسم محمود بن عمر

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٤٠٧ هـ.

٤٤- زيد، علي محمد

تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري ،إصدار المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء.

٤٥- الزيلعي ،جمال الدين عبد الله بن يوسف

تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد،دار النشر: دار ابن خزيمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٤٦- السبكي، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي

فتاوى السبكي ،دار المعرفة، بيروت .

٤٧- السعدي ،عبد الرحمن بن ناصر

القول السديد شرح كتاب التوحيد ،تحقيق :صبري شاهين، دار القبس الرياض ط٢ - ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٤٨- السلمي، أبو عبد الرحمن: محمد بن الحسين

حقائق التفسير، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ط٢ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٤٩- السيوطي ،جلال الدين

الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الهيئة المصرية العامة ،الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر بيروت ١٩٩٣م.

٥٠- الشريف الرضي

نهج البلاغة ، وشرح محمد عبده ،مؤسسة المعارف، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٥١- الشوكاني محمد بن علي

أدب الطلب ومنتهى الأرب تحقيق عبد الله السريحي،إصدار مكتبة الإرشاد صنعاء ودار ابن حزم بيروت ، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع دار الكتب العلمية بيروت،ج١، ط ١ (١٤١٨هـ-١٩٩٨م)

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دارالسعادة القاهرة،ج٢، ط١، ١٣٤٨هـ.

السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار تحقيق :محمود زيد، إصدار وزارة الأوقاف المصرية ١٩٨٨م -١٤٠٨هـ

فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية في التفسير ،تحقيق عبد الرحمن عميرة ، دار الوفاء للطباعة والنشر مصر المنصورة ،ط٣ ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م

٥٢- ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد

المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت تأليف: ، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض الطبعة: الأولى ، ١٤٠٩.

٥٣- الصبان،أبو العرفان محمد بن علي

وحاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان -الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.

٥٤- الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك

الوافي بالوفيات . تحقيق: أحمد الأرناؤوط ،وتركي مصطفى دار إحياء التراث بيروت ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٥٥- الصنعاني ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني

المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي بيروت – ط٢

تفسير القرآن ، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

٥٦- الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد

الروض الداني (المعجم الصغير)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، دار النشر: المكتب الإسلامي ، دار عمار - بيروت ، عمان الطبعة: الأولى – ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م.

المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار النشر: دار الحرمين - القاهرة – ١٤١٥هـ.

المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، دار النشر: مكتبة الزهراء - الموصل ،الطبعة: الثانية – ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.

٥٧- الطبري ،محمد بن جرير

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحيق :أحمد شاكر ،مؤسسة الرسالة ، القاهرة ط١ ،١٤٢٠هـ_٢٠٠٠م.

٥٨- العاصمي ،عبد الملك الشافعي

سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل عبد الموجود- علي محمد معوض. دار الكتب العلمية بيروت،١٤١٩هـ.

٥٩- ابن عبد ربه ، شهاب الدين أحمد بن محمد

العقد الفريد، ،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١،١٤٠٤هـ.

٦٠- العثيمين :محمد بن صالح ،

أصول التفسير ، المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

الأصول من علم الأصول دار ابن الجوزي طبعة عام ١٤٢٦هـ.

٦١- العجمي :دغش بن شبيب

ابن عربي وموقف علماء المسلمين منه ، مكتبة أهل الأثر- الكويت -١٤٣٢هـ ط١.

٦٢- ابن عطية ، أبو محمد عبد الحق بن غالب

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية لبنان، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٦٣- العمري،حسين عبد الله

تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، دار الفكر دمشق، ط ١ ، ١٩٩٧م-١٤١٨ هـــ.

مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ، دار الفكر دمشق ،ط١٤٠٥،١هـــ-١٩٩٥م.

٦٤- العمري، محمد بن عبد الله

،سفينة الأدب والتاريخ، تحقيق عبد الله حسين العمري ،دار الفكر المعاصر- بيروت، ودار الفكر دمشق، ط١٤٢٢،١هـــ_٢٠٠١م.

٦٥- عواجي :غالب بن علي عواجي

فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـــ - ٢٠٠١ م.

٦٦- الغزالي: أبو حامد أحمد محمد ،

المستصفى تحقيق:محمد عبد السلام عبد الشافي،دار الكتب العلمية،ط١، ١٤١٣هـــ - ١٩٩٣م.

٦٧- الغماري :محمد حسين بن أحمد

الإمام الشوكاني مفسرا ، رسالة دكتواره ، جامعة أم القرى، ١٤٠٠هـــ-١٩٨٠م.

٦٨- الفارابي ،إسحاق بن إبراهيم

معجم ديوان الأدب تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر ،مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ١٤٢٤ هـــ - ٢٠٠٣ م .

٦٩- القطان ،خليل مناع

مباحث في علوم القرآن ، مكتبة المعارف الرياض ، ط١ ، ١٤١٣هـــ/١٩٩٢م.

٧٠- ابن القيم ،محمد بن أبي بكر

مفتاح دار مفتاح دار السعادة دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٩هـــ-١٩٩٨م

٧١- الكتاني،محمد بن جعفر

نظم المتناثر من الحديث المتواتر دار الكتب السلفية مصر، تحقيق: شرف حجازي.ط٢.

٧٢- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي

تفسير القرآن العظيم،المكتبة العصرية، بيروت،ط١٤١٨،١_١٩٩٧م.

٧٣- ابن ماجه،أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني

سنن ابن ماجه،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار النشر: دار الفكر - بيروت .

٧٤- المزي: يوسف بن الزكي

تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، تحقيق بشار معروف، بيروت ،ط١، ١٤٠٠هــ-١٩٨٠م .

٧٥- المقحفي :إبراهيم

معجم البلدان والقبائل اليمنية دار الكلمة للنشر والتوزيع صنعاء والمؤسسة الجامعية بيروت، ط١٣٠٦،٣هــ_١٩٨٥م.

٧٦- المناوي ،: عبد الرؤوف ،

فيض القدير شرح الجامع الصغير، ، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر - الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هــ.

٧٧- ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري

لسان العرب، دار النشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى

٧٨- النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن

السنن الكبرى السنن الكبرى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١هــ- ١٩٩١م.

٧٩- النمري ،يوسف بن عبد البر

جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هــ .

٨٠- النيسابوري ،مسلم ابن الحجاج

صحيح الإمام مسلم ، دار السلام الرياض ،ط٢، ١٤٢١هــ-٢٠٠٠م.

٨١- الهاشمي ،أحمد

جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ضبط: يوسف الصميلي المكتبة العصرية، بيروت/صيدا ،ط١٩٩٩،١م.

٨٢- الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين
كتر العمال في سنن الأقوال والأفعال ، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٨٣- الهيثمي،علي بن أبي بكر
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار النشر: دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي - القاهرة ، بيروت ،١٤٠٧ هـ.
٨٤- أبو يعلي ، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي
مسند أبي يعلى، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، دار النشر: إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ .
٨٥- الدوريات : -الموسوعة اليمنية،مؤسسة العفيف صنعاء ،ط٢،١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
-صحيفة الجمهورية اليمنية الرسمية ، الصادرة يوم الخميس ٢٣ ديسمبر ٢٠١٠ م تحت مقال (علم الأمير) العدد١٥٠٢١ .
-موسوعة البابطين للشعراء العرب
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ط ٤، ١٤٢٠

الفهارس العامة

اسم الملف: رسالة الماجستير آخر تعديل (١)
الدليل: C:\Documents and Settings\User\My Documents
القالب: C:\Documents and Settings\User\Application Data\Microsoft\Templates\Normal.dotm
العنوان:
الموضوع:
الكاتب: Alam microsoft
الكلمات الأساسية:
تعليقات:
تاريخ الإنشاء: ٢٠١٢/٠٦/٢١ ١٠:٤٦:٠٠ م
رقم التغيير: ١٣٩
الحفظ الأخير بتاريخ: ٢٠١٢/١٠/٢٩ ٠٨:١١:٠٠ م
الحفظ الأخير بقلم: Alam microsoft
زمن التحرير الإجمالي: ٥,٣٦٩ دقائق
الطباعة الأخيرة: ٢٠١٢/١٠/٢٩ ٠٨:٣٠:٠٠ م
منذ آخر طباعة كاملة
عدد الصفحات: ٢٤٠
عدد الكلمات: ٤٠,١٧٨ (تقريباً)
عدد الأحرف: ٢٢٩,٠١٧ (تقريباً)